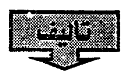
جامعة الأزهر
كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا

الدخيل في التفسير



الأستاذ الدكتور/ على حسن السيد رضوان
الأستاذ بكلية أصول الدين بطنطا
بقسم التفسير وعلوم القرآن
والأستاذ بالجامعة الأمريكية المفتوحة



الوحدة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الدخيل في التفسير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان إلى يوم الدين.

وبعد

إن التفسير كغيره من العلوم الشرعية الأخرى لم يسلم من الدس والادخال فيه فرأينا الوضع والاسرائيليات يتسللان إليه منذ عصره الأول مما كان له الأثر السيئ على التفسير عامة والمأثور منه بصفة خاصة.

ويرجع السبب فى ذلك إلى دخول الكثير من أهل الكتاب فى فهم الكثير من ثقافاتهم التى حوت الغث والثمين وحرصهم الشديد على ادخال تلك الثقافات فى عملية تفسيرهم للقرآن الكريم ولما كان الدخيل فى التفسير من الأمور التى يجب الاعتناء بها لما فيه من الضرر البالغ على تفسير كتاب الله.

رأينا أن نلقى الضوء على هذا الموضوع ببيان معنى الدخيل فى التفسير وأنواعه مع ذكر نماذج لكل منهما.

ونسأل الله التوفيق

الوحدة الأولى ومحتواتها

وتشتمل على معنى الدخيل وأنواعه

أ ـ الدخيل فى المنقول

والأسباب التى أدت إلى دخول الإسرائيليات إلى التفسير

وأقسام الإسرائيليات وحكم روايتها

والأحاديث الموضوعة.

أسباب الوضع وعلامات الوضع

حكم رواية الموضوع.

ب ـ الدخيل فى الرأى أنواع الدخيل فى الرأى

الدخيل فى طريق التفسير الصوفى .

الدخيل عن طريق الباطنية

ظهور حركة الباطنية وصلتها بالمجوسية وهدفها تأويلات الباطنية.

الدخيل عن طريق القاديانية.

الدخيل عن طريق التفسير العلمى.

موقفنا من هذا التفسير .

الأهداف الخاصة

يتوقع منك أيها الدارس بعد دراسة هذه الوحدة أن تصبح قادراً على معرفة ما يأتي:

١- معنى الدخيل وأنواعه .

٢- موضوع علم الدخيل الآراء المدسوسة على التفسير.

٣- كيفية نشأة هذا العلم وأن التفسير لم يسلم من الدس منذ عصره الأول مما كان له الأثر السيئ على التفسير عامة والمأثور منه بصفة خاصة.

٤- يرجع السبب فى ذلك إلى دخول الكثير من أهل الكتاب فى فهم الكثير من ثقافاتهم إدخال تلك الثقافات فى عملية تفسيرهم للقرآن

الفائدة من دراسة الدخيل

١- الانتفاع بتفسير القرآن علما وعملا .

٢- رد مطاعن الطاعنين على القرآن الكريم.

٣- الوقوف على التفسير السليم للقرآن الكريم.

معنى الدخيل

قال الراغب الأصفهانى فى مادة (دخـل) : والدخـل كناية عن الفساد، والعداوة المستنبطة كالدخل ، وعن الدعوة فى النسب يقال دخل دخلا

قال تعالى ﴿تتخذون أيمانكم دخلا بينكم﴾ [سورة النحل]

فيقال دخل فلان فهو مدخول كناية عن بله فى عقله وفساد فى أصله ومنه قيل شجرة مدخولة والدخل طائر سمى بذلك لدخوله فيما بين الأشجار الملتفة[١]

وقال ابن منظور : والدخل :ما داخل الأنسان من فساد فى عقل أو جسم ويقال (فلان دخيل فى بنى فلان إذا كان من غيرهم فيدخل فيهم ، والأنثى دخيل) وكلمة دخيل أدخلت فى كلام العرب وليست منهم [٢]

وقال صاحب القاموس : والدخل " محركة" ما داخلك من فساد فىعقل أو جسم والغدر والمكر والداء والخديعة والعيب فى النسب والشجر الملتف ، والقوم الذين ينتسبون إلى من ليس منهم والدخيل كل كلمة أدخلت فى كلام العرب وليست منهم[٣] وقال المصباح المنير : وفلان دخيل بين القوم أى ليس

---

١ المفردات للراغب الأصفهانى ص ١٦٦.

٢ لسان العرب المجلد الثانى ص٣٤٢.

٣ القاموس المحيط لمجد الدين الفيروز ابادى ٣/٣٧٥.

من نسبهم بل هو نزيل بينهم ، ومنه قيل هذا الفرع دخيل فى الباب ومعناه أنه ذكر[1] استطرادا وبدون مناسبة ولايشتمل عليه عقد الباب وبذلك نقول إن :

الدخيل فى اللغة

يستعمل فى الأشخاص والألفاظ والمعانى وأنه يطلق على ماليس له أصل فى المحيط الذى تسلل إليه.

والدخيل فى الاصطلاح

هو ما نقل من التفسير ولم يثبت نقله أو ثبت ولكن على خلاف المقبول ، أو ما كان من قبيل الرأى الفاسد[2] .

ونستطيع أن نقول : هو التفسير الذى لا أصل له فى الدين على معنى أنه تسلل إلى تفسير القرآن على حين غفلة من الزمن بفعل مؤثرات معينة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم **وهذه المؤثرات ذات جانبين:**

الأول *جانب خارجى :*

ويتمثل فى أعداء الإسلام الحاقدين عليه من اليهود والنصارى والمجوس الذين أرادوا أن يفسدوا الإسلام ويثيروا الغبار على تعاليمه ويظهروه أمام العالم فى صورة غير لائقة به انتقاماً لأمجادهم الغابرة ، وذلك

[1] المصباح المنير لاحمد بن محمد على المقرى ٢٩٣/١.
[2] أ.د إبراهيم خليفة جـ١ ص٥.

بدس خرافاتهم وأباطيلهم حول القرآن ويقصدون من وراء ذلك فتنة المسلمين في دينهم ، وتشكيكهم في كتاب ربهم.

الثاني ***جانب داخلي :***

ويتمثل في طوائف معينة انتسبت إلى الإسلام زورا ولكنها في الحقيقة تمت بصلة وثيقة إلى اعداء الإسلام السابقين ، ومن هنا سعت هذه الطوائف بنشر الخرافات والأباطيل حوله تمشياً مع المخطط الهدام الذى رسمه أعداء الإسلام ، وتحطيم عقائده وتعاليمه في النفوس(١)

وبعد تعريف الدخيل لغة واصطلاحاً نأتي إلى الكلام عن الدخيل بنوعيه وهو:

١- الدخيل في المنقول *٢- الدخيل في الرأي.*

أولاً : الدخيل في المنقول

لقد كان لهذا النوع من الدخيل أثره مثل الطبرى والبغوى والخازن وابن كثير والقرطبى وأبى السعود وغيرهم على هامش القصص القرآنى والشخصيات والأحداث المذكورة في القرآن على اختلافها روايات مسهبة توضح جزئيات هذا القصص والشخصيات والأحداث وكيفياتها ووقائعها وظروفها منسوبة إلى كعب الأحبار وابن سلام وابن جريج وابن عوف وأبناء

(١) الدخيل جـ١ ص ١٣، ١٤ عبد الوهاب فايد.

منبه وغيرهم من مسلمي أهل الكتاب فيها كثير من المبالغات والغلو والصور العجيبة والغريبة.

وقد سمى الباحثون هذه الروايات بالإسرائيليات واعتبروها من دسائس اليهود التي استغفلوا بها الرواة والمشتغلين بتفسير القرآن ، والحق أن هذه الروايات الإسرائيلية التي امترت بها كتب التفسير كادت تغطي على ما في القرآن من مبادئ وأحكام ووصايا هي جوهر القرآن.

ويلزمنا أن نبين معنى كلمة إسرائيليات والمقصود بها في اصطلاح علماء المفسرين والمحدثين وعلينا أن نعلم أن الدخيل في التفسير أعم من الإسرائيليات ، والإسرائيليات أخص من الدخيل فكل إسرائيليات دخيل ، وليس كل دخيل إسرائيليات ، لأن الإسرائيليات هي الروايات الضعيفة والموضوعة التي لا أصل لها والتي دسها أعداء الأسلام على التفسير ليفسدوا بها عقائد المسلمين بخلاف الدخيل[١]

المقصود بالإسرائيليات في اصطلاح علماء المفسرين والمحدثين

إن لفظ الإسرائيليات [٢] وإن كان يدل بحسب الظاهر على القصص

[١] منحة الجليل في التنبيه على ما في التفسير من الدخيل للدكتور سيد مرسي بيومي ص ١٢٤.

[٢] الإسرائيليات جمع إسرائيلية ، والإسرائيلي أو الإسرائيلية نسبة إلى إسرائيل وهو لقب نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام وعندما تطلق الإسرائيليات في كتب علماء الإسلام فإنهم يريدون بها القصص والأخبار التي تسللت إلى ثقافة المسلمين عن طريق أهل الكتاب من-

الذي يروى أصلا من مصادر يهودية فإن علماء التفسير والحديث يستعملون هذه الكلمة (الإسرائيليات) ويطلقونها على ما هو أوسع وأشمل من القصص اليهودي فهذه الكلمة فـي اصطلاحهم تدل على كل ما تطرق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما بل إن بعض المفسرين المحدثين قد توسع في معنى هذه الكلمة (الإسرائيليات) فعدوا من الإسرائيليات ما دسه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير والحديث من أخبار لا أصل لها في مصدر قديم وإنما هي أخبار من صنع أعداء الإسلام صنعوها بخبث نية وسوء طوية ثم دسوها على التفسير والحديث ليفسدوا بها عقائد المسلمين[1]

كيف تسللت الإسرائيليات إلى التفسير؟

أو ما هي الأسباب التي أدت إلى دخول الإسرائيليات إلى التفسير؟

وهذه الأسباب هي :

١- كان يقيم بين العرب في الجاهلية جماعة من أهل الكتاب كان أغلبهم من اليهود الذين جاءوا من الجزيرة العربية من قديم الزمان ولكن لماذا هاجروا إلى الجزيرة العربية ومتى هاجروا إليها؟

= اليهود والنصارى وأغلب هذه الإسرائيليات تتعلق بما جرى للأولين وما حدث للأنبياء والمرسلين ولا تخلو من تناقض وتهافت وكذب وبهتان لأنها مستمدة من التوراة والإنجيل وهما قد أصابهما التحريف والتبديل منهج ابن عطية للدكتور فايد ص ١٧٨.

[1] الإسرائيليات في التفسير والحديث الذهبي ص ٢٠.

والجواب عن ذلك : أن هؤلاء اليهود هاجروا إلى الجزيرة العربية هجرتهم الكبرى فراراً من العذاب الشديد الذى أنزله بهم تيطس الروماني.

وكانت تلك الهجرة سنة سبعين من ميلاد المسيح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام[1]

وكان اليهود يحملون معهم إلى الجزيرة العربية الثقافات الخاصة بهم التى استمدوها من كتبهم الدينية وما يتعلق بها من شروح وما توارثوه جيلاً بعد جيل من أنبيائهم وأحبارهم ومن المعلوم أن ثقافة اليهود تعتمد على التوراة.

وكثيراً ما يستعمل المسلمون واليهود أنفسهم لفظ التوراة ويطلقونه على كل الكتب المقدسة عند اليهود فيشمل الزبور وغيره وهو ما يسمى بالعهد القديم ، وكان لليهود بجانب التوراة سنن ونصائح وشروح لم تؤخذ عن سيدنا موسى عليه السلام بطريق الكتابة وإنما تحملوها ونقلوها بطريق المشافهة ثم دونت وعرفت باسم التلمود.

٢- ويذكر التاريخ أنه كان للعرب فى الجاهلية رحلات يرحلونها مشرقين ومغربين والقرآن الكريم يحدثنا عن رحلتى قريش إلى الشام وإلى اليمن شتاء وصيفاً وكان بحكم رحلاتهم المختلفة اختلاطهم باليهود والنصارى وكان هناك طوائف من اليهود تقيم فى يثرب بالحجاز وكان النصارى يقيمون فى نجران

[1] تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد على جـ٦ ص ٢٤، بنوا إسرائيل من اسفارهم لمحمد عزت دروزة ص ٣١٥، منحة الجليل للدكتور سيد مرسي.

بـاليمن فكـان مـن الطبيعـى أن تتم اللقـاءات بيـن العـرب مـن جهــة واليهـود والنصارى من جهة أخرى.

ومما لا شك فيه أن هذه اللقاءات كان عاملاً قويـا مـن عوامـل تسـرب الثقافة اليهودية إلى العرب الذين كانت ثقافتهم حينئذ بحكم بداوتهم وجـاهليتهم محدودة ضيقة[١]

٣- دخول جماعات من علماء اليهود وأحبارهم فى الإسلام كعبد الله بـن سلام وعبد الله بن صوريا[٢] وكعب الأحبار وغيرهم ممن كـانت لهم ثقافـات يهودية واسعة وكانت لهم بين المسلمين مكانة مرموقة ومركز ملحوظ وبهذا كله التحمت الثقافة الإسلامية بالثقافة الإسرائيلية بصـورة أوسـع وعلـى نطـاق أرحب[٣]

أضف إلى ذلك أن اليهود كـانوا يتعـالون علـى المسلمين ويتبجحـون بتفوقهم عليهم فى المعارف الدينية وغير الدينية وقد أشار القـرآن الكريـم إلـى ذلك فقال : ﴿وإذا لقوا الذين آمنـوا قـالوا آمنـا وإذا خـلا بعضهـم إلـى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم بـه عنـد ربكـم أفـلا تعقلـون ﴾ [سورة البقرة آيـة ٧٦] وقـال تعـالى﴿وإن منهـم لفريقـاً يلـوون ألسنتهم بالكتـاب

١ الإسرائيليات فى التفسير للذهبى ص ٢٤- ٢٥.

٢ يقال له أيضا ابن صورى ويرى بعض المؤرخين أنه أسلم ثم ارتد إلى يهوديته ، سيرة ابن هشام جـ٢ ص٤

٣ الإسرائيليات فى التفسير والحديث للذهبى ص ٢٦.

لتحسبوه من الكاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهمم يعلمون﴾[سورة آل عمران آية ٧٨]

وقد أشارت إلى ذلك بل صرحت بأن اليهود كانوا يعرضون ثقافتهم على المسلمين فقد أخرج البخاري بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " كان أهل الكتاب يقرؤن عن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا"

فقد وافق بما أخبر به مسلمة أهل الكتاب ما عند الصحابة مما جاء به الشرع الحنيف قطعوا بصدقة ، إن خالفه علموا كذبه وإن لم يتبين حقيقته توقفوا فيه. وهكذا تبين لنا أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا متيقظين لما يأتي إليهم عن طريق مسلمة أهل الكتاب فلم يكونوا يسألون أهل الكتاب عن كل شئ ولن يقبلوا منهم كل شئ بل كانوا يسألون عن أشياء لا تعدوا أن تكون توضيحا للقصة وبيانا لما أجمله القرآن منها ، مع توقفهم فيما يلقى إليهم ، كما أنهم لم يسألوهم عن شئ مما يتعلق بالعقيدة أو يتصل بالأحكام إلا إذا كان على جهة الاستشهاد والتقوية لما جاء به القرآن.

كذلك كانوا لا يعدلون لما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك إلى سؤال أهل الكتاب كما لا يسألون عن الأشياء التي تشبه أن يكون السؤال عنها نوعاً من اللهو والعبث كالسؤال عن لون كلب أهل الكهف ونحوه بل بلغ بهم الأمر أنهم كانوا إذا سألوا أهل الكتاب عن شئ فأجابوا عنه خطأ

ردوا عليهم خطأهم وبينوا لهم وجه الصواب فيه كما حدث بين أبى هريرة وكعب الأحبار من جهة ، وبين أبى هريرة وعبد الله بن سلام من جهة أخرى ، حول تحديد الساعة التى سيجاب فيها الدعاء يوم الجمعة فنجد أباً هريرة كان يراجعها ولا يقبل منها أى شئ دون مراجعة.

ومهما يكن من شئ فإن الصحابة رضى الله عنهم لم يخرجوا عن دائرة الجواز التى فهموها من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار[1]

٤- ولما مضى عصر الصحابة جاء عصر التابعين لم يلزموا أنفسهم بالمنهج الذى كان عليه سلفهم من تمحيص للأخبار التى مصدرها أهل الكتاب ووزنها بميزان الشرع الدقيق وذلك بتصديقها إذا وافقت ما عندنا وتكذيبها إذا كانت مخالفة والتوقف فيها إذا كان مسكوتاً عنها ولكنهم غضوا الطرف عن ذلك وتوسعوا فى الأخذ عن أهل الكتاب فكثرت على عهدهم الروايات الإسرائيلية فى التفسير .

ويرجع ذلك إلى كثرة من دخل من أهل الكتاب فى الإسلام وميل نفوس القوم لسماع التفاصيل عما يشير إليه القرآن من أحداث يهودية أو نصرانية أو غيرها فظهرت فى هذا العهد جماعة من المفسرين أرادوا أن

[1] التفسير والمفسرون جـ١ ص ١٧١، والحديث أخرجه البخارى فى كتاب الأنبياء جـ٦ ص ٧٢ من فتح البارى.

يسدوا هذه الثغرات القائمة فى التفسير -كما يظنون - بما هو موجود عند اليهود والنصارى فملؤوا التفسير بكثير من القصص المتناقضة والروايات التى هى أقرب إلى الخرافة ومن هؤلاء مقاتل بن سليمان المتوفى سنة ١٥٠ هـ الذى نسبه أبو حاتم إلى أنه أستقى علومه بالقرآن من اليهود والنصارى وجعلها موافقة لما فى كتبهم[١]

فلما كان عصر ما بعد التابعين كثرت الروايات الإسرائيلية عن ذى قبل وازداد الأمر سوءاً بل ونجد بعض المفسرين فى هذا العصر لا يرد قولا ولا يتحرج من أن يلصق بالقرآن من الروايات والقصص ما لا يتصوره عقل وما لا يجوز أن يفسر به الكتاب العزيز ، وكتب التفسير التى تعتمد المأثور وبخاصة المطولة مغرمة بهذا القصص على ما فى بعضه من منافاة لعصمة الأنبياء الأمر الذى كان يصد الناس عن النظر فى هذه الكتب والذى جعلهم لا يثقون بما فيها من الروايات ولو كان صحيحاً ولقد ساعد على ذلك وجود بعض من اشتغلوا بالتفسير وهم فى حقيقة الأمر مدخولون فى عقيدتهم أو كذابون على أقل تقدير أمثال محمد بن السائب الكلبى ، ومقاتل بن سليمان ، ومحمد بن مروان السدى الصغير ، فقد كان الكلبى متهما بكونه سبئياً متستراً بحجة أهل البيت والإخلاص لهم ، قال ابن حبان : (كان الكلبى سبئياً من أولئك الذين يقولون إن عليا لم يمت وأنه راجع إلى الدنيا ويملؤها عدلا كما ملئت جوراً , وإن رأوا سحابة ، قالوا أمير المؤمنين فيها . وقال أحمد بن

[١] الأتجاهات المنحرفة فى تفسير القرآن الكريم محمد حسين الذهبى ص ٢٨.

زهير : قلت لأحمد بن حنبل يحل النظر فى تفسير الكلبى قال لا[1]

وذكر السيوطى أن أوهى الطرق عن ابن عباس طريقة الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس فإن انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدى الصغير فهى سلسلة الكذب[2]

أما مقاتل فإنه متهم بالقول بالتجسيم قال ابن حبان كان مقاتل يشبه الرب بالمخلوقات ، وكان يكذب فى الحديث كما كان متهما فى علمه .

قال يحيى بن معين : مقاتل بن سليمان ليس حديثه بشئ ، وقال أحمد ابن حنبل : مقاتل بن سليمان صاحب التفسير ما يعجبنى أن أروى عنه شئ ومن هنا كثرت الإسرائيليات والمرويات الضعيفة والموضوعة فى كتب التفسير بيد أنها كانت مسندة وكان من يفعل ذلك من المفسرين يرى أنه ما دام قد ذكر السند فقد خرج من العهدة وعلى من ينظر فيه أن ينتقد ليعرف درجته على حد قول القائلين من أسند لك فقد حملك ومن هؤلاء ابن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠هـ [3]

ثم جاء بعد ذلك من المفسرين من رووا هذه الإسرائيليات محذوفة السند ولم يتحروا الدقة فيما يكتبون فكان هذا العمل شراً مستطيراً ذلك لأن حذف الأسانيد جعل من ينظر فى كتب التفاسير يظن صحة كل ما جاء فيها

[1] ميزان الاعتدال فى نقد الرجال للذهبى جـ٣ ص ٥٨

[2] الاتقان جـ ٢ ص ١٨٩.

[3] تاريخ الطبرى جـ١ ص ٢٤ -٢٥.

ثقة منه بأصحابها وجعل بعض من كتبوا بعد في التفسير ينقلون عنها ما حوت من أكاذيب وأباطيل معتقدين صحتها وصدقها ويتضح لنا أن أقبال المسلمين على أهل الكتاب في نقل هذه المرويات الإسرائيلية يرجع إلى اعتبارات اجتماعية ودينية كما يقول الذهبي رحمه الله فعد من الأعتبارات الإجتماعية غلبة البداوة والأمية على العرب وتشوقهم لمعرفة ما تتشوق إليه النفوس البشرية من أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود وهم إنما يسألون في ذلك أهل الكتاب قبلهم.

وعد من الإعتبارات الدينية التي سوغت لهم تلقي المرويات في تساهل وعدم تحري للصحة أن مثل هذه المنقولات ليست مما يرجع إلى الأحكام فيتحرى فيها الصحة التي يجب العمل بها.

وسواء أكانت هذه هي كل الأسباب أم كانت هناك أسباب أخرى، فإن كثيراً من كتب التفسير قد اتسع لما قيل من ذلك وأكثر حتى أصبح ما فيها مزيج متنوع من مخلفات الأديان المختلفة والمذاهب المتباينة[1]

خطورة الإسرائيليات وأثرها على التفسير وعلى الإسلام وعلى المسلمين

إن الإسرائيليات التي ادخلها أعداء الإسلام في صورة قصص وحوادث على التفسير لها آثار سيئة نجملها فيما يأتي:

[1] التفسير والمفسرون للذهبي جـ١ ص ١٧٧.

أولاً إفساد عقائد المسلمين

يترتب على وجود هذه الإسرائيليات بين المسلمين ضلالهم وفساد عقائدهم وذلك بما تشتمل عليه من أكاذيب وأباطيل كالتشبيه والتجسيم وفى حق الملائكة والأنبياء والمرسلين بما ينفى العصمة عنهم فقد جاء فى الإصحاح الثامن عشر من سفر التكوين مما لا يليق بجلال الله تعالى عند الكلام عن إهلاك قوم لوط عليه السلام (من أن الله وملكين معه ظهروا لإبراهم فى صورة رجال ثلاثة فحف لاستقبالهم ودعاهم ليستريحوا عنده ويغسلوا أرجلهم ويطعموا فأجابوه فأسرع إلى خيمته وقال لسارة أسرعى بثلاث كيلات دقيقا سميداً أعجنى وأصنعى خبز ملة ، ثم ركض إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلاً رخيصاً وأعطاه لغلامه ليجهزه له ثم أخذ زبداً ولبنا والعجل الذى أعده ووضعه أمامهم فأكلوا وهم جلوس تحت الشجرة ثم أخذ الرب يكلم إبراهيم فى أمر سارة وهلاك قوم لوط ، ولما فرغ من كلامه ذهب الرب ورجع إبراهيم إلى مكانه .....الخ) [١]

ومن نظر فى هذا الكلام وجده مخالفاً لما جاء فى القرآن الكريم فالقرآن حينما يعرض لقصة هلاك قوم لوط عليه السلام يصرح بأن الذين وفدوا على إبراهيم عليه السلام ليسوا إلا ملائكة مرسلين جاءوا فى صورة آدميين فلم يفطن سيدنا إبراهيم لكونهم ملائكة ولذلك قدم لهم طعاماً ، عجلاً

[١] الاصحاح الثامن عشر من سفر التكوين ص ٢٥ -٢٧ من كتاب العهد القديم.

حنيذا فلم يأكلوا فنكرهم ، وأوجس منهم خيفة ، فأعلموه أنهم ملائكة ، أرسلهم الله عز وجل لإهلاك قوم لوط عليه السلام.

فإذا أمعنا النظر فى أحداث القصة كما ذكرها القرآن الكريم تبين لنا أنها نقية تماما من هذا الهراء الإسرائيلى الموجود فى الإصحاح الثامن عشر من سفر التكوين وصدق الله إذ يقول : ﴿ **ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط**﴾ [سورة هود آية ٦٩-٧٠]

ومن الأكاذيب الإسرائيلية التى تتنافى مع عقائد الدين وتطعن فى عصمة الأنبياء والمرسلين فقد جاء فى الإصحاح التاسع عشر من سفر التكوين من أن ابنتى لوط عليه السلام سقتا أبيهما خمراً فزنا بهما وحملتا منه وولدت كل منهما ولداً ابن الكبيرة أبو الموابين وابن الصغيرة ابن بنى عمون إلى اليوم [١]

وهذا مخالف أيضا لما جاء فى القرآن الكريم فالقرآن يصرح فى وضوح بأن لوطا عليه السلام أنكر على قومه الفاحشة فى لون من ألوانها بقوله : ﴿**أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنت قوم عادون**﴾ [سورة الشعراء آية ١٦٥ - ١٦٦]

١ الأصحاح التاسع عشر من سفر التكوين ص ٣٩.

ثانيا الإسرائيليات تظهر الإسلام في صورة دين يهتم بالخرافات

إن هذه الإسرائيليات تظهر الإسلام في صورة دين يهتم بالخرافات منتزعة من عقول مخرفة وخيالات جماعات مضللة وهذا من شأنه أن يمنع الناس من الدخول في الإسلام فيتصورون أنه دين أوهام وأباطيل **ومن أمثلة تلك الأباطيل** ما يروى في صفة آدم عليه السلام من أن رأسه كان يبلغ السحاب أو السماء ويحاكيها فاعتراه لذلك صلع ولما هبط على الأرض بكى على الجنة حتى بلغت دموعه البحر وجرت فيها السفن [١]

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما ذكره بعضهم في تفسير قوله تعالى **﴿ق والقرآن المجيد﴾** [سورة ق آية ١]

حيث قال إن الله تعالى خلق من وراء هذه الأرض بحرا محيطا بها ثم خلق من وراء ذلك البحر جبلا يقال له (قاف) سماء الدنيا مرفوعة عليه ثم خلق الله من وراء ذلك الجبل وسبعة سماوات.

ومن هذا القبيل أيضاً ما يروى من أن الأرض على صخرة والصخرة على قرن ثور فإذا حرك الثور قرنه تحركت الصخرة [٢]

هذه الأباطيل تصور الإسلام على أنه دين خرافة ليس فيه من الفكر ما يقنع العقل وهذا من شأنه أن يصرف الناس عن الدخول فيه.

١ تأويل مختلف الأحاديث ص ٣٣٥.

٢ الإسرائيليات والموضوعات محمد أبو شهبة ص ٤٢٤-٤٢٩.

ثالثاً: عدم الثقة في بعض علماء السلف الصالح

من الآثار السيئة التي تؤدي إليها الإسرائيليات أنها تودي بالثقة في بعض علماء السلف الصالح من الصحابة والتابعين (فقد أسند من هذه الإسرائيليات شئ ليس بالقليل إلى نفر من سلفنا الصالح الذين عرفوا بالثقة والعدالة واشتهروا بين المسلمين بالتفسير والحديث واعتبروا من المصادر الدينية الهامة عند المسلمين فاتهموا من أجل نسبة هذه الإسرائيليات إليهم بأبشع الاتهامات وعدهم بعض المستشرقين ومن مشى في ركابهم من المسلمين وأهله[1]

أقسام الإسرائيليات

قسم العلماء الإسرائيليات إلى أقسام منها :

١- المقبول .

٢- المردود.

٣- المتردد بين القبول والرد.

القسم الأول

ما جاء موافقا لما في شريعتنا وهو بتلك الموافقة يكون صحيحاً لم تمد إليه يد التحريف والتبديل ومثال ذلك ما رواه البخاري عن

[1] الإسرائيليات في التفسير والحديث محمد الذهبي ص ٥٤.

صفة الأرض يوم القيامة فقد أخرج البخارى بسنده عن أبى سعيد الخدرى قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته فى السفر نزلا لأهل الجنة فأتى رجلٌ من اليهود فقال بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة ؟ قال : بلى ، قال : تكون الأرض خبزة واحدة كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فنظر النبى إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجزه[١]

القسم الثاني

ما جاء مخالفا لما في شريعتنا وهو بتلك المخالفة لا يكون صادقاً صحيحاً بل يكون كذباً صريحاً ، ومن أمثلة ذلك ما ورد أن سيدنا سليمان عليه السلام دخل الحمام، فوضع خاتمه عند امرأة من أوثق نسائه في نفسه فأتاها الشيطان فتمثل لها على صورة سليمان فأخذ الخاتم منها ....الخ)[٢]

وفيه غير هذا أن الشيطان كان يأتى نساء سيدنا سليمان ويباشروهن وهن حيض وكن ينكرن ذلك عليه معتقدات أنه سليمان.

فهذا القسم باطل ومردود لأنه مخالف لما جاء فى شريعتنا فإنها تتنافى مع عقائد الدين وتطعن فى عصمة الأنبياء والمرسلين.

١ انظر البخارى كتاب الرقاب باب يقبض الله الأرض يوم القيامة.
٢ الدر المنثور فى التفسر للسيوطى جـ ٥ ص ٣١٦..

القسم الثالث

المسكوت عنه وهو ما ورد عن أهل الكتاب وليس فى شرعنا ما يؤيده ولا ما يخالفه وهذا القسم يجب التوقف فيه فلا يقبل ولا يرد ولا يصدق ولا يكذب من نحو ذكر أسماء أصحاب الكهف ولون كلبهم وعصى موسى من أى الشجر كانت وأسماء الطيور التى أحياها الله لابراهيم وتعيين بعض البقر الذى ضرب به قتيل بنى إسرائيل وهذا لا فائدة فى تعيينه تعود على المكلفين فى دنياهم ولا فى دينهم [1]

حكم رواية الإسرائيليات

إذا ذهبنا نستعرض النصوص الشرعية نجد أنفسنا أمام نصوص كثيرة بعضها يدل على المنع وبعضها الأخر يدل على الإباحة.

أولاً ***أدلة المنع***

جاء فى القرآن نصوص تذهب الثقة بأخبار أهل الكتاب وتبين أنهو بدلوا كتبهم وحرفوها وأخفوا الكثير منها وإذن لا ثقة فيما يحدثون به وكما تقرر فى القواعد (أن ما لا يوثق به لا يجوز روايته) من ذلك :

---

[1] مقدمة فى أصول التفسير لابن تيمية ص ٣٠.

قوله تعالى : ﴿**أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون**﴾ [سورة البقرة آية ٧٥]

ومن ذلك أيضاً قوله جل شأنه عن اليهود:

﴿**وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً**﴾ [سورة الأنعام آية ٩١]

وقوله :﴿ **ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم اخرين لم يأتوك يحرفون الكلم عن مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا**﴾[سورة المائدة آية ٤١]

ومن ذلك قوله جل شأنه عن النصارى : ﴿**ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به ....**﴾ [سورة المائدة آية ١٤]

ثم قوله عن الفريقين – اليهود والنصارى معا ﴿ **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير ، قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين....**﴾ [سوۆ المائدة آية ١٥]

ومن السنة ما أخرجه البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال . كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل

الأسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا أمنا بالله وما أنزل إلينا..)[١]

وما رواه البخارى بسنده عن عبيد الله بن عبد الله أن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذى أنزل على رسول الله صلى الله وسلم أحدث تقرأونه محضا لم يشب، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلاً، الا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم) [٢]

وما أخرجه الإمام أحمد من حديث جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب ، أتى النبى صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه عليه فغضب ، فقال:

أمتهوكون فيها يا بن الخطاب؟ والذى نفسى بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لاتسألوهم عن شئ يخبرونكم بحق فتكذبوا أو بباطل فتصدقوا به ، والذى نفسى بيده لو أن موسى – عليه السلام – كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعنى[٣]

---

[١] سبق تخريج هذا الحديث أثناء الحديث عن الأسباب التى أدت إلى دخول الإسرائيليات فى التفسير.

[٢] البخارى : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة – باب قول النبى صلى الله عليه وسلم – لا تسألوا أهل الكتاب عن شئ جـ١٣ ص ٣٤٥ من فتح البارى . ط دار الريان للتراث.

[٣] انظر مسند الأمام أحمد جـ ٣ ص ٣٨٧.

ثانيا ***أدلة الجواز***

ما جاء فى القرآن من النصوص الدالة على الإباحة وجواز الرجوع إلى أهل الكتاب وسؤالهم عما فى أيديهم فمن ذلك : قوله تعالى مخاطباً نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم : ﴿**فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فأسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك**...﴾ [سورة يونس آية ٩٤]

(فقد أباح الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يسأل أهل الكتاب وكذلك أباح لأمته أن يسألوها لما هو مقرر شرعا ، ومن أن أمر الله لنبيه عليه الصلاة والسلام أمر له ولأمته ما لم يقم دليل على الخصوصية ، والأمر هنا للإباحة كما هو ظاهر) [١]

ومن النصوص الدالة على الإباحة قوله تعالى : ﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾[**سورة آل عمران آية ٩٣**]

وهذا صريح فى جواز الرجوع إلى التوراة والاحتكام إليها ومن النصوص الدالة على جواز التحدث عن بنى إسرائيل وإباحة الأخذ عنهم : قوله تعالى : ﴿**سل بنى إسرائيل كم أتيناهم من آية بينة** ﴾[سورة البقرة آية ٢١١]

وقوله: ﴿**وأسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر** ..﴾[سورة الأعراف آية١٦٣]

---

[١] **الإسرائيليات فى التفسير والحديث للدكتور محمد حسين الذهبى ص ٧٢.**

وقوله جل شأنه : ﴿ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ [سورة الرعد آية ٤٣]

والمراد بمن عنده علم الكتاب كما ذكر الإمام (أبو السعود) فى تفسير الآية : (من هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لأنهم يشهدون بنعمته فى كتبهم ...) [١]

وما جاء فى السنة

ما رواه الإمام البخارى بسنده عن عبد الله بن عمر ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ومن كذب على متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار)[٢]

وما ثبت أن عبد الله بن عمرو ، قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث الذى أباح التحديث عنهم) [٣]

١ تفسير أبى السعود جـ ٥ ص ٢٩.
٢ سبق تخريج هذا الحديث قريباً.
٣ مقدمة فى أصول التفسير ص ٣٤.

التوفيق بين النصوص

وللتوفيق بين ما سقناه من أدلة ظاهرها المنع من الأخذ عن أهل الكتاب وأخرى ظاهرها الإباحة : أقول : كانت بعض نصوص القرآن الكريم قد سجلت عن أهل الكتاب أنهم حرفوا كلام الله بعد ما عقلوه وبدلوه ، وأخفوا الكثير منه، وقد نسوا حظاً مما ذكروا به ، فتلك حقيقة لا مرية فيها بَيْد أنها لا تتعارض مع ما جاء من النصوص الدالة على إباحة الرجوع إليهم وسؤالهم عن بعض ما جاء فى كتبهم من أمور وحقائق جاء بها الإسلام فانكروها واغفلوها ، ليقيم عليهم الحجة والبرهان على صدقه. وإذا ثبت من خلال ما تقدم إن الإسلام أمر بسؤال أهل الكتاب والرجوع إليهم ، فهذا لا يعنى أننا نرجع إليهم فى كل شئ بل فيما لم تمتد إليه يد التحريف والتبديل (من الحقائق التى تصدق القرآن وتلزم المعاندين منهم ومن غيرهم الحجة ، فإن هم ابرزوا ما عندهم على نحو ما جاء عن الله تعالى . قامت الحجة عليهم ، وإن هم حاولوا إخفاءه وكتمانه ، نبه الله نبيه محمداً عليه الصلاة والسلام إلى صنيعهم ، فحال بينهم وبين ما يقصدون ، كما كان من شأنه عليه الصلاة والسلام معهم حينما أرادوا أن يخفوا عنه ما فى التوراة من رجم الزانى المحصن[1]

---

[1] الإسرائيليات فى التفسير للدكتور محمد حسين الذهبى ص ٨٢.

هذا فيما يتعلق بالآيات القرآنية ، وأما ما يتعلق بالأحاديث النبوية فلا يوجد بينها تعارض أيضا، صحيح قد ورد فيها نصوص تفيد نهى النبى صلى الله عليه وسلم وإنكاره على من يسألون أهل الكتاب وأخرى تفيد أباحته صلى الله عليه وسلم للمسلمين بالتحديث عنهم، ولكن إذا أجلنا النظر وأمعناه فى تلك النصوص تبين الآتى : -

١- الحديث الذى رواه جابر والذى يفيد نهى المسلمين عن سؤال أهل الكتاب -السبب فى نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك : (أن ثقافات أهل الكتاب لا يطمأن إليها ولا يوثق بها ، لأنهم قد حرفوا الكلم عن مواضعه ، وغيروا وبدلوا فى كتب الله المنزلة على رسلهم فمن الواجب أن يكون المسلمون على حذر من ثقافاتهم حتى لا يقعوا فى حيرة[١] واضطراب وبلبلة وحتى لا يلتبس عندهم الحق بالباطل ويختلط الحابل بالنابل ويمكن دفع ما يتوهم من التعارض بما نقله ابن بطال عن المهلب أنه قال : (هذا النهى إنما هو فى سؤالهم عما لا نص فيه ، لأن شرعنا مكتف بنفسه، فإذا لم يوجد فيه نص ففى النظر والاستدلال غنى عن سؤالهم ، ولايدخل فى النهى عن الأخبار المصدقة لشرعنا، والأخبار عن الأمم السالفة...) [٢]

٢- أما الحديث الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه والذى يفيد أن أهل الكتاب كانوا يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية (وأن الرسول

---

[١] المدخل فى تفسير القرآن الكريم للدكتور عبد الوهاب فايد جـ١ ص ١١٢.

[٢] فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى. كتاب الأعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبى صلى الله عليه وسلم لا تسألوا أهل الكتاب جـ١٣ ص ٣٤٥-٣٤٦.

صلى الله عليه وسلم أمر المسلمين بأن لا يصدقوهم ولا يكذبوهم ، فيراد منه التوقف فيما يحدث به أهل الكتاب مما يكون محتملا للصدق والكذب إذ لا يتيسر لنا – أن نميز فيما عندهم بين المحفوظ السالم من التحريف وغيره فالاحتياط أن لا نصدقهم، ولا نكذبهم.

ولهذا فقد خصص الحافظ بن حجر النهى الوارد فى هذا الحديث بقوله: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم) أى إذا كان ما يخبرونكم به محتملا لئلا يكون فى نفس الأمر صدقا فتكذبوه أو كذبا فتصدقوه فتقعوا فى الحرج ، ولم يرد النهى عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه ، نبه على ذلك الشافعى رحمه الله) ثم قال: (وعلى هذا نحمل ما جاء عن السلف من ذلك)[1]

٣- وأما الحديث الذى أخرجه البخارى عن عبد الله بن عمرو والذى يفيد أباحة النبى صلى الله عليه وسلم للمسلمين أن يحدثوا عن بنى إسرائيل فقد كانت هذه الإباحة بعد أن أصبح المسلمون لا يخشى عليهم مما عند أهل الكتاب مما يقصونه من أخبار وإباحة التحدث عن بنى إسرائيل إنما تتصرف إلى ما هو مسكوت عنه فى شرعنا ويحتمل صدقه أو كذبه وعلى ذلك يحمل ما كان يحدث به عبد الله بن عمرو من الزاملتين اللتين أصابهما يوم اليرموك

---

[1] فتح البارى بشرح صحيح البخارى – كتاب التفسير . باب قولوا أمنا بالله وما أنزل إلينا ٨ص ٢٠.

أما ما يقطع بصدقه أو كذبه ، فلا يحمل عليه الأذن ، لأن ما كان صادقاً لا يتوقف على إذن ، وما كان كاذباً لا يحتاج إلى منع.

وقال الشافعى رحمه الله من المعلوم أن النبى صلى الله عليه وسلم لا يجيز التحدث بالكذب فالمعنى حدثوا عن بنى إسرائيل بما لا تعلمون كذبه ، وأما ما تجوزونه فلا حرج عليكم فى التحدث به عنهم وهو نظير قوله : إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ولا يرد الأذن ولا المنع من التحدث بما يقطع بصدقه [١]

ومما تقدم نستنتج أن الحكم تدرج من المنع إلى التوقف ، ثم إلى الإذن بالحديث عنهم فيما لا يعلمون صدقة أو كذبه ، وكل مرحلة من هذه المراحل كان لها ما يدعو إليها . قال ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث، موفقا بين تلك المراحل الثلاث وكأن النهى وقع قبل استقرار الأحكام الأسلامية ، والقواعد الدينية خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الأذن فى ذلك لما فى سماع الأخبار التى كانت فى زمانهم من الأعتبار [٢]

ومن كلام ابن حجر – رضى الله عنه– يفهم أن النهى عن الرجوع إلى أهل الكتاب كان ذلك فى مبدأ الإسلام مخافة الفتنة والتشويش وإن الإذن والإباحة كان بعد استقرار أصول الشريعة الأسلامية وزوال المحظور ، وأذن

---

١ فتح البارى – كتاب أحاديث الأنبياء – باب ذكر عن بنى إسرائيل جـ٦ ص ٥٧٥-٥٧٦.

٢ المصدر السابق نفس الجزء والصفحة.

فلا تعارض بين النصوص وأجمال القول في ***هذه المسألة ينحصر في ثلاثة أقسام***

١- **ما وافق شريعتنا من الأسرائيليات تجوز روايته** للاستشهاد لا للاعتقاد ، وعليه تحمل النصوص القرآنية الدالة على إباحة الرجوع إلى أهل الكتاب وعليه أيضا يحمل حديث (حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج)

إذ معناه : حدثوا عنهم بما تعلمون صدقة فليس من المعقول أن يمنع الرسول صلى الله عليه وسلم التحديث بما شهد له شرعنا وجاء مصدقاً له.

٢- **وما خالف شريعتنا لا تجوز روايته** إلا على سبيل الإبطال والإنكار، إذ أن رواية المخالف لما عندنا يعد كذبا – وبهتانا ولا يعقل أن يبيح الله ولا رسوله رواية المكذوب أبدا.

٣- **أما ما سكت عنه شرعنا** ولم يكن فيه ما يشهد لصدقه ولا لكذبه – وكان محتملا– فحكمه أن نتوقف في قبوله ، فلا نحكم عليه بصدق أو كذب، وعليه يحمل قول النبى صلى الله عليه وسلم (لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم).

وأما عن رواية هذا القسم المسكوت عنه ، فإن بعض العلماء كابن تيمية رحمه الله – أجاز روايته [١] انطلاقا من الأذن الوارد في قوله صلى الله عليه وسلم : (حدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج) غير أنى فى هذا المقام

---

١ الدخيل في تفسير القرآن الكريم د. عبد الوهاب فايد جـ١ ص ١٥٧ مطبعة حسان.

لا أرى فرقا بين القبول والرواية فمــا دمنـا قـد توقفنـا فـى قبولـه فلمـاذا نجـيز روايته ، وفيها من الأيهام بتصديقها ما فيها؟

ولست بدعا فى هذا الرأى فقد سبقنى إليـه عالمـان جليـلان وهمـا الأستاذان - الدكتور عبد الوهاب فايد، والدكتور محمد أبو زهر- ومن المفيـد أن نذكر هنا ما أورداه فى هذا الصدد تجلية هذا الأمر

أولاً : يقول د.فايد - ولكنى أرى أن هذا القسم المسكوت عنه وهـو الـذى لا نعلم صدقه ولاكذبه- لا تجوز روايتـه بـل يجـب أن نتوقـف فـى روايتـه كمـا توقفنا فى قبوله، فمن الأحوط أن نتوقف كذلك فى روايته.

ثانيا : يقول د. أبو زهر ويرى بعضهم أن معنى حديث عبد الله بن عمر : حدثوا عن بنى إسرائيل بما يثبت لديكم كذبـه فـى المواعـظ والقصـص لا فـى العقائد والأحكام وحمل الحديث على هذا المعنى غير مرض عندنـا وذلـك لأن ما لم يثبت كذبه نوعان أحدهما ما ثبت صدقه، وهذا تجوز حكايته باتفـاق ولا ينبغى أن يخص بالمواعظ والقصص.

وثانيهما ما لـم يثبـت صدقـه ولا كذبـه ، ولا فـائدة تعـود علـى المسـلمين مـن التحديث بهذا النوع بعـد قولـه صلـى اللـه عليـه وسلم فيـه (لا تصدقـوا أهـل الكتاب ولاتكذبوهـم) الحديث- وشـرعنا والحمـد للـه - مكتـف بنفسـه وليـس بحاجة إلى مثل هذا ، ففيه من العقائد والأحكام والأخـلاق والآداب والمواعظ

والأمثال ما فيه كفاية وذكرى لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد[١].

وممن أرتأى هذا الرأى كذلك فضيلة الشيخ أحمد شاكر رحمه الله حيث بين أن مثل هذه الإسرائيليات – وإن جاز التحدث بها فإنه لا يجوز أن تذكر فى مقام التفسير للقرآن الكريم –فقال: (إن أباحة التحدث عنهم – أى عن أهل الكتاب – فيما ليس عندنا دليل على صدقه ولاكذبه – شئ وذكر ذلك فى تفسير القرآن وجعله قولا أو رواية فى معنى الآيات ، أو فى تعين ما لم يعين فيها أو فى تفصيل ما أجمل فيها شئ آخر لأن فى إثبات مثل ذلك بجوار كلام الله ما يوهم أن هذا الذى لا نعرف صدقه ولا كذبه مبين لقول الله سبحانه ومفصل لما أجمل فيه ، وحاشا لله ولكتابه من ذلك . وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن بالتحدث عنهم–أمرنا أن لا نصدقهم ولانكذبهم فأى تصديق لرواياتهم وأقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب الله ونضعها منه موضع التفسير والبيان اللهم غفرا)[٢]

ورأى الشيخ شاكر جدير بالقبول وقد وافقه بالرأى أستاذنا المرحوم الدكتور محمد حسين الذهبى حماية لكتاب الله عز وجل عن لغو الحديث ، وصونا عن الفضول والتزيد بما لا طائل تحته ولا خير فيه [٣]

---

[١] الحديث والمحدثثن ص ١٩٠– ١٩١ جـ الناشر – دار الكتاب العربى.

[٢] عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير جـ١ ص ١٥ دار المعارف بيروت سنة ١٣٧٦هـ.

[٣] الإسرائيليات فى التفسير والحديث ص ٢٨١.

الأحاديث الموضوعة

الحديث الموضوع فى اصطلاح علماء الإسلام - هو المختلق المصنوع ، وهو شر أنواع الضعيف كما يقول الإمام النووى رحمه الله - [١]

وإنما كان الموضوع شر أنواع الأحاديث الضعيفة وأقبحها لأنه ينسب كذبا وزورا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى ذلك أسوأ العواقب وأشنع الآثار .

ولهذا جاءت تحذيرات النبى صلى الله عليه وسلم من أن يقال عليه ما لم يقل وتوعده من يسلك هذا المسلك بنار جهنم يوم القيامة يقول صلى الله عليه وسلم : (من تعمد على كذبا فليتبوأ مقعده من النار) [٢]

وليس ثمة أشنع من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ الكذب عليه ليس ككذب على أحد ، وفى هذا يقول صلوات الله وتسليمه عليه (إن كذبا على ليس ككذب على أحد فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)[٣]

---

١ تدريب الراوى جـ ص ٢٧٤ ط دار الكتب الحديثة.

٢ أخرجه مسلم فى مقدمة كتابه بشرح النووى باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أنس بن مالك جـ ١ ص ٦٦

٣ أخرجه مسلم عن المغيرة جـ ١ ص ٥٩-٧٠.

ومن ثم فقد عد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكبر الكبائر وأقبح الذنوب بل عده بعض العلماء كفرا فقد جزم الشيخ أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين بتكفير واضع الحديث [١]

هذا وقد نشأ الوضع في التفسير مع نشأته في الحديث ، لأنهما كانا أو الأمر مزيجا لا يستقل أحد عن الأخر فكما أننا نجد في الحديث الصحيح والحسن والضعيف ، وفي رواية من هو موثوق به ومن هو مشكوك فيه ، ومن عرف بالوضع ، نجد مثل ذلك فيما روى من التفسير ومن روى من المفسرين ، وكان مبدأ ظهور الوضع في الحديث.كما يقول كثير من العلماء – سنة أربعين أو إحدى وأربعين من الهجرة [٢]

أي في أواخر عصر الخلفاء الراشدين وأوائل عصر بني أمية حين وقعت الفتنة بين المسلمين بقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه، واختلف المسلمون سياسيا وتفرقوا إلى شيعة وخوارج وجمهور أهل السنة ، ووجد من أهل البدع من روجوا لبدعهم ، وتعصبوا لأهوائهم ودخل في الإسلام من تبطن الكفر والتحف الإسلام بقصر الكيد له ، وتضليل أهله، فوضعوا ما وضعوا من روايات باطلة ليصلوا بها إلى اغراضهم السيئة ورغباتهم الخبيثة.

---

[١] تدريب الراوي جـ١ ص ٢٧٤

[٢] انظر التفسير والمفسرون للدكتور محمد الذهبي جـ١ ص١٥٩ أصول الحديث للدكتور محمد أبو شهبة ص ٧٢ والسنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور مصطفى السباعي ص ٧٦.

أسباب الوضع

أولاً ***الزندقة :***

تطلق الزندقة على أتباع دين المجوس مع التظاهر بالإسلام وقد أتسع أطلاق الزندقة فصارت تطلق على الملحدين الذين لا دين لهم كما أطلقت أيضا على الإباحيين الذين يتبجحون بالقول فيما يمس الدين وكان الطريق الذى سلكه الزنادقة [١] لانتشار الزندقة هو الكذب على رسول الله لإثارة الشبه والطعون رغبة منهم فى تنفير الناس منه والتحليل من أحكامه حتى تضعف قوة المسلمين[٢] فيتمكن هؤلاء من استعادة سلطانهم الزائل وأمجادهم الغابرة فهم يكرهون الإسلام كدين ودولة ذلك لأنه هو الذى أنهى عروشهم المتسلطة ورعايتهم القائمة على تضليل الشعوب فى عقائدها وخداعها فى حقوقها الأمر الذى جعلهم يعتنقون الإسلام ظاهرا ويدخلون فيه تقية من أهله ، بغية الكيد لهم حيث لم يجدوا سبيلا إلا الدس على نبى الإسلام فى سنته الشريفة فراحوا يضعون الأحاديث ويدسون فيها سمومهم وأفكارهم قاصيدين إفساد الشريعة الإسلامية وإيقاع الخلط والخبط فى الأمة المحمدية .

---

[١] هم المبطنون للكفر المظهرون للإسلام أو الذين لا يدينون بدين فتح المغيث جـ١ ص ٢٣٩ للسخاوى

[٢] السنة النبوية فى مواجهة التحدى أحمد عمر هاشم ص ١٠٣.

قال السيوطى فى تدريب الراوى : (وضعت الزنادقة جمل من الأحاديث يفسدون بها الدين فبين جهابذة الحديث أى نقاده – أمرها ولله الحمد

روى العقيلى بسنده إلى حماد بن زيد قال : وضعت الزنادقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة عشر ألف حديث ، منهم عبد الكريم ابن أبى العرجاء الذى قتل وصلب فى زمن المهدى، قال ابن عدى : لما أخذ يضرب عنقه قال : وضعت فيكم أربعة الآف حديث أحرم فيها الحلال وأحلل الحرام ، قال الحاكم : وكمحمد بن سعيد الشامى المصلوب فى الزندقة فروى عن حميد عن أنس موفوعاً : (أنا خاتم النبين لا نبى بعدى إلا أن يشاء الله) وضع هذا الاستثناء لما كان يدعو إليه من الإلحاد والزندقة والدعوة إلى التنبؤ) [١]

ومن هؤلاء الزنادقة ، بيان ابن سمعان النهدى الذى ظهر بالعراق بعد المائدة وأدعى – لعنة الله – ألهية على كرم الله وجهه، وزعم مزاعم فاسدة فقتله خالد بن عبد الله القصرى على ذلك وأحرقه بالنار [٢]

إن الزنادقة وضعوا قدرا كبيرا من الأحاديث فى العقائد والأخلاق والحلال والحرام يفسدون بها الدين ، ولكن الله قيص للأمة الأسلامية من يحفظ لها وينها من إفساد هؤلاء الزنادقة وعبثهم فقام جهابذه الحديث ونقاده ببيان هذه الأحاديث الموضوعة وكشفوا عن بطلانها.

---

[١] جـ١ ص٢٨٤ .

[٢] المال والنحل للشهر استانى

ثانيا : الخلافات السياسية والدينية:

نجحت تلك فى الأمة الاسلامية بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه وعلى أثر أنقسام المسلمين إلى شيعة وهم الذين شايعوا على وقبلوا التحكيم وإلى خوارج وهم الذين خرجوا على على بعد قبوله التحكيم أنصرفوا عنه لانهم يعدون قبول التحكيم كفرا وإلى جمهور المسلمين من أهل السنة والجماعة وهم الذين وقفوا على الحياد ولم يغمسوا أيدهم فى تلك الفتنة ولم يلوثوها ببدعة الخروج أو التشيع وكان بالطبع لكل طائفة من هذه الطوائف أراء ومذاهب فى السياسية والدين ، ومن ذلك الحين غالى كل فريق فى رأيه وأشتط كل حزب فى عقيدته حتى أصبح لكل طائفة منزع دينى خاص الأمر الذى حمل كل فريق على أن يستبيح لنفسه وضع أحاديث تؤيد مذهبه وتنصر رأيه ويالبت الأمر وقف عند هذا الحد بل تجاوزه إلى أن تأويل بعضهم النصوص القرآنية على غير وجهها السليم وحملوا ألفاظها بما لا تحتمل ولما حيل بينهم وبين العبث بالقرآن ولجوا على المسلمين من باب السنة فاطوا الصحيح بغيره ووضعوا أحاديث فى فضائل أئمتهم ورؤساء أحزابهم بهذا الوضع انغمست الفرق السياسية فى حمأة الكذب وكانت الراقضة [1] أكثر هذه الفرق كذبا ووضعا للحديث فقد سئل مالك بن أنس عن الرافضة ؟

---

[1] الرافضة فرق من شيعة الكوفة سموا بذلك لأنهم رفضوا أى تركوا زيد بن على بن الحسين – رضى الله عنه – حين نهاهم عن الطعن فى الصحابة فلما عرفوا مقالته ، وأنه لا يبرأ من

فقال (لا تكلمهم ولا ترو عنهم فإنهم يكذبو) [١]

وروى الخطيب بسنده عن حماد بن سلمة قال : أخبرنى شيخ من الرافضة أنهم كانوا يجتمعون على وضع الحديث [٢]

وأما الخوارج فقد كانوا أقل الفرق في الكذب إلا أن بعض الرؤساء منهم وقع فى الكذب بوضعه أحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتأيد مذاهبهم الباطلة فها هو ذا ابن الجوزى فى مقدمة كتاب الموضوعات يروى عن ابن لهيعة أنه قال : سمعت شيخاً من الخوارج تاب ورجع فجعل يقول إن هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم فإنا كنا إذا هوينا أمرا صيرناه حديثاً [٣]

وأما الشيعة فقد كثر الوضع منهم فى أغراض شتى حسب أهوائهم ونزعاتهم ، فمن الأخبار التى وضعوها فى مناقب على ما ذكره السيوطى فى اللالئ المصنوعة فى الأحاديث **الموضوعة هذه الأحاديث المكذوبة :**

الشيخين رفضوا ومن ثمة استعمل هذا اللقب فى كل من غلا فى هذا المذهب وأجاز الطعن فى الصحابة – اهـ من المصباح المنير.

١ منهاج السنة جـ ١ص ١٣

٢ تدريب الراوى جـ١ ص ٢٨٥ والموضعات جـ١ ص ٣٨-٣٩.

٣ جـ ١ ص ٣٨ -٣٩.

١- (يا على أخصك بالنبوة بعدى وتخصم الناس بسبع ولا يحاجك أحد من قريش أولهما إيمانا بالله ، وأوفاهم بعهد الله وأقومهم بأمر الله وأقسمهم بالسوية وأعد لهم فى الرعية وأبصرهم بالقضية)[١]

٢- إن لكل نبى وصيا ووارثا وإن وصيى ووارثى على بن أبى طالب[٢] إلى غيرذلك من الأحاديث المكذوبة الموضوعة والروايات الباطلة.

ثالثاً : *التعصب العنصرى :*

من أسباب الوضع فى الحديث التعصب العنصرى وفى هذا الصدد وضعت الشعوبية [٣] بعض الأحاديث فى تفضيل الفرس على العرب وفى تفضيل بلداتهم وعلمائهم وكذلك اللغة الفارسية على غيرها.

مثل حديث : (إن كلام الله حول العرش بالفارسية وإن الله إذا أوحى أمر فيه شدة أوحاه بالعربية)

قال الشوكانى : هذا الحديث رواه ابن عدى عن أبى أمامة مرفوعا، وهو موضوع وباطل لا أصل له . وكل ما ورد فى هذا المعنى فهو موضوع فقد تعسف من زعم غير ذلك[٤]

---

١ جـ١ ص٣٢٣.

٢ المصدر السابق جـ١ ص ٣٥٩.

٣ الشعوبية بالضم فرقة تحقر أمر العرب وتفضل العجم عليهم وإنما نسب إلى الجمع لأنه صار علما لغلبته على الجيل الواحد.

٤ الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة ص ٣١٤.

ومن ذلك ما وضعوه في منقبة أبي حنيفة النعمان لأنه من أصل فارسي وذم الشافعي لأنه عربي مثل حديث : (يكون في أمتي رجل يقال له محمد بن أدريس أضر على أمتي من أبليس ، ويكون في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة هو سراج أمتي هو سرا أمتي) [١]

ومن أمثلة ما وضعوه في هذا المجال جديث : (يكون في أمتي رجل يقال له النعمان بن ثابت يكنى أبو حنيفة يحيى الله على يديه ديني وسنتي)[٢]

رابعاً *التعصب المذهبي :*

وذلك أن هذا التعصب الممقوت قد يدفع بعض الفرق الدينية من جهلة المتمدهبين بالمذاهب الفقهية إلى وضع أحاديث تؤيد وتشهد لهم بصحة ما ترى ، ومن ذلك ما روى أنه قيل لمحمد بن عكاشة الكرماني : إن قوما يرفعون أيديهم في الركوع وفي الرفع منه فقال حدثنا المسيب بن واضح عن أنس مرفوعاً :(من رفع يديه في الركوع فلا صلاة له)[٣]

قال الشوكاني : رواه الجوزقاني عن أنس مرفوعا وهو موضوع والمتهم به : محمد بن عكاشة الكرماني[٤]

---

١ تدريب الراوي جـ١ ص ٢٧٨.
٢ تدريب الراوي جـ١ ص ٢٧٨.
٣ الموضوعات لابن الجوزي جـ١ ص ٤٩.
٤ الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص ٢٩.

وهكذا كان للتعصب المذهبى أثاره السيئة فى وجود الدخيل على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

خامساً ***استرضاء الخلفاء والحكام بما يوافق هواهم:***

ووجد ذلك عند من لا يتقون الله فى دينهم ، فاشتروا الدنيا بالآخرة وتقربوا إلى السلطان وغيره بالفتاوى الكاذبة ، فقاموا بوضع أحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رغبة فى عرض من أغراض الدنيا ، وتزلفا للخلفاء والأمراء بما يساير أهواءهم .ومن أمثلة ذلك :

ما فعله غياث بن إبراهيم النخعى حيث وضع للمهدى فى حديث (لا سبق إلا فى خف أو نصل أو حافر) فزاد فيه [١] أو جناح وكان المهدى يحب الحمام ويلعب به ، فتركها بعد ذلك وأمر بذبحها وقال أنا حملته على ذلك ، وذكر أنه لما قام قال : أشهد أن قفاك قفا كذاب[٢]

سادساً ***الجهل بالدين مع الرغبة فى الخير:***

وهو صنيع قوم من الزهاد والعباد والجهلة ، فقد كانوا يستبيحون لأنفسهم وضع الأحاديث فى الترغيب والترهيب ونحوهما – ظنا منهم – أنهم

[١] رواه الخمسة ، ولم يذكر فيه ابن ماجه " أو نصل " انظر نيل الأوطار للشوكانى جـ٨ ط ٥ مصطفى الحلبى .

[٢] الموضعات جـ١ ص ٤٢ وتدريب الراوى جـ١ ص ٨٥-٨٦ والباعث الحثيث ص ٧١.

بذلك يتقربون إلى الله ويحسبون أنهم يحسنون صنعا ومن أمثلة ما وضعوه فى هذا المجال (ما رواه الحاكم بسنده إلى أبى عمار المروزى أنه قال لأبى عصمة نوح بن أبى مريم : من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس فى فضائل القرآن سورة سورة يس عند أصحاب عكرمة هذا ؟

فقال : إنى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن وأشتغلوا بفقه أبى حنيفة ومغازى ابن أسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة وكان يقال لأبى عصمة هذا ' نوح الجامع'

قال ابن حبان : جمع كل شئ إلا الصدق.

وروى ابن حبان فى الضعفاء عن ابن مهدى قال : قلت لميسرة ابن عبد ربه : من أين جئت بهذه الأحاديث؟ : من قرأ كذا فله كذا ؟ قال : وضعتها أرغب الناس ، وكان غلاما جليلاً يتزهد ويهجر شهوات الدنيا ، وغلقت أسواق بغداد لموته ومع ذلك كان يضع الحديث[1]

ومن هؤلاء أيضاً غلام خليل وهو : أحمد بن محمد بن غالب الباهلى كان ، معروفاً بالزهد ، قال له عبد الله النهاوندى : ما هذه الرقائق التى تحدث بها ؟ قال وضعناه لنرقق بها قلوب العامة [2]

---

[1] تدريب الراوى جـ١ ص ٢٨٢ - ٢٨٣.

[2] ميزان الاعتدال للذهبى جـ١ ص ١٤١.

ولقد أتخذ بعض المبتدعة الجهلة جواز الوضع مذهباً له يقولون به وخاصة فى مجال الترغيب والترهيب ويظنون أن ذلك جائز فى الدين ولما أنكر العلماء عليهم قبح صنيعهم قالوا نحن نكذب له - له عليه - وهذ هو منشأ جهلهم بالدين إذ إن فعلهم هذا من كمال جهلهم وقد قام بالرد على هؤلاء ابن عراق الدمشقى فقد فند شبهته وأوضح أن عملهم هذا من نزغ الشيطان فقال : إنهم قوم ينسبون إلى الزهد حملهم الدين الناشئ عن الجهل على وضع أحاديث في الترغيب والترهيب ليحثوا الناس بزعمهم على الخير ويزجروهم عن الشر وقد جوز ذلك الكرامى وكذا بعض المتصوفة كما قال الحافظ ابن حجر[١]

سابعاً *القصاصون الذين يطلبون الدنيا بالدين :*

فقد ظهر زمن التابعين وتابعيهم جماعة من ادعياء العلم والمرتزقة يطلبون الدنيا بالدين ويحتالون على ذلك بالقصص والوعظ وقد كانوا يطوفون بالمساجد والأسواق ، ويقصون من غرائب القصص وعجائب الروايات ، ما يستهوى العامة ، ويثير إعجابهم بغية التكسب والارتزاق والظفر بما يطلبون على أن البعض منهم كان سئ النية يقصد الإفساد فى الدين ومن شأن العوام القعود عند القصاص ما كان حديثهم غريبا وعجيبا يرقق القلوب ويبكى

١ تنزيه الشريعة جـ١ ص ١٢.

العيون قال ابن الجوزى : (معظم البلاء فـى وضـع الحديث إنمـا يجـرى مـن القصاص لأنهم يريدون أحاديث ترقق وتنفق والصحاح تقل فى هذا)[١]

ومن عجيب أمر هؤلاء القصاص أنهم كانوا بعـد أن ينتهـوا مـن القـاء قصصهم يعمدون إلى استجداء الناس وسؤالهم العطاء وفى سبيل ذلك وضعـوا الأكاذيب والمناكير من الأحاديث على رسول الله صلى اللـه عليـه وسلم قـال القرطبـى : كـانوا يضعـون الأحـاديث علـى رسـول اللـه بأسـانيد صحـاح قـد حفظوها فيذكرون الموضوعات بتلك الأسانيد[٢]

وتذكر هنا مثالاً كدليل على جرأتهم ووقـاحتهم فقد ذكر الشـعبى عن نفسه قال : بينما عبد الملك بن مـروان جـالس وعنده وجـوه النـاس مـن أهـل الشام قال لهم : من أعلم أهل العراق؟

قالوا : ما نعلم أحدا أعلم من الشعبى فدخلت أصلى فى المسـجد ، فـإذا بى إلى جانبى شيخ عظيم اللحية قد طاف به قوم فحدثهم فقال : حدثنـى فـلان عن فلان يبلغ به النبى صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى خلق صورين فـى كل صور نفختين : نفخة الصعق ونفخـة القيامـة، قـال الشـعبى : فلـم أضبـط نفسى أن خففت صلاتى ثـم أنصرفت فقلت يـا شـيخ أتقـى اللـه ، ولا تحدثنـا بالخطأ ، أن الله تعالى لم يخلق الا صـورا واحـدا وإنمـا هـى نفختـان ، نفخـة الصعق ونفخة القيامة فقال لى يا فاجر إنما يحدثنى فلان عن فلان. وترد على

---

١ الموضوعات لابن الجوزى جـ١ ص ٤٤.

٢ تفسير القرطبى جـ١ ص ١٦٩.

ثم رفع له ضربني بها وتتابع القوم على ضربا معه فوالله ما أقلعوا عني حتى حلفت لهم أن الله خلق ثلاثين صورا ، له في كل صور نفخة فأقلعوا عني ، فرحلت حتى دخلت دمشق ودخلت على عبد الملك فسلمت عليه فقال لي يا شعبي بالله حدثني بأعجب شئ رأيته في سفرك فحدثته حديثي الأمتقدم فضحك حتى ضرب برجله[١]

ثامنا ما كان الدافع إليه حب الظهور:

إنهم قوم حملهم الشر ومحبة الظهور على الوضع ، فجعل لذي الإسناد الضعيف إسنادا صحيحاً مشهورا، وجعل بعضهم للحديث إسنادا غير إسناده المشهور ليستغرب ويطلب ، قال الحاكم أبو عبد الله ومن هؤلاء إبراهيم بن اليسع وهو ابن أبي حية كان يحدث عن جعفر الصادق وهشام بن عروة فيركب حديث هذا على حديث ذاك لتستغرب تلك الأحاديث بتلك الأسانيد قال ومنهم حماد بن عمرو النصيحي وبهلول بن عبيد وأصرم بن حوشب قال الحافظ ابن حجر : وهذا داخل في قسم المقلوب وقال القاضي تاج الدين السبكي : في طبقات الشافعية الكبرى نقلا عن السؤالات الحديثة التي سأل الحافظ أبو سعد إن سألك عنها الأسناد أبا أسحاق الإسفراييني إن من قلب الإسناد ليستغر حديثه ويرغب فيه يصير دجالا كذابا تسقط جميع أحاديثه وإن رواها على وجهها[٢]

١ تحذير الخواص من أكاذيب القصاص للسيوطي ص ٦٩-٧٠.

٢ تنزيه الشريعة لابن عراق جـ١ ص ١٥.

علامات الوضع

من علامات الوضع ما يأتى :

منها ما يرجع إلى حال الراوى ومنها ما يرجع إلى حال المروى ومنها ما يشتمل على الأمرين معا

فأما الذى يرجع إلى حال الراوى وهو مسند الحديث ما يأتى :

١- أن يقر الراوى بأنه وضع الحديث فتلك قرينة فى الراوى تدل على كذبه فيما يقول وكذلك مثل الحديث الذى رواه نوح بن أبى مريم عن عكرمة عن ابن عباس فى فضائل القرآن بصورة صورة فقد اعترف نوح بوضعه وقال إنى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن وأشتغلوا بفقه أبى حنيفة ومغازى ابن أسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة وكما أقر مسيرة بن عبد ربه الفارسى بأنه وضع أحاديث فى فضائل القرآن ، وأنه وضع فى فضل على سبعين حديثا[١]

وقد أعترض ابن دقيق العهد على الحكم بالوضع باقرار من أدعى وضعه كيف يعمل بقوله مع أعترافه بالوضع ؟

[١] الباعث الحثيث ص ٦٧- ٦٨.

ثم أجاب عن هذا الاعتراض بقوله وهذا كاف فى رده لكن ليس بقاطع فى كونه موضوعا لجواز أن يكذب فى هذا الإقرار بعينه [١] قال ابن عراق وإنما هو مؤاخذة له بموجب إقراره كما يؤاخذ الشخص باعترافه بالزنا والقتل ونحوهما.

٢- ما ينزل منزلة إقراره بالوضع بأن يكون هناك قرينة مانعة مع صحة الحديث كأن يروى الحديث عن شيخ ثم يثبت لقاؤه به أو ولد بعد وفاته أو لم يدخل المكان الذى قصده فيه قال السيوطى : سأل إسماعيل بن عباس رجلاً اختبارا : - أى سنة كتبت عن خالد بن معدان ؟ فقال سنة ثلاثة عشرة ومائة فقال أنت تزعم أنك سمعت منه بعد موته بسبعة سنين فإنه مات سنة ست ومائة وسأل الحاكم محمد بن حاتم الكتبى عن مولده لما حدث عن عبد بن حميد فقال سنة ستين ومائتين فقال هذا سمع من عبد بعد موته بثلاث عشرة سنة [٢]

ولهذا فلقد المحدثون بمعرقة وفيات الرواة ومواليدهم ومقدار أعمارهم وهو فن عظيم يعرف به أتصال السند وانقطاعة ويعرف به كذلك الكذابون والمدلسون ، قال فيان الثورى: لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ: أما العلامات التى ترجع إلى حال المروى أقصد متن الحديث فهى:

---

١ تدريب الراوى حـ -ص ٢٧٥.

٢ تدريب الراوى جـ ٢ ص ٣٤٩.

١- أن يكون الحديث ركيكا فى معناه سواء أجتمعت مع ركاكة المعنى ركاكة اللفظ قال الحافظ ابن حجر: المدار فى الركة على ركة المعنى فحيثما وجدت دلت على الوضع وأن لم يتضمن إليها ركة اللفظ لأن هذا الدين كله محاسن والركة ترجع إلى الرداءة أما ركاكة اللفظ فقط فلا تدل على ذلك لاحتمال أن يكون رواه بالمعنى فغير ألفاظه بغير فصيح[١]

ومثال ركاكة المعنى ما نسبوه كذبا إلى النبى صلى الله عليه وسلم (لا تذبحوا الديك فأنه صديقى وأنا صديقه.....الخ)حكم ابن الجوزى بوضعه [٢]

٢- أن يكون مخالفا للعقل بحيث لا يقبل التأويل ويلتحق به ما يدفعه الحس والمشاهدة فمثال الأول ما رواه ابن الجوزى من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده مرفوعاً:

أن سفينة نوح طافت بالبيت سبعا ، وصلت عند المقام ركعتين [٣] قال ابن الجوزى إذا رأيت الحديث يباين المعقول أو يخالف المنقول أو يناقض الأصول فأعلم أنه موضوع.

ومثال الثانى وهو ما يدفنه الحس والمشاهدة خبر: (إنما الباذنجان شفاء من كل داء ولا داء فيه) [٤]

---

١ تدريب الراوى جـ١ ص ٢٧٦ والباعث الحثيث ص ٦٨-٦٩.

٢ الموضوعات جـ٣ ص ٣.

٣ تدريب الراوى جـ١ ص ٢٧٣.

٤ الموضوعات لابن الجوزى جـ٢ ص ٣٠١.

٣- إن يكون الحديث مخالفا لصريح القرآن الكريم وذلك مثل حديث إذا روى عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فإذا وافقه فاقبلوه وأن خالفه فردوا قال عنه الشوكاني : قال الخطابي: وضعته الزنادقة ويدفع حديث أوتيت الكتاب ومثله هكذا قال الصنعاني وقد سبقهم إلى نسبة وضعه إلى الزنادقة يحيى بن معين كما حكاه الذهبي على أن فيه ما يدل على رده لأننا إذا عرضناه على كتاب الله خالفه ففي كتاب الله [وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا]

٤- إن يكون مخالفا للسنة النبوية وذلك مثل حديث إذا حدثتم عني بحديث يوافق الحق فخذوا به حدثت به أو لم أحدث ، فهو مناقض لقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح المتواتر (من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)[1]

٥- أن يكون مخالفا للإجماع وذلك مثل حديث من قضى صلاة من الفرائض في آخر جمعة من شهر رمضان كان ذلك جابرا لكل صلاة فأتته في عمره إلى سبعين سنة .

قال القاري عن هذا الحديث باطل لأنه مناقض للإجماع على أن شيئا من العبادات لا يقوم مقام فائتة سنوات [2]

---

[1] الدخيل عبد الوهاب فايد جـ٢ ص ٢٦.

[2] كشف الخفاء جـ٢ ص ٣٧٠.

٦- أن يكون الحديث مخالفا للوقائع التاريخية المقطوع بصحتها وذلك مثل حديث لما أسرى بى من السماء أدخلنى جبريل الجنة فناولنى تفاحة فأكلتها ، فصارت نطفة فى صلبى فلما نزلت واقعت خديجة ، ففاطمة من تلك النطفة إذ من الثابت تاريخيا أن فاطمة ولدت قبل النبوة بخمس سنين قال الشوكانى معقبا على هذا الحديث : قال الذهبى : هذا كذب جلى وقال ابن حجر : فاطمة ولدت قبل ليلة الإسراء بالإجماع.

٧- أن يشتمل الحديث على أفراط فى الثواب العظيم على العمل اليسير أو اشتماله على المبالغة بالوعيد الشديد على الأمر الحقير وهذا كثير فى أحاديث القصاص فمثال الأول حديث من علق فى مسجد قنديلا صلى الله عليه سبعون ألف ملك حتى ينطفئ ذلك القنديل ومن بسط فى حصير صلى عليه سبعون ألف ملك حتى ينقطع ذلك الحصير قال الشوكانى فى إسناده عمر ابن صبح كذاب.

ومثال الثانى حديث (من لم يداوم على أربع قبل الظهر لم تنله شفاعتى) قال ابن عراق الدمشقى : سئل عنه الحافظ ابن حجر فقال لا أصل له [١]

ومن ذلك خبر (من أعان تارك الصلاة بلقمة فكأنما أعان على قتل الأنبياء كلهم) قال الشوكانى قال السيوطى فى الذيل موضوع [٢]

---

[١] تنزية الشريعة جـ٢ ص ١٢٧.

[٢] الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة ص ٢٧- ٢٨.

٨- أن يكون الحديث مخالفا لما أقتضته سنة الله تعالى في الكون والأنسان وذلك مثل حديث (أبنتي فاطمة حوراء أدمية لم تحض ولم تطمث ، وإنما سماها الله فاطمة لأن الله تعالى فطمها ومجبيها عن النار) قال ابن عراق تعقيبا على هذا الحديث أخرجه الخطيب من حديث ابن عباس وقال ليس بثابت وفيه غير واحد من المجهولين.

٩- أن يكون الراوى رافضيا والحديث في فضائل آل البيت لأن الروافض متعصبون لآل البيت وذلك مثل حديث (خلقت أنا وعلى من نور وكنا على يمين العرش قبل أن يخلق آدم بألفي عام ثم خلق الله آدم فانقلبنا في أصلاب الرجال ثم جعلنا في صلب عبد المطلب ثم شق أسماءنا من اسمه فالله محمود وأنا محمد والله الأعلى وعلى) قال الشوكاني هو موضوع وضعه جعفر بن أحمد بن على وكان رافضيا وضاعا [١]

١٠- وقد يعرف الوضع أيضا بقرائن في الراوي أو المروى أو فيهما معا ومثال ذلك ما أسنده الحاكم عن سيف بن عمر التيمي أنه قال : كنت عند سعد بن طريف فجاء ابنه من الكتاب يبكي فقال مالك ؟ قال ضربني المعلم ، قال لاخزينه اليوم حدثني عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً : " معلم صبيانكم شراركم أقلهم رحمة لليتيم وأغلظهم على المسكين ' وسعيد بن طريف هذا قال فيه ابن معين : لايحل لأحد ان يروى عنه وقال ابن حبان كان يضع

[١] الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضعة ص ٣٤٢- ٣٤٣.

الحديث وراوى القصة عنه سيف بن عمر قال فيه الحاكم أتهم بالزندقة وهو فى الرواية ساقط [١]

حكم رواية الموضوع

اتفق العلماء على حرمة رواية الحديث الموضوع ما لم تكن مصحوبة ببيان وضعه والتحذير منه قال السيوطى : (وتحرم روايته)

يعنى الموضوع (مع العلم به) أى بوضعه فى أى معنى كان سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا (مبينا) أى مقرونا ببيان وضعه [٢] لأن البيان فى هذه الحالة (يزيل من ذهن السامع أو القارئ ما يخشى من شبهة الاعتقاد فى صحة نسبته[٣] إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقد أنتقد ابن الجوزى بعض الجهلة من المحدثين الذين يرون الموضوع من غير تنبيه عليه وعد ذلك من تلبيس إبليس عليهم فقال : (ومن تلبيس إبليس على علماء المحدثين رواية الحديث الموضوع من غير أن يبينوا أنه موضوع وهذه جناية منهم على الشرع ومقصودهم ترويج أحاديثهم وكثرة مروياتهم[٤]

والأصل فى تحريم هذا كله هو أن الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفحش الذنوب وأعظمها جرما وأشدها عقاباً ولهذا قرر كثير

١ الباعث فى الحديث ص ٦٨.
٢ تدريب الراوى جـ١ ص ٢٢٤.
٣ الباعث الحثيث ص ٦٧.
٤ تلبيس أبليس ص ١١٨.

من العلماء أن من كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمدا فى حديث واحد فسق وردت روايته كلها ، وبطل الأجتجاج بها جميعا حتى ولو تاب وحسنت توبته ، لا فرق فى ذلك بين ما يتعلق منها من أحكام وما لا يتعلق بها كالترغيب والترهيب والمواعظ ومما جاء فى رد رواية الفاسق والتحذير من قبول روايتة قول النبى عليه الصلاة والسلام من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين[1]

وبذلك تكون قد أنتهينا من دخيل المنقول الممثل فى :

١- الإسرائيليات المخالفة لما ورد فى الكتاب أو السنة الصحيحة الثابتة عن النبى صلى الله عليه وسلم بسند صحيح أو حسن .

٢- الأحاديث الموضوعة سواء ما كان منها تفسيراً للنص القرآنى أو ما كان منها فى بيان فضائله.

[1] أخرجه مسلم فى مقدمة كتاب عن مرة بن جندب والمغيرة ابن شعبة جـ١ ص٢٦٠.

ثانياً : الدخيل فى الرأى

الدخيل فى الرأى ما كان من التفسير ناشئاً عن رأى فاسد وترجع أسبابه إلى الجهل بقوانين اللغة العربية ، أو الشريعة ، أو التعصب لطائفة من الطوائف المارقة من عقيدة أهل السنة والجماعة أو الكيد لدين الإسلام بتحريف القرآن عن موضعه والباعث لهم على ذلك هو الحقد على الإسلام.

أنواع الدخيل فى الرأى

أولاً الدخيل فى اللغة

الدخيل فى اللغة منه ما يتعلق بالقواعد النحوية ومنه ما يتعلق بمدلول اللفظ ومنه ما يتعلق بالقراءات .

أ - ما يتعلق بالقواعد النحوية :

ومثال ذلك ما جاء فى تفسير قوله تعالى :﴿ **قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم**﴾[سورة الأعراف آية ١٦] فقد جوز بعض المفسرين كون ما [١] أستفهامية كأنه قيل بأى شئ أغويتنى ، ثم ابتدأ بقوله ﴿**لأقعدن لهم صراطك**

١ تفسير الألوسى جـ٨ ص ٩٤.

المستقيم﴾ فهذا الإعراب شاذ ومضطرب ومخالف لما عليه قواعد اللغة العربية وعليه فإنه لا يصلح تخريج الآية الكريمة عليه لسببين:

الأول : إن الاستفهام هنا لا معنى له إذ كيف يسأل أبليس ربه عز وجل بأى شئ أغواه وأضله الثانى :أن (ما) الأستفهامية إذا وقعت بعد حروف الجر فإن ألفها تحذف كما هو مقرر فى علم القواعد النحوية الصحيحة ويشهد لذلك قوله تعالى : ﴿**عم يتسألون**﴾ [سورة النبأ آية ١] وقوله تعالى ﴿ **فيم أنت من ذكراها** ﴾ [سورة النازعات آية ١]

أما أثبات الألف فى تلك الحالة فهو قليل شاذ كما يقول الزمخشرى [١] وعلى ذلك فإن القول بأن ما فى الآية استفهامية قول باطل والصواب أن تكون مصدرية للسببية والمعنى فبسبب إغوائك أياى لاقعدن لهم صراطك المستقيم أى لا عترضن لهم على طريق الإسلام كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة [٢]

ب ـ ما يتعلق بمدلول اللفظ :

١- وهو أن يفسر اللفظ القرآنى بغير ما يدل عليه فى لغة العرب مما ينتج عنه الخطأ فى التأويل ومثاله ما جاء عن بعض الجهلة من أدعياء العلم فى تفسير قوله تعالى : ﴿**يوم ندعو كل أناس بإمامهم**﴾ [سورة الإسراء آية ٧١]

---

[١] تفسير الكشان جـ٢ ص ٥٦.

[٢] تفسير الكشاف جـ٢ ص ٥٦.

من أن إماما جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيامة بأسماء أمهاتهم لا بآبائهم سترا عليهم وقد غفل هذا الجاهل من أن يكون جمع أم أمهات كما قال تعالى ﴿**وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم**﴾ [سورة النساء آية ٧١]

وليس جمع أم إماما – كما قد توهم هو فإن ذلك غير مقبول لغة وشرعاً . ولهذا فقد وصف الزمخشرى هذا التفسير بأنه من البدع التى ما أنزل الله بها من سلطان فقال : (ومن بدع التفاسير أن الأمام جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيامة بأسماء أمهاتهم ، وأن الحكمة من الأدعاء بالأمهات دون الآباء رعاية حق عيسى عليه السلام ، وإظهار شرف الحسن والحسين وأن لا يفتضح أولاد الزنا وليت شعرى أيهما ابدع أصحة لفظ أم بهاء حكمته)[1]

ولم يرتض الألوسى هذا الكلام من التفسير ، فعقب عليه بما يفنده قال :ووجه عدم قبوله على ما فى الكشف.

أما **أولاً** : فلان أمام جمع أم غير شائع وإنما المعروف أمهات ،

وأما **ثانيا** :فلأن (رعاية حق عيسى عليه السلام فى امتيازه بالدعاء بالأم فإن خلقه من تراب كرامة له لا غض منه ليجبر بأن الناس أسوته فى أنتسابهم إلى الأمهات وإظهار شرف الحسنين بدون ذلك أتم فإن أباهم خير من أمهما مع أن أهل البيت كحلقة مفرغة وأما أفتضاح أولاد الزنا فلا فضيحة الا

[1] تفسير الكشاف جـ٢ ص ٣٦٩.

للامهات وهى حاصلة دعى غيرهم بالأمهات والآباء ، ولا ذنب لهم فى ذلك حتى يترتب عليه الأفتضاح) [1]

ولا يخفى أن المعنى الصحيح للآية : يوم ندعو كل أناس من بنى آدم بمن أئتموا له من نبى أو مقدم فى الدين ، أو كتاب أو دين فيقال ، يا أتباع فلان ، يا أهل دين كذا أو كتاب كذا [2]

٢- تحريف القرآن عن مواضعه وذلك يكون بالتغيير فى بعض الفاظ القرآن الكريم وتفسيرها على أساس من هذا التغيير ومثاله ما نقله السيوطى عن بعض المتصوفة حيث قال : فى قوله تعالى ﴿**من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه**﴾ [سورة البقرة آية ٢٥٥]

إن معناه (من ذل) أى من الذل (ذى) إشارة إلى النفيس (يشفى) من الشفا جواب من (ع) أمر من الوعى ، فأفتى بأنه ملحد وقد قال تعالى : ﴿**إن الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا**﴾[سورة فصلت آية ٤٠]

قال ابن عباس : هو أن يوضع الكلام على غير موضعه أخرجه ابن أبى حاتم [3] ولا يخفى أن (من) فى الآية استفهامية لا شرطية والاستفهام إنكارى بمعنى النفى.

---

١ الألوسى جـ١٥ ص ١٢١.
٢ تفسير النسفى جـ٢ ص ٣٢٢.
٣ الأتقان جـ٢ ص ١٨٤.

ولذلك جاء الاستثناء بعده والمقصود من الآية الكريمة بيان كبرياء الله تعالى وعظم شأنه وأنه لا أحد يساويه أو يدانيه، بحيث يستقل أن يدفع ما يريده الله دفعا على وجه الشفاعة فضلا عن أن يستقل بدفعه عنادا أو مناصبة ولذلك تأييس للكفار حيث زعموا أن آلهتهم شفعاء لهم عند الله تعالى [1]

٣- إن تفسير الآية بمعنى ينبو عن الحق ويبعد عن الصواب مثال ذلك ما قيل فى تفسير قوله تعالى ﴿واورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤوها وكان الله على كل شئ قديرا﴾[سورة الأحزاب آية ٢٧]

من أن المراد بالأرض فى قوله وأرضا لم تطؤوها نساء بنى قريظة ومع أن الأرض هنا يراد بها حقيقتها ولكن قوما شردوا عن الصواب وسلكوا مسلكا غريبا فى تفسيرها وقالوا أنه أراد نساءهم وهذا غير صحيح وقد حكم الزمخشرى بأنه من بدع التفاسير [2]

جـ - ما يتعلق بالقراءات :

إن الذى يعول عليه فى القراءة إنما هو التلقى والأخذ ثقة عن ثقة وإماما عن إمام إلى النبى صلى الله عليه وسلم . قال ابن الجوزى فى قياس القراءة الصحيحة (كل قراءة وافقت العربية بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها ولا يحل انكارها بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ووجب

[1] تفسير البيضاوى ص ٥٨ والألوسى جـ ٣ ص ٩ .
[2] الكشاف جـ٢ ص ٢٣٣.

على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ومتى أختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أقول عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت من السبعة أم عمن هو أكثر منهم)[١] وبذلك فالقراءة إذا صح إسنادها ووافقت الرسم العثماني واللغة العربية ولو بوجه فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها وإذا فقدت شرطا من هذه الشروط الثلاثة ردت ومع ذلك فقد رأينا من المفسرين من يرد قراءة صحيحة متواترة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ورأينا بعضا أخر منهم يختلق أو يحدث قراءة باطلة لم يقرأ بها وليس لها سند قط انتصارا لمذهبهم ، ومثل هذا يعد من بدع التفاسير اللغوية التي تتعلق بالقراءات.

ويمكننا أن نقسم البدع إلى قسمين:

١- رد قراءة صحيحة متواترة .

٢- استحداث قراءة باطلة غير ثابتة.

من أمثلة الأول ما ذكره الزمخشري عند تفسير قوله تعالى : ﴿**وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم ليردوهم**﴾ [سورة الأنعام آية ١٣٧]

فقد رد قراءة ابن عامر ببناء الفعل لما لم يسم فاعله ورفع به القتل وأضاف إلى شركائهم فخفضهم ، ونصب أولادهم بوقوع القتل عليهم ، وحال بينهم وبين المضاف إليه ، وفي ذلك يقول :

---

[١] النشر جـ١ ص ٩.

(وأما قراءة ابن عامر : قتل اولادهم شركائهم) برفع القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء والفصل بينهما بغير الظروف فشئ لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجاً مردودا ، إلى أن قال فكيف به في الكلام المنثور ، فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته والذى حمله على ذلك إن رأى في بعض (شركائهم) مكتوباً بالياء ولو قرأ بجر الأولاد والشركاء ، لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الأرتكاب [١]

وقد احتج الزمخشرى في رد هذه القراءة بأنها مخالفة للقواعد النحوية التى لا تجيز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير ظرف كما أرجع خطأ ابن عامر في قراءته هذه إلى رسم المصحف حيث قال : (والذى حمله على ذلك أنه رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوباً بالياء).

فالسبب إذن في هذه القراءة في رأى الزمخشرى هو رسم المصحف وحتى ذلك أن أبن عامر اعتمد على المصحف ولم يعتمد على الرواية وهذا غير صحيح بل أنه منكر ومردود وذلك لأن هذه القراءات رويت وشاعت القراءة بها قبل تدوين المصاحف كما كان القرآن محفوظا في الصدور قبل تدوين المصاحف وجمع القرآن ، ثم حين دونت المصاحف لم يكن النقط عرف ، ولا الشكل اخترع ، فظهرت حركة القراءات قبل النقل والضبط

[١] الكشاف جـ٢ ص ٤٢.

فكانت قراءتهم للكلمة على حسب ما يروون وينقلون لا علـى مـا يقرأون فـى المصاحف) [١]

وبهذا فالعمدة فـى القراءة الروايـة والمشـافهة وليس رسـم المصحـف أوخطه ونحن لا يمكن بحال أن نقبل من الزمخشرى تخطئته لقراءة ابن عامر بل إننا ننكر عليه رده لهذه القراءة وتعلله فى ذلك بـأن الفصـل بيـن المضـاف والمضاف إليه غير جائز عند النحـاة ونقـول إن ذلـك جـائز عندهـم فـإذا كـان بعض النحاة قد منعه فإن بعضاً أخر قد أجازه فقد أجاز الفصل بيـن المضـاف والمضاف إليه بغير الظرف إذا كان المضاف شبه فعل بـأن كـان مصـدرا أو اسم فاعل وكان عاملاً النصب فيما هو فاصل كما هو الحـال فـى الآيـة التـى نحن بصددها [٢]

وحتى لو سلمنا أن قراءة ابن عامر منافية لقياس العربية لوجب قبولهـا أيضا بعد أن تحقق صحة نقلها ، كما قبلت أشياء نـافت القيـاس مـع أن صحـة نقلهـا دون صحـة القـراءة المذكورة بكثير[٣] وقـال أبـو حيـان : (واعجـب لعجمى ضعيف فـى النحـو يـرد علـى عربـى صريـح محض قـراءة متواتـرة موجودة نظيرها فى لسان العرب فى غير ما بيت ، وأعجب لسوء ظن الرجل بالقراءة الأئمة الذين تخيرتهم هذه الأمة لنقـل كتـاب اللـه شـرقا وغربـا ، وقـد أعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم وفهمهم وديانتهم ثم قـال : وإذا كـانوا قـد

١ القراءات واللهجات ص ١٨٣ عبد الوهاب جموده.
٢ الألوسى جـ٨ ص ٣٣.
٣ تفسير الألوسى جـ ٨ ص ٣٣.

فصلوا بين المضاف والمضاف إليه بالجملة فى قول بعض العرب : هو غلام – إن شاء الله – أخيك ، فالفصل بالمفرد أسهل [١]

ومن هذا يتبين لنا أن قراءة ابن عامر قراءة صحيحة يجب قبولها ولا يجوز ردها ، وقد نص أئمة القراء على أن الاعتماد فى قبول القراءة إنما **يتوقف على الأثبت فى الأثر والأصح فى النقل ، لا على الأفشى فى اللغة والأقيس فى العربية** وفى ذلك يقول أبو عمرو الدانى – فيما نقله عنه ابن الجزرى : **وإئمة القراءة لا تعمل فى شئ من حروف القرآن على الأفشى فى اللغة والأقيس فى العربية بل على الأثبت فى الأثر والأصح فى النقل ،** والرواية إذا ثبتت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة ، لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها [٢] ومن أمثلة النوع الثانى ما جاء فى تفسير قوله تعالى﴿ **قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق**﴾ [سورة الفلق آية١-٢]

فقد قرأ بعض المعتزلة (من شر ما خلق) بتنوين شر وجعل ما نافية ومعنى ذلك إنهم يستعيذون برب الفلق من شر لم يخلقه هو بل خلقه فاعله وذلك وفقا لمذهبهم الاعتزالى ، وهذا ولا ريب تحريف فى كتاب الله العزيز قال ابن عطية – فيما نقله عن الألوسى عن هذه القراءة (هى قراءة عمرو بن عبيد وبعض المعتزلة القائلين بأن الله تعالى لم يخلق الشر وحملوا ما على

---

[١] البحر المحيط جـ٤ ص ٢٢٩ -٢٣٠.

[٢] النشر جـ١ ص ١٠-١١ الدخيل للدكتور عبد الوهاب فايد جـ٢ ص ٩٨.

النفى وجعلوا الجملة فى توضيح الصفة ، أى من شر ما خلقه اللـه تعالى ولا أوجده ، وهى قراءة مردودة مبنية على مذهب باطل) [١]

الدخيل عن طريق التفسير الصوفي

إن تفسير الصوفيـة يرتكز على أن للقرآن معنى ظـاهرا أو معنـى باطنا، وأن الأهم عندهم هو المعنى الباطنى لأنهم يرون أن المعنى الحقيقى للنص القرآنى لا يتناهى عند هذه البسائط الباديـة من مظـاهره ، ويستدلون على ذلك بما أخرجه الفريابى عن الحسن مرسلاً عن رسـول اللـه صلى اللـه عليه وسلم أنه قال : (لكل أية ظهر وبطن ولكل حرف حد وكل حد مطلع)

وقد فسر الحديث بتفسيرات عدة ، ولعل المعنى القريب للحديث ما حكاه ابن النقيب من أن ظهرها – الآية – ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر ، وبطنها : ما تضمنته من الأسرار التى يطلع اللـه عليها أرباب الحقائق ، ومعنى قوله ولكل حرف حد أى منتهى فيما أراد اللـه من معناه ، وقيل لكل حكم مقدار من الثواب والعقاب ، ومعنى قوله (ولكل حد مطلع) لكل غامض من المعانى والأحكام مطلع يتوصل به إلى معرفته ، ويوقف على المراد منه ، وقيل لكل ما يستحقه من الثواب والعقاب يطلع عليه فى الآخرة ويراه عند المجازاة[٢]

---

[١] تفسير الألوسى جـ٣٠ ص ٢٨١.

[٢] الأتقان جـ٢ ص ١٨٤ –١٨٥ والبرهان جـ٢ ص ١٦٩.

ومعنى هذا الكلام أن ظاهر القرآن هو المفهوم العربي المجرد وباطنه هو مراد الله تعالى من كلامه وخطابه وغرضه الذي يقصده الله من وراء الألفاظ والتراكيب هذا هو خير ما يقال في معنى الظاهر والباطن[1]

وينبغي أن يعلم أن الظاهر لابد من معرفته قبل التعرض للباطن في تفسير القرآن الكريم ، ولحجة الأسلام الأمام الغزالي كلمة في هذا المقام يبين فيها أن من ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم الظاهر يكون كمن أدعى بلوغ سطح المنزل قبل أن يلج الباب ، إذ يقول ما نصه (فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل في زمرة من يفسر بالرأي فالنقل والسماع لابد منه في ظاهر التفسير أولا لينفي به مواضع الغلط ، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط والغرائب التي لا تفهم إلا بالسماع كثيرا ونحن نرمز إلى جمل منها ليستدل بها على أمثالها ويعلم أنه لا يجوز التعاون بحفظ التفسير الظاهر أولا ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر أولا ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كم يدعي البلوغ إلى سور البيت قبل مجاوزة الباب أو يدعي فهم مقاصد الأتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك فإن ظاهر تفسير يجري تعليم اللغة التي لابد

[1] الموافقات للشطبي جـ ٢ ص ٣٨٣-٣٨٤.

منها للفهم [١] ويوافقه العلامة الألوسي الرأى في تطبيق هذا المنهج تمام الإتفاق [٢]

ويمكننا القول بأن منهج الصوفية فى تفسير القرآن الكريم يقوم على الجمع بين طريقة الظاهر ، وطريقة الباطن فإذا أراد أحدهم تفسير آية ذكر تفسيرها ، ثم أتبعه بتفسيرها الباطنى (إلا أن لهم طرائق مختلفة فى هذا المجال ، فبعضهم جمع فى تفسيره بين ظاهر القرآن وباطنه ، مثل الإمام الألوسى فى كتابه (روح المعانى) فإنه يولى عنايته أولا للمعانى الظاهرة ثم يتبع ذلك بذكر الباطن فيقول : (ومن البطون كذا) أو من باب الإشارات كذا) بُيد أن تفسير الألوسى أقرب إلى أهل الظاهر منه إلى أهل الباطن ومنهم من غلبت عليه ناحية التفسير الباطنى ، مع تعرضه قليلا للتفسير الظاهرى وذلك كما فعل سهل التسترى فى تفسيره ، ومنهم من وجه همته كلها للتفسير الباطنى ولم يحم حول المعانى الظاهرة للقرآن الكريم كما فعل أبو عبد الرحمن السُلمى فى كتابه : (حقائق التفسير) وأيا ما يكن الأمر فإن النصوص القرآنية يجب أن تحمل على ظواهرها – كما يقول الدكتور عبد المنعم القيعى – ولا يعدل عن ذلك إلا إذا تعذر الحمل على الظاهر وبقرينة ...وأما إلغاء ظواهرها – وإدعاء بواطن لها تخالف الظاهر فكفر صريح ، نعم فى الحديث (أن للقرآن ظاهرا وباطنا) وهذا كله لا يخالف بعضه بعضاً فإذا قيل أن تحت

١ أحياء علوم الدين جـ٣ ص ٥٢٦.

٢ التفسير والمفسرون جـ٢ ص ٣٦٤ والدخيل د. عبد الوهاب فايد جـ٢ ص ١٥٩-١٦٠.

كلمات القرآن أسرارا لا تعارض ظواهرها الإأنها أعمق - قبلنا ذلك حيث لا تعارض بين الباطن والظاهر[1]

﴿وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما تنزله إلا بقدر معلوم﴾[سورة الحجر آية ٢١]

والتصوف عند هؤلاء القوم يتنوع إلى نوعين :

تصوف نظرى :

وهو الذى يقوم على البحث والدراسة .

تصوف عملى :

وهو الذى يقوم على التقشف والزهد.

وكل من النوعين كان له أثر فـى تفسير القرآن الكريم ، ممـا جعل التفسير الصوفى يتنوع إلى نوعين : -

١- تفسير صوفى نظرى : ينبنى على مقدمات علميـة ، تتقدح فـى ذهن الصوفى أولا ثم ينزل القرآن عليها بعد ذلك.

٢- تفسير صوفى إشارى لا يرتكز على مقدمات علمية بل يرتكز على رياضة روحية، يأخذ بها الصوفى نفسه حتى يصل إلى درجة تتكشف

[1] الأصلان فى علوم القرآن ص ٣٢٣.

له فيها من سجف العبارات هذه الإشارات القدسية، وتنهل على قلبه من سحب الغيب ما تحمله الآيات من المعارف السبحانية [١]

ومثال النوع الأول ما جاء عن محى الدين ابن عربى فى تفسيره للقرآن الكريم متأثرا بنظرية وحدة الوجود التى هى أهم النظريات التى بنى عليها تصوفه فنراه فى كثير من الأحيان يشرح الآيات على وفق النظرية حتى أنه لايخرج بالآية عن مدلولها الذى أراده الله تعالى منها فمثلا عندما تعرض لتفسير قوله تعالى﴿**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا أياه**﴾[سورة الإسراء آية ٢٣]

بقوله ما نصه (فعلماء الرسوم يحملون لفظ قضى على الأمر ونحن نحمله على الحكم كشفا وهو الصحيح فإنهم اعترفوا أنهم ما يعبدون هذه الأشياء الا لتقربهم إلى الله زلفى فانزلنا منزلة النواب الظاهرة بصورة من استنابهم ، وما سمى سورة إلا الألوهية فنسبوها إليهم ولهذا يقضى الحق حوائجهم إذا توسلوا بها إليه غيرة منه إلى المقام أن يهتضم ، وإن أخطأوا فى النسبة فما أخطأوا فى المقام ولهذا قال :﴿**إن هى الا أسماء سميتموها**﴾ [سورة النجم آية ٢٣]

أى أنتم قلتم عنها أنها إلهة والا فسموهم فلو سموهم لقالوا: هذا حجر، أو شجر أو ما كان فتتميز عندهم بالإسمية إذ ما كل حجر اتخذ إلها ولا كل

---

١ التفسير والمفسرون جـ ٢ص ٣٣٨.

شجر ولا كل جسم منير ولا كل حيوان فلله الحجة البالغة عليهم بقوله: (كل سموهم)[1]

ومن أمثلة النوع الثانى :

وهو التفسير الفيضى أو الأشارى كما ذكره أبو عبد الرحمن السلمى فى تفسير (ألم) فاتحة البقرة إذ يقول ما نصه : قيل أن الألف ألف الوحدانية واللام لام اللطف والميم الملك معناه: من وجدنى على الحقيقة بإسقاط العلائق والأغراض تلطفت له فاخرجته من رق العبودية إلى الملأ الأعلى وهو الاتصال بمالك الملك دون الاشتغال بشئ من الملك .

وقيل : (ألم) معنى الألف أى أفرد سرك واللام ألبست جوارحك لعبادتى والميم أقر معى بمحور رسومك وصفاتك أزينك بصفات الأنس بى والمشاهدة إياى والقرب منى).

ولاشك أن مثل هذا التفسير الذى ذكره أبو عبد الرحمن السلمى تفسير مشكل وأعظم منه إشكالا ما زعمه بعض القوم من أن هذه الحروف المقطعة فى أوائل السور ترمز إلى أسرار غيبية مكنية بل يدعون أحيانا أن هذه الحروف هى أصل العلوم ومنبع المكاشفات على أحوال الدنيا والآخرة وينسبون ذلك إلى أنه مراد الله فى خطاب العرب التى لا تعرف شيئا من ذلك ، وهذه كلها دعاوى يدعونها على القرآن ، ولا أحسب أنهم أستندوا فيها إلى دليل مقنع ولكل ما أقوله أنها دعاوى محاولة على الكشف والأطلاع على ما

[1] الفتوحات المكية جـ١ ص ١١٥ نقلا عن كتاب التفسير والمفسرون جـ٢ ص ٣٣٤.

وراء حجب الغيب ودعوة الكشف والأطلاع لا تصلح أن تكون دليلا شرعيا بحال من الأحوال [١]

وقد عقب على هذا التفسير الإشارى الشيخ الزرقانى وبين أنه جاء على هذا النمط دون أن يتعرض لبيان المعانى الوضعية للنصوص القرآنية وهذا الخطر كل الخطر ، مما يخاف على مطالعه أن يفهم منه أن هذه المعانى الإشارية هى مراد الله الخالق إلى خلقه فى الهداية إلى تعاليم الإسلام والإرشاد إلى حقائق الدين : وحذر من الوقوع فى شباكها أن ينأى العاقل بنفسه عن مزالقها وأن يفر بدينه من هذه الشبهات وأمامه فى الكتاب والسنة وشروحها على قوانين الشريعة واللغة رياض وجنات [٢]

والواقع أن مثل هذا التفسير سواء كان صوفيا أو غيره لا يقبل إلا إذا توافر فيه ***شرطان:***

١- أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر من لسان العرب بحيث يجرى على المقاصد العربية.

٢- أن يكون له شاهد نصا أو ظاهرا فى محل أخر يشهد لصحته من غير معارض.

١ الأتجاهات المنحرفة فى تفسير القرآن الكريم محمد الذهبى ص ٨١.
٢ مناهل الأعرفان للزرقانى جـ٢ ص ٨٠-٩٠.

أما الشرط الأول:

فظاهر من قاعدة كون القرآن عربياً فإنــه لـو كـان لـه فهـم لا يقتضيـه كلام العرب لم يوصف بكونه عربيا ولأنه مفهوم ويلصق بـالقرآن وليس فـى ألفاظه ولا فى معانيه ما يدل عليه ومـا كـان كذلك فـلا يصـح أن ينسب إلـى القرآن أصلا ومن قال هذا فهو متقول على الله تعالى بالهوى والغرض.

وأما الشرط الثانى :

فلأنه إذا لم يكن له شاهد فى محل آخر أو كان له معارض صار مـن جملة الدعاوى التى تدعى على القرآن والدعوى المجردة غـير مقبولـة باتفـاق العلماء [١]

١ الموافقات للشاطبى جـ٣ ص ٣٩٤.

الدخيل عن طريق الباطنية

الباطنية قوم لا يقبلون الأخذ بالظاهر وإنما يقولـون لكل كتـاب ظـاهر وباطن ولكل تنزيل تأويل وهم أشد الفرق عداء للدين الإسلامى (بل إن الفسـاد اللازم من هؤلاء على الدين أكثر من الفساد الوارد عليه من جميع الكفار) [١]

والباطنيــة اسـم يطلـق علـى جماعـات متعـددة مـن غـلاة الشـيعة كالإسماعلية والقرامطـة والخرميـة والرافضـة وقد أطلق عليهم هذا الأسـم بسبب أنهم يتفقون جميعا على أمر واحد وهو التـأويل البـاطنى للنصـوص[٢] الشرعية يؤولونها بما يشتهون من الأفكار والعقائد ويخـالفون بهذه التـاويلات من القرآن والسنة ومدلولات الألفـاظ فـى اللغـة العربيـة ومقصودهم علـى الأطلاق من هذا التأويل أن ينزعوا من العقائد موجب الظاهر ليقدروا بـالحكم بدعوى الباطن على إبطال الشرائع [٣]

وقد بين ضلالهم ووبائهم ابن الجوزى حيث قال إنهم رأوا أمـر محمـد صلى الله عليه وسلم قد استطار فى الأقطار وأنهم قد عجزوا عن مقاومتـه فقالوا سبيلنا أن ننتحل عقيـدة الطائفـة من فرقهم أذكـاهم عقـلا واتحفهم رأيـا وأقبلهم للمحـالات والتصديـق بالأكـاذيب وهـم الروافض فنتحصـن بالانتسـاب

---

١ عقيدة المسلمين والعقائد الباطلة ص ١٣٧.

٢ الدخيل عبد الوهاب فايد جـ٢ ص ١٠٣.

٣ تلبيس أبليس ص ١٠٢.

إليهم ونتودد إليهم بالحزن على ماجرى على آل محمد من الظلم والذل ليمكننا شتم القدماء الذين نقلوا إليهم الشريعة فإذا هان أولئك عندهم لم يلتفتوا إلى مانقلوا فأمكن استدراجهم إلى الانخلاع من الدين فإن بقى منهم معتصم بظواهر القرآن والأخبار ، أوهمنا أن تلك الظواهر لها أسرار وبواطن ثم نبث إليهم عقائدنا ، ونزعم أنها المراد بظواهر عندكم فإذا تكثرنا بهؤلاء سهل علينا استدراج باقى الفرق[1]

ظهور حركة الباطنية وصلتها بالمجوسية وهدفها

ذكر أصحاب التواريخ أن دعوة الباطنية ظهرت فى زمان المأمون وانتشرت فى زمان المعتصم على يد جماعة منهم ميمون بن ديصان المعروف بالقداح يقال أنه كان مجوسيا من سبى الأهواز وكان مولى لجعفر ابن محمد الصادق[2]

وعن صلة الباطنية بالمجوسة يقول البغدادى ما نصه : (ذكر أصحاب التواريخ أن الذين وضعوا أساس دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم ولم يجرؤوا على إظهاره خوفا من سيف المسلمين

---

[1] تلبيس أبليس ١٠٦.

[2] الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادى ص ٢٦٦ – ٢٦٨.

فوضع الأغمار منهم أسساً من قبلها منهم صار فى الباطن إلى تفضيل أديان المجوس ، وتأولوا آيات القرآن وسنن النبى عليه السلام على موافقة أسسهم[١]

ومعنى ذلك أن الذى أسس هذا المذهب أولئك المجوس الفارسيون الذين تظاهروا بالإسلام للكيد لهم ومحاولة القضاء عليه بتأويلهم آيات القرآن وسنن الرسول عليه الصلاة والسلام على ما يوافقهم فتستروا لنشر دعوتهم الخبيثة وراء دعوى الخلافة لآل على وزعموا أن أبا بكر وعمر وعثمان وجمهور الصحابة قد ظلموا عليا بإبعاده عن الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه كان أحق بها وأما هدف الباطنية الخبيث فهو إبطال الشرائع وجحد الصانع ومحاربة الدين وأخراج المسلمين من دينهم وتشكيكهم فى عقائدهم ويتجلى ذلك واضحا فى تلك الرسالة التى أرسلها القيروانى إلى سليمان بن الحسن ، والتى ينقلها لنا البغدادى أذ يقول ما نصه إنى أوصيك بتشكيك الناس فى القرآن والتوراة والزبور والأنجيل ، وبدعوتهم إلى إبطال الشرائع ، وإلى إبطال المعاد والنشور من القبور[٢]

تأويلات الباطنية :

ومن جملة ما تأولوه على آرائهم بما يحرفون به الكلم عن مواضعه ما ذكره ابن تيمية (أنهم فسروا القرآن بأنواع ليقضى العالم منها عجبه (تبت يدا أبى لهب) وهما أبو بكر وعمر (لئن اشركت ليحبطن عملك) أى بين أبى

١ المصدر السابق ص ٢٦٩.
٢ المصدر السابق ص ٢٨٠.

بكر وعمر وعلى فى الخلافة (أن الله يـأمركم أن تذبحوا بقرة) هـى عائشـة (قاتلوا أئمة الكفر) طلحـة والزبير (مرج البحرين) علـى وفاطمـة واللؤلـوء والمرجان) الحسن والحسين (وكل شئ أحصيناه فـى إمـام مبين) علـى ابـن أبى طالب (عم يتساءلون عن النبأ العظيم على بن أبى طالب (إنما وليكم اللـه ورسوله والذين أمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) وهو على [١]

ثم أنهم تأولوا لكل ركن من أركـان الشريعة تـأويلا يـورث تضليـلا فزعموا أن معنى الصـلاة مـوالاة أمـامهم والحج زيـارتهم وإدمـان خدمتـه ، والمراد بالصوم الإمساك عن إفشاء سر الأمام دون الإمساك عن الطعام والزنـا عندهم أفشاء سرهم بغير عهد وميثـاق وزعمـوا أن مـن عـرف معنـى العبـادة سقط عنـه فرضهـا وتـأولوا فـى ذلك قولـه تعـالى **﴿واعبد ربك حتـى يـاتيك اليقين﴾** [سورة الحجر آية ٩٩] وحملـوا اليقيـن علـى معرفـة التـأويل [٢] إلـى غير ذلك من تأويلاتهم الفاسدة وقد رد ابـن الجـوزى وناقشـهم مناقشـة علميـة وبين بالدليل المنطقى بطلان قضية ظاهر النص وباطنه فقال : وأن قلتـم عن أمام معصوم قلنا فما الذى دعاكم إلى قبول قوله بلا معجزة وترك قول محمـد صلى الله عليه وسلم مـع المعجزات؟ ثم مـا يؤمنكم أن يكون مـا سمع مـن الإمام المعصوم له بطن غير ظـاهر؟ ثم يقـال لهم هـذه البواطـن والتـأويلات يجب إخفاؤها أم اظهارها؟ فإن قالوا يجب إظهارها ، قلنا : فلم كتمهـا محمـد

---

[١] انظر كتاب الفرق بين الفرق للاستاذ عبد الظاهر البغدادى.
[٢] الفرق بين الفرق ٢٨٠.

صلى الله عليه وسلم ؟ وأن قالوا يجب أخفاؤها ، قلنا : ما وجب على الرسول اخفاؤها كيف يحل لكم افشاؤه؟

قال ابن عقيل : هلك الإسلام بين طائفتين ، بين الباطنية والظاهرية ، فأما أهل البواطن فإنهم عطلوا ظواهر الشرع بما ادعوه من تفاسيرهم التى لا برهان لهم عليها حتى لم يبق فى الشرع شئ الا وقد وضعوا وراءه معنى حتى أسقطوا إيجاب الواجب والنهى عن المنكر.

وأما أهل الظاهر فإنهم أخذوا بكل ما ظهر مما لابد من تأويله فحملوا الأسماء والصفات على ما عقلوه.

والحق بين المنزلتين ، وهو أن نأخذ بالظاهر ما لم يصرفنا عنه دليل ، ونرفض كل باطن لا يشهد به دليل من أدلة الشرع [1] وامتدادا لهذا الضلال حرفت البابية والبهائية فى كتاب الله تعالى فى مجال التفسير. وأصل هذه النحلة مستمد من ضلالات الشيعة الباطنية ، ومعنى هذا أن الباطنية أم البابية والبهائية.

قال الشيخ محمد الخضر حسين : ليست البهائية بالنحلة المحدثة التى لم يتقدم لها فى النحل المارقة من الإسلام ما يشابهها أو تتخذه أصلا تبنى عليه مزاعمها وإنما هى وليدة من ولائد الباطنية نفذت من ديانات وآراء فلسفية ونزعات سياسية ، ثم اخترعت لنفسها شيئا صورا من الباطل ، وخرجت تزعم أنها وحى سماوى ، ولولا أن فى الناس طوائف يتعلقون بذيل

[1] انظر كتاب الفرق بين الفرق للأستاذ عبد الظاهر البغدادى.

كل ناعق لما وجدت داعيا ولا مجيبا لندائها [١] ومن تحريفاتهم ما جاء في تفسير الباب [٢]

---

[١] البابية والبهائية في الميزان ص ١٦.

[٢] البابية نحلة باطنية باطلة استحدثها رجل من الشيعة اسمه على محمد الشيرازى ، لقب نفسه بباب الحق فنسبت إليه باعتبار هذا اللقب الكاذب ، ثم ترك هذا اللقب واطلق على نفسه النقطة ، ثم زاد غلوا في الكفر فاطلق على نفسه (خالق الحق) وزعم أنه شخص الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا أما البهائية فهى نحلة البابية مع زيادة أو نقص عما قاله على محمد الشيرازى (الباب) وقد ابتدعها خليفته حسين على نورى الذى لقب نفسه بالبهاء ونسبت إليه باعتبار هذا اللقب وقد يضاف إلى اسميهما كلمة (ميرزا) الفارسية ومعناها السيد وقد ولد مؤسس هذه النحلة على محمد الشيرازى (الباب) بمدينة شيراز أول المحرم سنة ١٢٢٥ الموافق ١٨١٩/١٠/٥م ومات أبوه (الميرزا) سيد على التاجر ولما ترعرع تعلم العربية والفارسية ، وكان حسن الحظ سريع الكتابة ، ولما بلغ ضمه خاله إلى متجره فعاونه واتقن فن التجارة ، ثم سافر معه إلى بوشهر ، الفارسية واشتغل فيها بالتجارة إلى سن العشرين القول الحسن للشيخ مصطفى الحديدى الطير ص ٩ -١٣ الدار المصرية اللبنابية) ولما بلغ الخامسة والعشرين ادعى أنه المهدى المنتظر وكان -

=اعلانه بهذه الدعوى سنة ١٢٦٠ هـ فأخذها بالتسليم طائفة من الجاهلين . وقد تنبه العلماء لهذه الدعاية فقاموا فى وجهها وعقد بعض الولاة أنهم وبين (ميرزا) على هذا مجالس للمناظرة فرأى بعضهم ما فى أقواله من غرابة وخروج عن الدين فافتى بقوله ، ورأى أخرون ما فيها من لغو وسخافة " فنسبه إلى الجنون وأختلال الفكر واعتقل فى شيراز ، ثم بأصفهان ، وساقته الحكومة الأيرانية فى عهد الملك ناصر الدين شاه إلى تبريز ، وسارت بين أشياعه وبين المسلمين فتن وحروب سفكت فيها الدماء وكانت عاقبتة أن أعدمتة الحكومة فى تبريز صلبا عام ١٢٦٥هـ.

وكان الميرزا حسين على الذى لقبه (ببهاء الله) من شيعة الباب ودعاة نحلتة ، قد سجن بطهران بضعة أشهر ثم أبعد إلى بغداد سنة ١٢٦٩ هـ ولما حدث بين اتباعه وبين الشيعة ببغداد شقاق نفتهم الحكومة العثمانية إلى الأستانة ، ونفتهم إلى أدرنة ، وقام المسمى (بهاء الله) يدعو إلى نفسه ، ويزعم أنه هو الموعود به الذى أخبر عنه الباب ، وقبل دعوتة أكثر البابيين وتسموا حينئذ =

أصل البهاء لقوله تعالى : ﴿ **إذ قال لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا ، والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين**﴾ [سورة يوسف : آية ٤] .قال الباب وقد قصد الرحمن من ذكر يوسف نفس الرسول وثمره البتول حسين بن على ابن أبى طالب مشهوداً إذ قال حسين لأبيه يوما (أنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر بالإحاطة على الحق لله القديم سجداً : ثم قال إن الله قد أراد بالشمس فاطمة وبالقمرمحمد ، وبالنجوم أئمة الحق فى أم الكتاب معروفا ، فهم الذين يبكون على يوسف بأذن الله سجدا وقياماً) [١]

وليس من شك فى أن هذا ومثله مما قال البابيين إلحاد فى آيات الله وتحريف للكلم عن مواضعه وتجن علىالقرآن وحقائقة اللغوية والتاريخية ، شأنهم فى ذلك شأن أسلافهم الذين مضوا من قبل من الباطنية وغيرهم أليس هذا قريبا من منزع أولئك الذين قالوا إن المراد من (البقرة) عائشة والمراد

= بالبهائيين وممن رفض دعوته أخوه (ميرزا) يحيى الملقب (صبح أزل) وكانت نهاية الباب أن هلك بمكة عام ١٣٠٩ هـ فتولى رئاسة الطائفة أبنه عباس الذى لقبه بـــ (عبد البهاء) فأخذ يدعو إلى هذا المذهب ، ويتصرف فيه كما يشاء ، ولم يرض عن صنيعه هذا أصحاب البهاء فانشقوا عنه والتفوا حول أخيه الميرزا على (البابية والبهائية فى الميزان للشيخ محمد الخضر حسين ص ١٢-١٥) ومن عجب أمر هذه الطائفة أنها وجدت فى جمهورية مصر العربية بعض اتباع لها فى أوائل هذا القرن حتى صدر قرار عام ١٩٦٠ بحل محافلهم حتى قام الرسام حسين بيكار بإعادة تكوين الطائفة بمصر وتولى رعايته أمور الطائفة بشكل مكثف ، رغم حظر نشاطها إلى أن قبض عليه مع عدد كبير فى شهر فبراير ١٩٨٥م.

[١] القول الحق فى البابية والبهائية والقاديانية والمهدية للمرحوم الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير ص ٧٥.

من (تبت يدا أبى لهب) أبو بكر وعمر أن ذلك كله إلا هذيان وضلال ، وتأويل باطل ، لايقبله العقل ولا يقره الشرع ، أن فرض به هؤلاء الذين بعدوا عن الحق وشردوا عن الصواب.

هذا وقد تكلم المفسرون على تعبير هذا المنام: أن الأحد عشر كوكبا عبارة عن إخوته – يعنى يوسف وكانوا أحد عشر رجلاً سواه والشمس والقمر عبارة عن أبيه وأمه ، روى هذا عن ابن عباس والضحاك وقتادة وسفيان الثورى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقد وقع تفسيرها بعد أربعين سنة وقبل ثمانين سنة، وذلك حين رفع أبويه على العرش ، وهو سريره وأخويه بين يديه ، **﴿وخروا له سجدا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا﴾** [سورة يوسف آية ١٠٠]

وكان السجود سائغاً فى شرائعهم إذا سلموا على الكبير يسجدون له ولم يزل هذا جائزاً من لدن آدم إلى شريعة عيسى عليه السلام ثم حرم هذا فى الإسلام وجعل السجود مختصا بجناب الرب سبحانه وتعالى [١]

---

[١] تفسير ابن كثير جـ٢ ص٤٦٨-٤٩١.

الدخيل عن طريق القاديانية

القاديانية نحلة ضالة " مضلة" ظهرت فى القرن التاسع عشر الميلادى بالهند(استحدثها رجل هندى من قرية (قاديان) وكانت لهم الرياسة فى ذلك الإقليم ، ثم زالت عنهم ودارت عليهم الدوائر ونهبت أموالهم , وردت إلى أبيه بعض القرى فى عهد الدولة البريطانية كما يقول غلام أحمد المذكور وهذه الأسرة تنتمى إلى سلالة مغولية من الترك ، وزعم (غلام أحمد) أن الوحى نزل عليه وخبره أن أصله فارسي وأن بعض أمهاته من الفاطميين)[١]

وقد أتخذ غلام أحمد [٢] القاديانى لدعوته ثلاث مراحل :-

---

[١] القول الحق مصطفى الحديد الطير ص ١١.

[٢] كان والده يمارس الطب القديم وقد ولد ابنه (غلام أحمد) سنة ١٢٥٢هـ (١٨٣٩)م ولما بلغ التعليم شرع فى قراءة القرآن الكريم وبعض الكتب الفارسية ، ولما بلغ العاشرة من عمره تعلم اللغة العربية ولما بلغ السابعة عشر تلقى علم النحو والمنطق والفلسفة وقرأ على أبيه كتبا فى علم الطب أما العلوم الدينية فكان يدرسها على أى معلم ، وإنما كان له ولوع بمطالعتها ، من غير ضابط لأفكاره وكان يدرس كتب الشيعة وأهل السنة وكتب الأديان الأخرى وفى سنة ١٨٧٦ م مرض أبوه فزعم غلام أحمد أنه نزل عليه الوحى من الله بأن أباه سيموت بعد المغرب واعتبر أنصاره أن هذا أول وحى ينزل عليه من الله والله يعلم أنهم لكاذبون ، فقد أنقطع وحى الله إلى الأنبياء بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد تكون هذه رؤيا تكون كفلق الصبح ، ولايدل ذلك على نبوة فيهم ، وقد يراها الكافر فتصح كرؤيا ملك فى عهد يوسف عليه السلام وكرؤيا صاحب السجن وفى سنة ١٨٨٨م تنبأ بأنه سيتزوج الفتاة (محمدى بيكم) وهى من أسرته ، وأخبر أنه أمر قضى فى السماء وأخبره الله به مرارا وتكرارا ، وتحدى بذلك العالم ، وكذبت نبوته فقد تزوجت=

الأولى : منها استغرقت المدة (١٨٧٩-١٨٩١) وقد دارت هذه المرحلة حول عواه أنه مأمور من الله بإصلاح العالم والدعوة إلى الإسلام وتجديده.

الثانى : ادعى أنه المسيح وأنه المهدى المنتظر ، وفى ذلك يقول: (لقد أرسلت لكسر الصليب وقتل الخنزير ، لقد نزلت من السماء مع الملائكة الذين كانوا عن يمينى وعن شمالى ..).

الثالثة : وهى مرحلة ادعاء النبوة وقد خلعها عليه رجل من اتباعه يدعى عبد الكريم فى خطبة الجمعة ، حيث قال : أن (الميرزا غلام أحمد) مرسل من الله والإيمان به واجب. وكانت هذه الخطبة مثل نقاش بين اتباع الميرزا غلام أحمد الذين قبلوا منه ادعاء الولاية والتجديد والمهدية والعيسوية ، فقد إنكرها بعضهم وقبلها أخرون ، ومنذ عام (١٩٠١)م أخذ المدعو غلام أحمد يصرح بأنه نبى فى مؤلفاته ومن ذلك قوله : (لقد حرم الذين سبقونى من الأولياء والأبدال والأقطاب من هذه الأمة المحمدية من النصيب الكبير من هذه النعمة) يعنى الإلهامات والمكالمات الألهامية (وخصنى الله باسم النبى أما الأخرون فلا يستحقون هذا الأسم) [١] إلى آخر ادعاءاته الكاذبة التى تخالف الإسلام ويرفضها نص القرآن وإنما هى شياطين تلوث فكره وتستحوذ على عقله قال تعالى : **﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم﴾** [سورة الشعراء آية ٢٢١-٢٢٢.] والقاديانية كمذهب منحرف ، ونحلة

---

* **شابا أخر أسمه محمد سلطان وأخزاه الله وكذبه فى زعمه وكان لتكذيب الله له هزة فى حياته وفى دعوته انظر القول الحق ص ١١٣-١١٤**

[١] **انظر القول الحق للشيخ مصطفى الطير ص ١٢٠ -١٢٤.**

ضالة من أشد وأنكى ما يصاب به الإسلام والمسلمين ، لأنها ثورة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومؤامرة ضد الأسلام وديانة مستقلة وإنها محاولة لتأسيس طائفة جديدة على أساس نبوة منافسة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأنها تريد أن تنحت من أمة النبى العربى أمة جديدة للنبى الهندى)[1]

وتتلخص مبادئ القاديانية فيما يلى :

١- تحريم الجهاد ومحاربة الإنجليز ممنوعة عندهم.

٢- التفريق بين الناس ليتمكنوا من إقامة مملكة لهم.

٣- تشويه تعاليم الإسلام تحت ستار الإصلاح الدينى.

٤- تكفير كل من لم يؤمن بنبيهم المزعوم ميرزا غلام أحمد.

٥- القدح فى عصمة الأنبياء وسب أتباعهم.

٦- النبوة لا تنقطع ويفسرون قوله تعالى عن محمد صلى الله عليه وسلم (وخاتم النبيين) بأنه يعنى أن كل نبى له خاتم يؤكد به دعوته.

٧- تناسخ الأرواح وحلولها فى الأجساد ، فادعى أنه هو محمد صلى الله عليه وسلم ومن فرق بينهم لم يعرفه.

[1] القول الحق ص ١٢٥.

٨- مزاحمة الإسلام فى المقدسات والشعائر [١] ولاشك أن هذه المبادئ كفر بكل ما أمر الله وخروج على تعاليم الإسلام.

أمثلة على تحريفات القاديانية فى مجال التفسير:

لقد حرفت القاديانية تحريفات كثيرة فى التفسير ، وخاصة تفسير الآيات التى تتعلق بموضوع النبوة ، ومن أفظع ما يروى عنهم فى المجال أن أحد دعاتهم حاول أن يصرف لفظ (خاتم النبيين) لأول مرة فى تاريخ المسلمين فى قوله تعالى فى حق رسوله محمد صلى الله عليه وسلم **﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليماً﴾** [سورة الأحزاب آية ٤٠] حاول أن يصرفه عن معناه اللغوى وهو أنه النبى الخاتم لجميع النبوات ، فلا نبى بعده إلى معان بعيدة عن اللفظ ليصل بها إلى صحة دعواه النبوات ، فلا نبى بعده إلى معان بعيدة عن اللفظ ليصل بها إلى صحة دعواه النبوة لنفسه ففسره مرة بأنه أبو الأنبياء وأخرى بأنه زينة الأنبياء وثالثة بأنه مصدق الأنبياء أو آخر نوع من الأنبياء ومن ثم كانت دعوى القاديانية بعدم أنقطاع النبوة وبأن باب النبوة ما زال مفتوحا.

التفسير الصحيح لمعنى خاتم النبيين.

التفسير الصحيح هو أن (خاتم النبيين) بمعنى آخرهم أى أنه النبى الذى أنقطع به وصف النبوة ، فلا يتحقق فى أحد من الخليقة بعده وهذا

[١] عقيدة المسلمين والعقائد الباطلة للدكتور محمد القوعى ص ١٤٩- ١٥٠.

المعنى تستوى فيه القراءتان – الفتح والكسر – فأن كليهما تستعمل بمعنى الآخر ، لأن الخاتم بالكسر اسم فاعل من (ختم) وهو الذى ختم النبيين والمراد به أخرهم ، والخاتم بالفتح اسم آلة لما يختم به كالطابع لما يطبع به – فمعنى خاتم النبيين : الذى ختم النبيون به ، وهو آخر النبيين[١]

هذا هو المعنى الذى لايذهب الفهم إلى خلافه ، وهو الذى أجمع عليه أئمة اللغة والمفسرون ، بل أجمع عليه علماء الأمة سلفها وخلفها وحيث كان الأمر كذلك فلا حاجة إلى نبوات بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، ولهذا لم يجرؤ أحد من صالحى هذه الأمة ابتداء من الخلفاء الراشدين الأربعة حتى الآن على أن يدعى النبوة لنفسه ، وإذن فما نبوة غلام أحمد القاديانى إلا نبوة كاذبة [٢] مردودة بالكتاب والسنة والإجماع والعقل فأما الكتاب فبقوله تعالى : (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين).

وأما السنة فقد جاءت الأحاديث تترى على أن رسول الله هو خاتم النبيين جميعا من هذه الأحاديث ما جاء فى صحيح البخارى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبى خلفه نبى وأنه لا نبى بعدى)[٣]

---

١ تفسير الألوسى جـ٢٢ ص ٣٤ بشئ من التصرف فى الألفاظ.

٢ اعتمدنا فى معظم ردنا على هذه النبوة الكاذبة على كتاب القول الحق لاستاذنا الشيخ مصطفى الحديدى الطير.

٣ فتح البارى – كتاب أحاديث الأنبياء – باب ما ذكر عن بنى إسرائيل جـ٦ ص ٥٧١.

ومنها أيضا ما جاء فى صحيح البخارى عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله الإ موضع لنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين) [١]

ومنها أيضا ما جاء فى صحيح البخارى عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)[٢]

وأما الإجماع فقد أجمع المسلمون على أنه لا نبى بعده صلى الله عليه وسلم وأصبح ذلك معلوما من الدين بالضرورة ، ولا يخالف ذلك إلا كافر قال الحافظ ابن كثير فى هذا الصدد (وقد أخبر الله تعالى فى كتابه ورسوله فى السنة المتواترة عنه أنه لا نبى بعده ، ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل)[٣]

---

١ المصدر السابق – كتاب المناقب – باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم جـ٦ ص ٦٤٥.

٢ المصدر السابق .

٣ تفسير ابن كثير جـ٣ ص ٤٩٤.

وقال الأمام الألوسى أيضا : (وكونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين مما نطق به الكتاب وصدقت به السنة وأجمعت عليه الأمة فيكف رمدعى خلافه ويقتل إن أصر)[1]

وأما العقل فلانه لا حاجة إلى نبى مع قيام العلماء بمهمة الأنبياء فى بنى إسرائيل فالعلماء فى الإسلام يبلغون القرآن والسنة كما كان أنبياء بنى اسرائيل يبلغون التوراة ، والقرآن محفوظ بعناية الله من التحريف فلا حاجة عقلا إلى أرسال نبى بعده صلى الله عليه وسلم وبهذا يكون غلام أحمد القاديانى ومن على شاكلته متنبئاً كذابا وكانوا لمخالفته وصريح القرآن والسنة فى أنه لا نبى بعد محمد وتعتبر القاديانية مذهبا باطلا خارجا على الإسلام ويعتبر معتنقوها كافرين خارجين على الإسلام وليسوا من الأسلام فى شئ ومن كل ما تقدم يتبين لنا أن القاديانية وليد غير شرعى للسياسة البريطانية فى الهند ، والواقع أنها أنكى سلاح شرعه الاستعمار ضد الإسلام هو ذلك النفر من الناس أعنى بهم القاديينيين فهم جماعة كونهم الاستعمار بأسلوبه الخاص ، رمانا بهم كى يهدموا الإسلام ويردونا إلى الظلام فحرى بالمسلمين أن ينتبهوا لهولاء الضالين المضلين حتى لا ينخدع مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله بزخارفهم الكاذبة وأباطيلهم المضللة.

---

[1] تفسير الألوسى جـ٢٢ ص ٤١.

الدخيل عن طريق التفسير العلمى

وهذا النوع من الدخيل يكمن فيما يذهب إليه بعض المشتغلين بالعلوم التجريبية من إخضاع آيات القرآن لما تجود به العصور من مكتشفات علمية وقد اتجه بعض علماء المسلمين – قديما وحديثا – إلى إيجاد رابطة بين القرآن والعلم ، واجتهدوا فى استنباط طائفة من العلم من آيات القرآن . ولو أننا تتبعنا سلسلة البحوث التفسيرية للقرآن الكريم فى هذا المجال أعنى مجال التفسير العلمى (ولوجدنا أن هذه النزعة تمتد من عهد النهضة العلمية العباسية إلى يومنا هذا ولو وجدنا أنها بدأت على هيئة محاولات يقصد منها التوفيق بين القرآن وما جد من العلوم)[1]

ونشير إلى أن حجة الإسلام أبا حامد الغزالى – إلى عهده– هو أبرز من توسع فى مجال التفسير العلمى ، إذ نراه يقرر فى كتاب (أحياء علوم الدين) أن القرآن يشتمل على كل العلوم ، وأنه يشير إلى جميع مسائلها إذ يقول :(كل ما أشكل فهمه على النظار ، وأختلف فيه الخلائق فى النظريات والمعقولات فى القرآن إليه رموز ودلالات علمية ، يختص أهل الفهم بدركها.

[1] الإتجاهات النحرفة فى تفسير القرآن الكريم للدكتور محمد الذهبى ص ٨٤.

ويستشهد لاشتمال القرآن على جميع العلوم بقول ابن مسعود (من أراد علم الأولين والأخرين فليتد بر القرآن).

ثم يقول : (وبالجملة فالعلوم كلها داخلة فى أفعال الله عز وجل وصفاته ، وفى القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته ، وهذه العلوم لا نهاية لها وفى القرآن أشارة إلى مجامعها)[1]

وإذا ما ذهبنا نستعرض بعض ما أستنبطه العلماء من آيات القرآن فى هذا الاتجاه فإننا نجد الكثير منه سواء كان عن المتقدمين أو المتأخرين فمن أمثله ما ورد عن المتقدمين ما ذكره جلال الدين السيوطى فى الإتقان ، عن أبى الفضل المرسى من أن علم الهندسة موجود فى قوله تعالى ﴿ **انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب** ﴾ [سورة المرسلات آية ٣٠]

قال فإن فيه قاعدة هندسية وهى أن الشكل المثلث لاظل له .. ومنها ما ذكره السيوطى أيضا عن أبى الفضل المرسى من أن الجبر والمقابلة قيل : إنهما مأخوذان من أوائل السور فإن فيهما ذكر مدد وأعوام وأيام لتواريخ لأمم سالفة وأن فيها تاريخ بقاء هذه الأمة وتاريخ مدة أيام الدنيا وما مضى وما بقى مضروب بعضها فى بعض ومنها ما ذكره السيوطى عن بعض العلماء أنه استنبط أن عمر النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث وستون سنة من قوله

---

[1] أحياء علوم الدين جـ٣ ص ٥٢٣.

تعالى ﴿ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها﴾ [سورة المنافقون آية ١١] فإنها رأس ثلاث وستون سورة وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن في فقده[1].

وهذا الرأى ذكره الجلال فى إتقانه (لاشك) توسع فى القول وإسراف فى الاستنباط وليس له سند من كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا من اللغة وليس له مبرر يقتضى الحمل عليه .

ومن أمثلة ما ورد عن المتأخرين ، ما جاء في كتاب (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) للسيد عبد الرحمن الكواكبى ، وقد ذكر فيه المؤلف أن القرآن أشتمل على النظريات العلمية التى وجدت وأنها تؤيد إعجاز القرآن الكريم – ثم يقول – ومثال ذلك أن العلم كشف فيهذه القرون الأخيرة حقائق وطبائع كثيرة تعزى لكاشفيها من علماء أوربا وأمريكا والمدقق فى القرآن يجد أكثرها ورد التصريح أو التلميح به فيه ، منذ ثلاثة عشر قرنا ، وما بقيت مستورة تحت غماء من الخفاء الأ لتكون عند ظهورها معجزة للقرآن شاهدة بأنه كلام رب لا يعلم الغيب سواه ومن ذلك أنهم كشفوا أن مادة الكون هى الأثير وقد وصف القرآن بدء التكوين فقال ﴿ثم استوى إلى السماء وهى دخان﴾ [سورة فصلت آية ١١] وكشفوا أن الكائنات فى حركة دائمة ودائبة ، والقرآن يقول ﴿وآية لهم الأرض الميتة احييناها وأخرجنا منها حبا إلى أن يقول وكل فى فلك يسبحون﴾ [سورة يس من الآية ٣٣ إلى ٤٠] وحققوا أن

---

[1] الأتقان جـ٢ ص ١٢٦-١٣٠.

الأرض مفتقة من النظام الشمسي والقرآن يقول ﴿أو لم يرى الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ﴾ [سورة الأنبياء آية ٣٠]

وحققوا أن طبقات الأرض سبع والقرآن يقول : ﴿خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن﴾ [سورة الطلاق آية ١٢]

وهكذا استمر الكواكبي يعرض النظريات العلمية التى أرتآها العلماء ويذكر من آيات القرآن ما يدل عليها ويقول : (أن كثيرا من آياتها سينكشف سرها في المستقبل في وقتنا المرهون تجديداً لإعجاز القرآن) [١] ومن أمثلة ذلك أيضا ما قاله الشيخ طنطاوى جوهرى في تفسير الجواهر ، وهو يتحدث عن بقرة بنى إسرائيل : (وأما علم تحضير الأرواح ، فإنه من هذه الآية استخراجه أن هذه الآية تتلى والمسلمون يؤمنون بها حتى عم تحضير الأرواح بأمريكا أولا ثم بسائر أوربا ثانيا)[٢]

موقفنا من هذا التفسير :

ومما لا ريب فيه أن مثل هذا التفسير خروج بكتاب الله عن هدفه ، وانحراف به عن قصده ، لأن الأصل فى القرآن أنه أنزل للهداية والتشريع لا ليكون موسوعة لكل العلوم والفنون.

---

١ انظر اتجاه التفسير فى العصر الحديث للشيخ مصطفى الحديدى الطير ص ٢٦٢ -٢٦٣.

٢ الجواهر فى تفسير القرآن الكريم جـ١ ص ٨٤.

فمن الخطأ البين تنزيل آى القرآن على ما لم يثبت علميا خاصة وأن العلم لا يعرف الكلمة الأخيرة وهذا لا يمنع أن القرآن قد تحدث عما أستكن فى طوايا العلوم والمعارف وأشار إلى غايتها ونشأتها ، وحسبه أن يشير إليها لا أن يكون مستوعبا لتفاصيلها ، ذلك أن القرآن ليس من شأنه الإفاضة فى الحقائق العلمية كأن يدلل على نظرية هندسية – مثلا أو يقرر قانونا من قوانينها وليس القرآن كتابا يهدف إلى عرض بعض القوانين التى تتحكم فى الكون أن له هدفا جوهريا [1] حدده رب العالمين بقوله:﴿**ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين**﴾[سورة البقرة آية ٢] وقوله تعالى﴿**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم**﴾[سورة المائدة آية ١٥-١٦] وقوله تعالى ﴿**إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم**﴾[سورة الإسراء آية ٩]

وهذا هو المقصود الأول الذى نزل من أجله الهداية والاعتبار والتعبد، وليس معنى هذا أن القرآن يقف من الحياة موقفا عدائيا أو يقف كغيره من الديانات حجر عثرة فى سبيل التقدم العلمى والفكرى والحضارى أو فى سبيل ما جد أو يجد فى العالم من معارف وصنائع وفنون بل على العكس من ذلك أنه دعا المسلمين إلى تعلمها . وحثهم على الأنتفاع بها ، وحضهم بقوة أن يقرأوا صحيفة هذا الوجود ، ليصلوا إلى الكون ومكونه ، وليستدلوا بالوجود

---

[1] انظر دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة لموريس بكاى ص ٤٦.

على موجده ولينتفعوا أبلغ انتفاع بتلك القوى العظيمة التى خلقها لأجلهم وسخرها لنفعهم [١]

قال تعالى : ﴿ **الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾[سورة الجاثية الآيات١٢-١٣]

وإذا كان بعض العلماء من قدامى المفسرين قد ارتضوا التفسير العلمى فإن بعضا أخر منهم قد عارضه وأنكره ومن هؤلاء المنكرين أبو إسحاق ابن موسى الشاطبى ، إذ قرر فى كتابه (الموافقات) أن الناس فى هذا الباب قد تجاوزوا الحد فى الدعوى على القرآن فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين كالهندسة وغيرها من الرياضاتوالمنطق وعلم الحروف وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها ويقرر أن هذا لا يصح ولا يستقيم ثم يقول : (فليس بجائز أن يضاف إلى القرآن ما لا يقتضيه كما أنه لا يصح أن ينكر منه ما يقتضيه ويجب الاقتصار فى الاستعانة على فهمه على كل ما يضاف علمه إلى العرب خاصة فيما يوصل إلى علم ما أودع فيه من الأحكام الشرعية ، فمن طلبه بغير ما هو أداة له ضل عن فهمه، وتقول على الله ورسوله فيه) [٢] وهكذا يتبين لنا رأى

---

١ مناهل العرفان للشيخ محمد عبد العظيم الزرقانى جـ٢ ص ٩٩.

٢ جـ٢ ص ٧٩- ٨٢.

الشاطبي في التفسير العلمي بأنه لا يجوز الخروج بالتفسير إلى غير ما عرفه العرب وأقره الإسلام من العلوم .

ونقول : وحسب القرآن أنه – منذ أربعة عشر قرنا من الزمان وإلى الآن لم يوجد فيه نص من النصوص يناقض حقيقة علمية .

قال الذهبي ردا على أصحاب هذا الاتجاه المنحرف في التفسير (وليعلم أصحاب هذا الاتجاه المنحرف في تفسير كتاب الله أن من الخير لهم ولكتابهم أن لا يسلكوا هذا المسلك في تفسيره رغبة في إظهار إعجاز القرآن وصلاحيته للتمشي مع التطور الزمني وحسبهم أن لايكون في القرآن نص صريح يصادم حقيقة علمية ثابتة وحسب القرآن أنه يمكن التوفيق بينه وبين ما وجد وما يوجد من نظريات وقوانين علمية تقوم على أساس من الحق وتستند إلى أصل صحيح)[1]

وإجمال القول : أننا لا نمنع التفسير العلمي إن انتقل العلم إلى حقيقة ولم يعد من النظريات القابلة للتغيير فمن المقطوع به أن العلم يتطور ويتغير فهو لا يعرف الثبات والإستقرار ، أما الدين فثابت وقسر على أن هناك ضوابط لقبول هذا التفسير يجب الالتزام بها وهي (إذا لم يكن فيه إكراه للآيات وقصر لألفاظها وتعسف في استخراج المعاني العلمية منها ، وكان إثبات معاني الآيات وفق مقتضيات اللغة ومتواتر المنقول عن غرائبها مع الأخذ بظاهر المعنى ما لم يمنع منه مانع من العقل أو النقل وفي حدود

[1] الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم للشيخ محمد حسين الذهبي ص ٩١.

المعانى المحتملة للألفاظ والآيات دون نقص أو زيادة كان التفسير على سبيل الائتناس والتأييد للنظرية العلمية وليس على أن النظرية تحمل معها التأييد لهذا التفسير أو ذاك وإلا كان قطعا بمراد الله تعالى وفى هذا تعريض لاخطار لا يمكننا الدفاع عنها إذ أن العلم لا يعرف الثبات والاستقرار فقد يصح اليوم فى نظر العلم ما يصبح غدا من الخرافات فيجدر بنا أن ننبه من أول الأمر على أن القرآن فى عليائه بعيد عن هذه التغيرات والتقلبات فإذا ما كان كذلك : كانت دراسة الجوانب العلمية فى القرآن كطريق للهداية وكأسلوب للتفاهم مع من لا يجدون سواه أمرا ضروريا تحتمه الظروف وتتطلبه طرائق العصر وأساليبه وإذا كان التفسير على غير هذا فهو مرفوض) [١]

تلك هى الضوابط التى أوجب العلماء التزامها فى التفسير العلمى ونحن نوافقهم عليها أما أن يأتى من لا علم له بأصول التفسير [٢] ولا بقواعد الشرع واللغة ويريد إقحام آيات القرآن الكريم فى موضوعات لا تناسبها ويفسرها بنظريات العلم المتقلبة ويحاول بالقسر والإكراه حمل الفاظ القرآن عليها ليبين للمسلمين وغير المسلمين أن القرآن قد حوى علم الأولين

---

[١] البداية فى التفسير الموضوعى عبد الحى الفرماوى ص ٤١.

[٢] يعتمد التفسير على ثلاثة أصول ١ – النص القرآنى فى موضع أخرى .
٢ – التفسير النبوى .
٣ – المعنى اللغوى.

والأخرين ، وأنه سبق إلى تلك العلوم الحديثة ونبه عليها قبل أن يصل إليها هؤلاء العلماء بقرون طويلة ، فذلك ما نرفضه ويجب التصدى لمنعه .

المراجع المساعدة

١- أتجاه التفسير فى العصر الحديث للشيخ مصطفى الحديدى الطير.

٢- الاتجاهات المنحرفة فى تفسير القرآن الكريم للأستاذ الدكتور محمد حسين الذهبى "مكتبة وهبه"

٣- الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى.

٤- الإسرئيليات و الوضوعات فى كتب التفسير للاستاذ الدكتور محمد أبو شهبة.

أسئلة التقويم الذاتي

س١ : ما معنى الدخيل ؟ وما أنواعه؟

س٢ : كيف نشأ هذا العلم ؟ ومتى ؟

س٣ : ما هى الأسباب التى أدت إلى دخول الإسرائيليات إلى التفسير؟

س٤ : ما هى خطورة الإسرائيليات ؟ وأثرها على التفسير وعلى الإسلام وعلى المسلمين؟

س٥ : ما هى أقسام الإسرائيليات ؟ وما حكم رواية الإسرائيليات؟

س٦ : كيف توفق بين الأدلة التى ظاهرها المنع والأدلة التى ظاهرها الإباحة؟

س٧ : ما معنى الحديث الموضوع؟ ومتى ظهر الوضع فى الحديث ؟ وما أسباب الوضع؟

س٨ : ما هى علامات الوضع فى الحديث؟

س٩ : ما حكم رواية الموضوع؟

س١٠ : ما هو الدخيل فيالرأى ؟ وما أنواعه؟

س١١ : ما هو الدخيل عن طريق التفسير الصوفي ؟ وما هو التصوف النظرى والتصوف العملي ؟ وما هي شروط قبوله؟

س١٢ : من هم الباطنبية ؟ ومتى ظهرت حركة الباطنية ؟ وما صلتها بالمجوسية ؟ وما هدفها؟

س١٣ : ما هو الدخيل عن طريق القاديانية ؟ وما مبادئ القاديانية ؟

س ١٤ : ما هو الدخيل عن طريق التفسير العلمي؟ وما موقفنا من هذا التفسير ؟



الوحدة الثانية

الأهداف الخاصة

يتوقع منك أيها الدارس لهذه الوحدة أن تصبح قادرا على معرفة ما يلى :

١- الرأى السليم لمحتويات هذه الوحدة.

٢- التمييز بين الرأى المدسوس والرأى السليم.

٣- فتح النوافذ أمام العقل الواعى للفصل فى هذه النواحى.

المحتويات

وتشتمل على :

١- الدخيل فى قصة أصحاب الكهف :

٢- ما ذكر بشأن تسمية ذى القرنين وما قيل فى يأجوج ومأجوج.

٣- ما قيل فى إهلاك القرى وتعذيبها.

٤- ما قيل فى معنى السجل للكتب.

٥- ما قيل فى خروج الدابة والرأى السليم.

المقـــدمة

شحنت كتب التفسير فى محتويات هذه الوحدة بآراء يرفضها العقل وما عليك إلا أن تميز بين هذه الآراء لتعرف السليم من غيره.

الدخيل فى قصة أصحاب الكهف

(ما قيل فى الرقيم الذى دون فيه قصتهم)

قال : ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً﴾[سورة الكهف آية ٩]

عند تفسير هذه الآية قال أبو السعود : الرقيم كلبهم ، قال أمية بن أبى الصلت : وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم فى الكهف همد.

وقيل هو لوح رصاصى أو حجرى رقمت فيه أسماؤهم وجعل على باب الكهف. وقيل هو الوادى الذى فيه الكهف فهو رقمه الوادى أى جانبه. وقيل الجبل وقيل قريتهم ، وقيل مكانهم بين غضبان وأيلة دون فلسطين وقيل أصحاب الرقيم أخرون وكانوا ثلاثة أنطبق عليهم الغار فنجوا بذكر كل منهم أحسن عمله على ما فصل فى الصحيحين [١]

[١] تفسير أبى السعود جـ٥ ص ٢٠٦.

أقول : ذكر أبو السعود أقوالا عديدة فى معنى الرقيم لا يعلم منها غير القول القائل بأنه كان لوحا رصاصيا أو حجريا رقمت فيه أسماؤهم وكان فى إمكانه أن يتخير هذا الرأى من بين الأقوال لأنه هو الظاهر من الآية [١] فضلا عن أن لغة العرب والقرآن يشهدان له فالرقيم – فعيل بمعنى مفعول ، أى مرقوم – كما يقول النحاة.

وفى التنزيل يقول الله تعالى ﴿ **وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم**﴾

وقال تعالى ﴿ **وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون**﴾ [سورة المطففين آيات ٨-٩- ١٩-٢٠-٢١] .وإلى ذلك ذهب الإمامان الطبرى والرازى وغيرهما من المفسرين وهو الرأى الراجح.

قال الإمام الطبرى : بعد ذكر الأقوال التى قيلت فى الرقيم فى المراد بالرقيم وأولى هذه الأقوال بالصواب فى الرقيم أن يكون معنيا به لوح أو حجر أو شئ كتب فيه كتاب وقد قال أهل الأخبار إن ذلك لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وخبرهم حين أووا إلى الكهف [٢]

وتبعه فى ذلك الرازى فقال وهذا قول جميع أهل المعانى والعربية قالوا : الرقيم الكتاب والأصل فيه المرقوم ثم نقل إلى فعيل ، والرقيم الكتابة ومنه قوله تعالى (كتاب مرقوم) أى مكتوب ، قال القراء : الرقيم لوح كان فيه أسماؤهم وصفاتهم ونظن أنه إنما سمى رقيما لأن أسماءهم كانت مرقومة

---

١ تفسير ابن كثير جـ٥ ص ١٣٥.

٢ جامع البيان جـ١٥ ص ٨٣.

فيه[١] أما باقى الأقوال التى أوردها أبو السعود فى الرقيم من أنه كلب أهل الكهف كما زعمه أمية بن أبى الصلت أو أنه قريتهم كما ذكره كعب الأحبار أو هو الجبل أو هو وادى بفلسطين قرب آيلة أو هو غير ذلك من الغرائب التى أوردها فى هذا الصدد فبمعزل من الصواب ومن يتدبرها يجد أنها عارية عن الصحة تماما وهذا كله من التخمين الذى لا يقوم عليه بينة ولا يهدف إلى دليل.

وقد جاء أبو السعود بعد ذلك بعد أن حكى اختلافهم فى الرقيم. قال : وقيل أصحاب الرقيم أخرون وكانوا ثلاثة انطبق عليهم الغار فنجوا بذكر كل منهم أحسن عمله. ونقول إن هذا التفسير بعيد عن روح الآية وسياقها.

قال الألوسى فى التعقيب على ما ذكر ولا يخف أن ذلك بعيد عن السياق وليس فى الأخبار الصحيحة ما يضطرنا إلى ارتكابه[٢]

وذلك لأن الظاهر من الآية أن أصحاب الكهف والرقيم كما يقول الشنقيطى طائفة واحدة أضيفت إلى شيئين أحدهما معطوف على الآخر خلافا لمن قال إن أصحاب الكهف طائفة وأصحاب الرقيم طائفة أخرى وأن الله تعالى قص على نبيه فى هذه السورة الكريمة قصة أصحاب الكهف هم الثلاثة الذين سقطت عليهم صخرة فسددت عليهم باب الكهف الذى هم فيه فدعوا الله

---

١ الفخر الرازى جـ٢١ ص ٨٣.
٢ الألوسى جـ١٥ ص ٢١٠

بأعمالهم الصالحة وهم البار بوالديه والعفيف والمستأجر وقصتهم مشهورة ثابتة فى الصحيح الا أن تفسير الآية بأنهم هم المراد بعيد كما ترى [١]

ما جاء فى نبأ أصحاب الكهف وما قيل فيهم :

قال تعالى : ﴿ **نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى**﴾ [سورة الكهف آية ١٣]

وعند تفسير هذه الآية روى أبو السعود قصة طويلة نبأ أهل الكهف منسوبة لمحمد ابن إسحاق ، فقال : (ونبؤهم حسبما ذكره محمد بن إسحاق بن يسار أنه قد مرج أهل الأنجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم فعبدوا الأصنام ، وذبحوا للطواغيت وكان ممن بالغ فى ذلك وعتا عتوا كبيرا (دقيانوس) فإنه غلا فيه غلوا شديدا فجاس خلال الديار والبلاد بالعبث والفساد وقتل من خالفه من المتمسكين بدين المسيح عليه السلام ، وكان يتبع الناس فيخبرهم بين القتل وعبادة الاوثان ، فمن رغب فى الحياة الدنيا الدنية يصنع ما يصنع ، ومن آثر عليها الحياة الأبدية قتله وقطع إربه وعلقها فى سور المدينة وأبوابها فلما رأى الفتية ذلك وكانوا عظماء أهل مدينتهم ، وقيل كانوا من خواص الملك ، قاموا فتضرعوا إلى الله عز وجل واشتغلوا بالصلاة والدعاء ، فبينما هم كذلك إذ دخل عليهم أعوان الجبار فأحضروهم بين يديه فقال لهم ما قال وخيرهم بين القتل وعبادة الأوثان فقالوا إن لنا إلها ملأ السموات والأرض – عظمته وجبروته – لن ندعو من دونه أحدا ، ولن نقر

---

[١] أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن جـ٤ ص ٢٠.

لما تدعونا إليه أبدا ، فاقض ما أنت قاض فأمر بنزع ما عليهم من الثياب الفاخرة ، وأخرجهم من عنده وخرج هو إلى مدينة نينوى لبعض شأنه وأمهلهم إلى رجوعه ليتأملوا فى أمرهم فإن تبعوه والا فعل بهم ما فعل بسائر المسلمين فأزمعت الفتية على الفرار بالدين والالتجاء إلى الكهف الحصين فأخذ كل منهم من بيت أبيه شيئا ، فتصدقوا ببعضه وتزودوا بالباقى ، فأووا إلى الكهف فجعلوا يصلون فيه آناء الليل وأطراف النهار ويبتهلون إلى الله سبحانه بالأنين والجوار وفوضوا أمر نفقتهم إلى يمليخا ، فكان إذا أصبح يضع عنه اللحاف ويلبس لباس المساكين ويدخل المدينة ويشترى ما يهمهم ، ويتحسس ما فيها من أخبار ويعود إلى أصحابه فلبثوا على ذلك إلى أن قدم الـ ـار المدينة فطلبهم ، وأحضر آباءهم فاعتذروا بأنهم عصوهم ونهبوا أمـ الهم وبذروها فى الأسواق وفروا إلى الجبل ، فلما رأى يمليخا ما رأى من الشر رجع إلى أصحابه وهو يبكى ومعه قليل من الزاد فأخبرهم بما شهده من الهول ففزعوا إلى الله عز وجل وخروا له سجداً ثم رفعوا رؤوسهم وجلسوا يتحدثون فيما أمرهم فبينما هم كذلك إذ ضرب الله تعالى على آذانهم فناموا ونفقتهم عند رؤوسهم فخرج (دقيانوس) فى طلبهم بخيله ورجله فوجدهم قد دخلوا الكهف فأمر بإخراجهم فلم يطق أحد أن يدخله فلما ضاق بهم ذرعا ، قال قائل منهم : أليس قد قدرت عليهم قتلتهم ؟ قال : بلى ، قال : فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتون جوعا وعطشاً وليكن كهفهم قبرا لهم ، ففعل ثم كان من شأنهم ما قص الله عز وجل عنهم (إنهم فتية)[1]

---

[1] تفسير أبى السعود جـ٥ ص ٢٠٩.

بيان الدخيل

هذه الرواية التى أوردها أبو السعود نقلا عن محمد بن إسحاق ابن يسار قد استمدها ممن سبقوه من المفسرين كابن جرير الطبرى والزمخشرى والقرطبى والثعلبى فى كتبهم وقد [1] تضمنت من الأخبار ما هو محتمل من الصدق والكذب.

وبادئ ذى بدء نقول : لما كان القرآن الكريم قد نص على أن هؤلاء الفتية آمنوا بربهم فلابد أنهم قد تعرضوا لاضطهاد دينى مما اضطرهم إلى الآعتصام بالكهف ، ومن ثم فنحن لا ننكر ذلك ولكن الذى ننكره إنما هو تلك المبالغات والمغالطات التى يرسل الرواة لأنفسهم فيها العنان دون تفكير فيما يصح وما لا يصح ويتضح ذلك فيما يلى : -

١- جاء فى الرواية المتقدمة أن أهل الأنجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم فعبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت وكان ممن بالغ فى ذلك دقيانوس الذى كان يقتل كل من خالفه من المتمسكين بدين المسيح عليه السلام ومعنى

---

[1] الطبرى جـ١٥ ص ١٣٣ والقرطبى جـ٥ ص ٣٧٦ والكشاف وقصص الأنبياء للثعلبى ص ٣٧٨.

ذلك أن فتية الكهف كانوا بعد زمن من عيسى عليه السلام وهذا مخالف للواقع التاريخي[1]

ولو كان الأمر كذلك لما أعتنى اليهود بقصتهم ، لأنهم لا يعترفون بدين المسيح ، ولا يعبأون بأتباعه. ويقرر الحافظ ابن كثير هذا المعنى ويؤكده فيقول : وقد ذكر أنهم كانوا على دين عيسى بن مريم عليه السلام.

والظاهر أنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية فإنهم لو كانوا على دين النصرانية لما أعتنى أحبار اليهود بحفظ خبرهم وأمرهم لمباينتهم لهم ، وقد جاء عن ابن عباس أن قريشا بعثوا إلى أحبار اليهود بالمدينة يطلبون منهم أشياء يمتحنون بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا إليهم أن يسألوه عن خبر هؤلاء وعن خبر ذى القرنين وعن الروح ، فدل هذا على أن هذا أمر محفوظ فى كتب أهل الكتاب ، وأنه متقدم على دين النصرانية[2]

٢- كما جاء فى الرواية نفسها أن الملك سد عليهم باب الكهف ليموتوا جوعا وعطشا وهذا كلام يبطله ما جاء فى قوله تعالى ﴿**وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمن وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه ذلك من آيات الله**﴾ [سورة الكهف آية ١٧] حيث أفاد هذا النص الكريم أن الشمس كانت تميل عن كهفهم ذات اليمين وذات الشمال لئلا

[1] الذى يقول إن الأضطهاد الذى حدث لهؤلاء كان فى عهد الملك السلوقى انيتوخوس الرابع الملقب بنابيفانس (حوالى ١٧٦ ق.م)انظر المنتخب من التفسير للقران الكريم ص ٤٢٨.

[2] تفسير ابن كثير جـ٥ ص ١٣٧.

تصيبهم بأشعتها وحرارتها فتؤذيهم وذلك من دلائل قدرة الله عز وجل وذلك لا يحصل إلا إذا كان باب الكهف مفتوحا لا مغلق كما ورد بالرواية التى نحن بصددها.

وقد أكد هذا المعنى أيضا الحافظ ابن كثير فقال : وقد قيل إن قومهم ظفروا بهم ووقفوا على باب الغار الذى دخلوه فقالوا ما منا ما نريد منهم من العقوبة أكثر مما فعلوا بأنفسهم فأمر الملك بردم بابه (باب الكهف) عليهم فيهلكوا مكانهم ففعل ذلك. وفى هذا نظر والله أعلم ، فإن الله تعالى أخبر أن الشمس تدخل عليهم بكرة وعشيا[١]

٣- مما تقدم نستطيع القول بأن ما ذكره أبو السعود فى هذه الرواية لا ثقة فيه إذ أنه من الدخيل الذى لا يتوقف عليه تفسير ولا تأويل وخاصة أنه من رواية ابن إسحاق بن يسار صاحب المغازى وقد قال عنه النسائى وغيره ليس بالقوى ، وقال الدار قطنى لا يحتج به ، وقال أبو داود قدرى معتزلى وقال سليمان التيمى كذاب وقال ملك دجال[٢]

ولاشك أن تلك الأقوال من أعلام الجرح والتعديل تذهب الثقة فى هذا الخبر الذى رواه ابن إسحاق ولهذا فقد أورده الألوسى فى تفسيره وعقب عليه بقوله : (وروى غير ذلك والأخبار فى تفصيل شأنهم مختلفة وفى البحر لم يأت فى الحديث الصحيح كيفية اجتماعهم وخروجهم ولا معول إلا على ما

---

١ تفسير ابن كثير جـ٥ ص ١٣٩.

٢ ميزان الأعتدال جـ٣ ص ٤٦٩.

قص الله تعالى من نبئهم [1] وهذا هو فصل الخطاب فى قصة أصحاب الكهف لأنه لا معول الا على ما قصه الله فى شأنهم من أنهم فتية آمنوا بربهم وفروا بدينهم مؤثرين العقيدة على الدنيا مواجهين بعزمهم كل تهديد ووعيد قال تعالى ﴿ **إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً** {**إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى** ﴾ [سورة الكهف آية ١٠-١٣]

ما جاء فى عدد تقلبهم أثناء نومهم وما قيل فى اسم ولون كلبهم

قال تعالى : ﴿ **وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد** ﴾ [سورة الكهف أية ١٨]

عند تفسير هذه الآية تعرض أبو السعود لما قيل فى تقليب أصحاب الكهف أثناء نومهم فقال قيل لهم تقليبتان فى السنة وقيل تقليبة واحدة يوم عاشوراء وقيل فى كل تسع سنين.

وعن أسم ولون الكلب ومن أى نوع كان ، قال أبو السعود قيل هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه مرارا فلم يرجع فأنطقه الله تعالى فقال : لا تخشوا جانبى فإنى أحب أحباء الله تعالى فناموا حتى أحرسكم ، وقيل هو كلب راع قد تبعهم على دينهم ويؤيده قراءة كالبهم إذ الظاهر لحوقه بهم.

---

[1] الأوسى جـ١٥ ص ٢١٧.

وقيل هو كلب صيد أحدهم أو زرعه أو غنمه وأختلف فى لونه فقيل كان أحمر وقيل كان أصفر وقيل أصهب وقيل غير ذلك.وقيل كان أسمه قطمير : وقيل ريان ، وقيل قطمور ، وقيل ثور ، وقال خالد بن معدان : ليس في الجنة من الدواب الا كلب أصحاب الكهف وحمار بلعم ، وقيل لم يكن ذلك من جنس الكلاب بل كان أسداً [1]

بيان الدخيل

ويتناول عدة نقاط نبينها على النحو التالى : -

١- ما أورد أبو السعود بشأن أصحاب الكهف من أن لهم فى كل عام تقليبتين أو تقليبة واحدة وذلك يوم عاشوراء أو أنهم كانوا يقلبون كل تسع سنين فكل ذلك دعاوى باطلة لا تملك دليلا ينهض بصحتها.

الرأى السليم لتفسير هذه الآية

لقد ثبت لهم التقليب بنص القرآن ، وظاهر الآية يدل على الكثرة لمكان المضارع الدال على الأستمرار التجددى ، لكن أى دليل أستدل به أبو السعود وغيره من المفسرين على التفصيل الذى أوردوه فى عدد تقلبهم من كثرة وقلة وتحديد يوم عاشوراء بالذات ؟

---

[1] تفسير أبو السعود جـ٥ ص ٢١٢.

نقول إن كل ذلك ما هو الا تخمين ورجم بالغيب فى شأنهم.

يقول الرازى فى التعقيب على ما ذكر : هذه التقديرات لا سبيل للعقل إليها ولفظ القرآن لا يدل عليها وما جاء فيه غير صحيح فكيف يعرف؟[١]

ونقول لقد صدق الرازى فيما قال : فلا سبيل لمعرفة ذلك الا بنص صريح أو خبر متواتر عن المعصوم صلى الله عليه وسلم وحيث لا يوجد ذلك فنحن فى حل من مثله.

٢- ما ذكره أبو السعود عن اسم الكلب أهو قطمير ،أو ثور حتى بلغت الأقوال فيه ستة أقوال.

عن لونه أهو أصفر أم غير ذلك ومن أى الأنواع كان ، هل هو كلب صيد أحدهم أو هو كلب راع قد تبعهم على دينهم فذلك كله لا ثقة فيه ولا يطمأن إليه ولا يتعلق بذكره حادثة إذ أنه من المهمات التى لا حاجة بنا إلى معرفتها والتى لم يرد تعينها من طريق صحيح وغاية ما يقال فيها أنها من أخبار بنى إسرائيل وفى هذا يقول ابن كثير (وقد ذكر كثير من القصاص والمفسرين لهذا الكلب نبأ وخبر طويل أكثره متلقى من الإسرائيليات وكثير منها كذب ومما لا فائدة فيه وقد اختلفوا فى اسمه ولونه على أقوال لا حاصل لها ، ولا طائل تحتها ولا دليل عليها ، ولا حاجة إليها ، بل هى مما ينهى عنه فإن مستندها رجم بالغيب[٢]

---

١ تفسير الفخر الرازى جـ٢١ ص ١٠٢.

٢ البداية والنهاية جـ٢ ص ١٥ وتفسير ابن كثير جـ٥ ص ١٤١.

ويقول صاحب أضواء البيان وما يذكره المفسرون من الأقوال في اسم كلبهم فيقول بعضهم اسمه قطمير، ويقول بعضهم أسمه حمران إلى غير ذلك لم نطل به الكلام لعدم فائدته ، ففي القرآن العظيم أشياء كثيرة لم يبينها الله لنا ولا رسوله ولم يثبت في بيانها وفي بيانها شئ والبحث عنها لا طائل تحته ولا فائدة فيه.

وكثير من المفسرين يطنبون في ذكر الأقوال فيها بدون علم ولاجدوى ونحن نعرض عن مثل ذلك تماما كلون كلب أصحاب الكهف واسمه وكالبعض الذي ضرب به القتيل من بقرة بني إسرائيل وكاسم الغلام الذي قتله الخضر وأنكر عليه موسى قتله ..إلى غير ذلك مما لا فائدة في البحث عنه ولا دليل على التحقيق فيه [١]

٣- ما أورده أبو السعود بشأن دخول هذا الكلب الجنة كما زعمه خالد بن معدان ليس في الجنة من الدواب إلا كلب أصحاب الكهف وحمار بلعم.

يقول الألوسي بعد إيراده لهذا الخبر : ورأيت في بعض الكتب أن ناقة صالح وكبش إسماعيل أيضا في الجنة ورأيت أيضا أن سائر الحيوانات المستحسنة في الدنيا كالظباء والطواويس ، وما ينتفع به المؤمن كالغنم تدخل الجنة ...ألخ.

ثم عقب على ذلك كله بقوله وليس فيما ذكر خبر يعول عليه فيما أعلم [٢]

١ أضواء البيان للشنقيطي جـ٤ ص ٤٣-٤٤.

٢ تفسير الألوسي جـ١٥ ص ٢٢٦.

ومن الغرائب الى أوردها أبو السعود فى هذا أن الكلب ليس من جنس الكلاب بل كان أسدا ، وأغرب من ذلك ما زعمه بعضهم أنه كان إنسانا من الناس طباخا لهم تبعهم كما ذكره ابن جرير فى التفسير[1]

قلت : وهذا خلاف الظاهر ، بل إنه باطل . والدليل على بطلانه

قوله تعالى ﴿ باسط ذراعيه﴾ فتلك قرينة على بطلان ذلك القول لأن بسط الذراعين معروف من صفات الكلب الحقيقى وهذا المعنى مشهور فى كلام العرب،فهو قرينة على أنه كلب حقيقى) [2] لا أسد ولا إنسان ، كما قيل.

والحاصل أن الاشتغال بمثل هذه الأمور مضيعة للوقت ، وقتل للعمر فيما لا فائدة من معرفته.

وماذا يفيد المسلم من معرفة اسم ولون كلب أهل الكهف ؟ ومن أى الأنواع كان ؟ إننا لا نرى فائدة من ذكره لأنه من فضول الكلام الذى طواه القرآن وسكت عنه لعدم فائدة تعود على المسلمين من ذكره لهم ومعرفتهم به ، فلننزه تفسير كتاب الله تعالى عن ذلك.

ما جاء فى عدة أصحاب الكهف وأسمائهم

قال تعالى ﴿ سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربى أعلم بعدتهم ما

---

[1] أضواء البيان جـ٤ص ٤٢-٤٣.

[2] سورة الكهف آية ٢٢.

يعلمهم إلا قليلا فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم أحدا﴾[سورة الكهف آية ٢٢]

عندما عرض أبو السعود لتفسير هذه الآية تحدث عن عدد الفتية وأسمائهم فقال ما نصه : (وعن على كرم الله وجه أنهم سبعة نفر أسماؤهم يمليخا ، وشاذ نوش ، ومشليينا هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وكان يستشير هؤلاء الستة فى أمره ، والسابع الذى وافقهم حين هربوا من ملكهم (بقيانوس) وأسمه كفيشططيوش[1]

بيان الدخيل

الرد على ما أورده أبو السعود فى هذه **الرواية ذو شقين**

الشق الأول : فيما يتعلق بأسماء الفتية

الشق الثانى : فيما ذكر بشأن عددهم

وبيانا لذلك نقول :

أولاً : أما ما ذكره أبو السعود عن أسمائهم فغير صحيح والدليل على ذلك اختلاف الروايات فيه ، فقد ورد أن أصحاب الكهف قد سموا فى بعض الروايات بغير هذه الأسماء.

---

[1] تفسير أبو السعود جـ٤ ص ٢١٧.

وفي ذلك ذكر السيوطي في الدر المنثور عن أبي عباس [١] أسماء بعض الفتية بخلاف ما ذكره أبو السعود ، فذكر منهم مرطوس وثيهونس ، ودودونس ، وتلك الأسماء تخالف ما ذكره أبو السعود في رواية على كرم الله وجهه الذي يقول عنها الألوسي (وفي صحة نسبتها لعلي مقال) [٢]

وبذلك نجد اختلافا في الروايات مما يقتضي معه أن لا يوثق بشئ منها كما يقتضي ألا نطمئن لصحة أي من هذه الروايات .

وجاء في البحر أن أسماء أصحاب الكهف أعجمية لاتنضبط بشكل ولا نقط والسند في معرفتها ضعيف[٣]

ومن ذلك نتبين عدم صحة هذا الذي ذكره أبو السعود في تسمية أصحاب الكهف وكان الأجدر به أن يضرب عنه صفحا لأنه لا يعدو أن يكون أخبارا إسرائيلية منقولة عن أهل الكتاب الذين أسلموا وحمله عنهم بعض الصحابة والتابعين.

وقد صرح بذلك ابن كثير في تفسيره فقال : (وفي تسميتهم بهذه الأسماء واسم كلبهم نظر في صحته فإن غالب ذلك متلقى من أهل الكتاب) [٤]

---

١ الدر المنثور جـ٤ ص ٢١٧.
٢ تفسير الألوسي جـ٥ص ٢٤٦.
٣ المصدر السابق.
٤ في ظلال القرآن لسيد قطب جـ٥ ص ٢٨٣٥.

وقال صاحب الظلال (إن النص القرآني يغفل أسماء الأشخاص وأعيان الذوات ليصور نماذج البشر ، وأنماط الطباع ويغفل تفصيلات الحوادث وجزئيات الوقائع ليصور القيم الثابتة والسنن الباقية، هذه التي لا تنتهي بانتهاء الحوادث ولا تنقطع بذهاب الأشخاص ولا تنقضي بانقضاء الملابسات ، ومن ثم تبقى قاعدة ومثلا لكل جيل ولكل قبيل)[١] وهو ملحظ طيب ودقيق.

ثانيا : وأما ما أورده أبو السعود بشأن عدتهم فنقول إن مثل هذه الأمور طريق العلم بها النقل والسماع ومن هنا ينبغي الوقوف عند القدر الذي أجمله القرآن الكريم دون الخوض في أشياء لا يعلم حقيقة أمرها إلا الله تعالى .

وقول أبو حيان : (إن مثله) يعني عدد الفتية لا يدرك بالعقل ، وإنما يدرك بالسماع ولا يكون في مثل هذا إلا عن الأنبياء أن أو الكتب الإلهية ويستحيل ورود هذا الاختلاف عنه [٢]

وما دام الأمر كذلك ففيم الجدل إذن حول عددهم وتعينهم ، قال الرازي تعليقا على قوله تعالى **﴿قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل﴾** وهذا هو الحق لأن العلم بتفصيل كائنات العالم والحوادث التي حدثت في

[١] في ظلال القرآن لسيد قطب جـ٥ ص ٢٨٣٥.

[٢] البحر المحيط جـ٦ ص ١٠٩.

الماضي والمستقبل لا تحصل الا عند الله تعالى ، والا عند من أخبره الله عنها ، إلى أن قال : (هذا التعيين لا دليل عليه فوجب التوقف)[1] ونقول نعم يجب التوقف لأن ذلك مما أبهمه الله في قرآنه لعدم الفائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا في دينهم.

وفي هذا يقول ابن كثير عند قوله تعالى ﴿ **فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا** ﴾ أي تسهيلا هينا لينا ، فإن الأمر في معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة (ولا تستفت فيهم منهم أحدا) أي فإنهم لا علم لهم بذلك إلا ما يقولون من تلقاء أنفسهم ، رجما بالغيب أي من غير استناد إلى كلام معصوم وقد جاءك الله يا محمد بالحق الذي لا مرية فيه ، فهو المقدم على كل ما تقدمه من الكتب والأقوال [2]

والآية بذلك قد اشتملت على توجيه عظيم حيث وجهت الرسول الكريم إلى ترك الجدل في هذه القضية وإلى عدم استفتاء أحد من المتجادلين في شأنهم تمشيا مع منهج الإسلام في صيانة الطاقة العقلية إن تبدت في غير ما يفيد ، وفيه الا يقف المسلم ما ليس به علم وثيق وأنه لايستوى أن يكون أصحاب الكهف ثلاثة ، أو خمسة أو سبعة ، أو أكثر فأمرهم موكول إلى الله وعلمهم عنده تعالى ، وهذا الحادث الذي طواه الزمن هو من الغيب الموكول

---

[1] تفسير الفخر الرازي جـ٢١ ص ١٠٨.

[2] تفسير ابن كثير جـ٥ ص ١٤٤.

إلى علم الله فليترك إلى علم الله [١] ولابن تيمية مقال جيد حول هذا الموضوع في مجموع الفتاوى .

ما ذكر بشأن تسمية ذي القرنين وما قيل عن يأجوج ومأجوج

قال تعالى : **﴿ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكراً﴾**

وقال تعالى : **﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً﴾**

وقال تعالى : **﴿حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن نجعل بيننا وبينهم سداً﴾** [سورة الكهف آيات ٨٣-٩٠ -٩٣-٩٤]

عندما أخذ أبو السعود في تفسير الآية الأولى وبعد أن تناول تحديد شخصية ذي القرنين بالشرح والتبيين من حيث كونه نبياً أو ملكاً أو عبداً صالحاً ، وهل المراد به الإسكندر المتقدم الصالح أو المتأخر الطالح بعد أن حقق القول في هذا كله تحدث بعد ذلك عن سبب تسميته بذي القرنين فقيل لأنه بلغ قرن الشمس مشرقها ومغربها ، وقيل لأنه كان في رأسه أو في تاجه ما يشبه القرنين ، وقيل لأنه كان له ذؤابتان ، وقيل لأنه كانت صفحتا رأسه من النحاس وقيل لأنه دعا الناس إلى الله عز وجل فضرب بقرنه الأيمن

---

[١] في ظلال القرآن مجلد ص ٤ ص ٢٢٦٥.

فمات ثم بعثه الله تعالى فضرب بقرنه الأيسر فمات ثم بعثه الله تعالى وقيل لأنه رأى فى منامه أنه صعد الفلك فأخذ بقرن الشمس ، وقيل لأنه أنقرض فى عهده قرنان وقيل لأنه سخر له النور والظلمة فإذا سرى يهديه النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه ، وقيل لقب به لشجاعته.

وعند تفسيره للآية الثانية والثالثة تحدث عن يأجوج ومأجوج من نواح عدة فعند بيان قوله تعالى ﴿ **حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا** ﴾

قال أبو السعود وعن كعب أن أرضهم لا تمسك الأبنية وبها أسراب فإذا طلعت الشمس دخلوا الأسراب أو البحر فإذا أرتفع االنهار خرجوا إلى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقالوا بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فإذا أحدهم يفرش أذنيه ويلبس الأخرى ومعى صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس ، قال فبينما نحن كذلك إذ سمعنى كهيئة الصلصلة ، فأغشى على ثم أفقت وهم يمسحوننى بالدهن ، فلما طلعت الشمس على الماء إذا هو فوق الماء كهيئة الزيت فأدخلونا سربا لهم ، فلما أرتفع النهار خرجوا إلى البحر يصطادون السمك ويطرحونه فى الشمس فينضج لهم وعن نسب يأجوج ومن أى الأقوام كانوا قال أبو السعود :(واختلفوا فى أنهم من أى الأقوام ، فقال الضحاك هم جيل من الترك ، وقال السدى الترك سرية من يأجوج ومأجوج خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجة فجميع الترك منهم.

وعن قتادة أنهم اثنتان وعشرون قبيلة سد ذو القرنين على إحدى وعشرين قبيلة منهم ، وبقيت واحدة فسموا الترك لأنهم تركوا خارجين ، قال أهل التواريخ أولاد نوح عليه السلام ثلاثة ، سام وحام ويافث.

فسام : أبو العرب والعجم والروم.

وحام : أبو الحبشة والزنج والنوبة.

ويافث :أبو الترك والخزر والصقالية ويأجوج ومأجوج.

وعن صفاتهم قال أبو السعود : وأختلف فى صفاتهم فقيل فىغاية صغر الجثة وقصر القامة لا يزيد قدرهم على شبر واحد وقيل فى نهاية عظم الجسم وطول القامة تبلغ قدودهم نحو مائة وعشرين ذراعا ، وفيهم من عرضه كذلك وقيل لهم مخالب وأضراس كالسباع[١] إن ما ذكره أبو السعود فى هذا المقام قد سبقه إليه ابن جرير الطبرى وغيره من المفسرين [٢]

ونقول بأن الدخيل قد تسلل إليه فى أكثر من موضع وبيان ذلك :

١- هذه الأقوال العشرة التى أوردها أبو السعود فى علة التسمية دون أن يعزوها لمصدر أوراو إنما هى من رواية أبى صالح عن ابن عباس وأبى أسحاق الثعلبى ، ووهب بن منيه على ما ذكره ابن الجوزى فى زاد المسير[٣]

---

١ تفسير أبى السعود جـ٥ ص ٢٤٣-٢٤٤-٢٤٥.

٢ جامع البيان جـ١٦ ص ١٤ -١٦ وتفسير القرطبى حـ٥ص ٤٠٨٦ والكشاف للزمخشرى جـ٢ ص ٤٠١-٤٠٣.

٣ زاد االمسير جـ٥ ص ١٨٣ ص ١٨٤.

وكلها أقوال تفتقر الدليل على صحتها.

وما معنى أنه سمى بذى القرنين لأنه بلغ قرنى الشمس مشرقها ومغربها أو قرنى الشيطان بها أو أنه كان له قرنا تحت عمامته

كما قال وهب [1] هذا كله كلام لا يقره الواقع ولا يقبله العقل ، ولا يساعد عليه النقل ، فمعنى بلوغه مشرق الشمس أى الشروق لأنه أقترب منها حتى شاهد لها ، أو للشيطان قرنان وما عهد الناس فى حياتهم أن للآدميين قرنين .

الرأى السليم

والذى يمكن أن يقال فى سبب التسمية أن هذا اللقب من الكناية عن كل ذى قوة وبأس وسلطان . لأن ذا القرنين من المواشى أقواها وأشدها – والكناية بالقرن عن القوة والسلطان معروفة عند اليهود الذين هم السائلون [2]

وإليه ذهب صاحب محاسن التأويل

كما يمكن أن يقال فى سبب القصص أنه كان له ذؤا بتان على وجهه كلية فى شعره أو أن غطاء رأسه كان له قرنان .

---

[1] تفسير القرطبى جـ٥ ص ٤٠٨٦.

[2] تفسير القاسمى جـ١١ ص ٤١٠٨.

إشارة إلى سيطرته على الشرق والغرب وقد كان هذا موجوداً في بعض الحقب التاريخية كما هو حال ملوك مصر الذين ظهر في رسوم تيجانهم قرنان رمزا للشجاعة والقوة ومنهم الملك مينا الذى وحد بين جنوب مصر وشمالها واتخذ لنفسه تاجاً يشمل الوجهين معا.

٢- أما ما أورده أبو السعود عن كعب الأحبار بشأن اسم المشرق التى وصل إليها ذو القرنين من أنهم إذا طلعت عليهم الشمس دخلوا الأسراب أو البحر فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معايشهم ومن أن رجلا ذهب إليهم وأنه خرَّ مغشيا عليه عندما سمع صلصة ناتجة عن الشمس عند طلوعها ، وأنه دخل فى سرب من أسرابهم عندما ارتفع النهار إلى غير ذلك مما ذكروه عنه من غرائب الأقوال فذلك كله عار عن الصحة تماما ، ولا شك أنه من أباطيل الإسرائيليات التى تلقاها كعب وغيره من مسلمى أهل الكتاب ، وفيها ما فيها الباطل والكذب ثم حملها عنهم بعض التابعين ثم انتقلت إلى كتب التفسير والسيرة والأخبار .

وقد عقب على ذلك ابن كثير وقد ذكر ابن جرير ها هنا عن وهب بن منبه أثرا طويلا عجيبا فى سيرة ذى القرنين ، وبنائه السد، وكيفية ما جرى له ، وفيه طول وغرابة ونكارة فى أشكالهم وصفاتهم وقصر بعضهم وآذانهم ، وروى ابن أبى حاتم أحاديث غريبة فى ذلك لا تصح إسنادها[1]

[1] تفسير ابن كثير جـ٥ ص ١٩٣.

ويذكر العلامة الألوسى هذه الأخبار التى قيلت فى هذا الصدد ثم يكر عليها مفندا ومتندرا بها فيقول : (وأنت تعلم أن مثل هذه الحكايات ينبغى أن لا يلتفت إليها ويعول عليها وما هى إلا أخبار عن هيان ابن بيان يحكيها العجائز وأمثالهن لصغار الصبيان [١]

٣- ومثل ذلك يقال فيما أورده أبو السعود من أن يأجوج ومأجوج أصلهما من الترك وأنهما من نسل يافث بن نوح عليه السلام.

واعتقد أن مصدر ذلك كله أهل الكتاب ، ومن يرجع إلى الإصحاح الأول من سفر التكوين بالعهد القديم يجد صدق ما نقول ، فقد جاء فيه هذه أولاد نوح سام وحام ، ويافث وولد لهم بنون بعد الطوفان ، وبنو يافث يأجوج ويأجوج.

ومن الإسرائيليات المستنكرة فى هذا المقام ، ما زعمه كعب الأحبار من أن يأجوج ، ومأجوج من ولد آدم عليه السلام من غير حواء ، وذلك أنه نام فأحتلم ، فأمتزجت نطفته من التراب فخلق منها يأجوج ومأجوج [٢] ومعلوم أن الأنبياء لا يحتلمون لأن الاحتلام من الشيطان قال ابن كثير فى التعقيب على ما ذكر : وهذا قول غريب لا دليل عليه ، لا من عقل ، ولا من

---

[١] تفسير الألوسى جـ١٦ ص ٣٦.

[٢] انظر تفسير الألوسى جـ١٦ ص ٣٨.

نقل ، ولا يجوز الاعتماد هنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب لما عندهم من الأحاديث المفتعلة [1]

وفى كتب التفسير من هذا الخلط وأحاديث الخرافة شئ كثير وينبغىأن تكون على حذر منها لما فيها من إسرائيليات وأساطير .

٤- وأماما أورده أبو السعود من أقوال تصف يأجوج ومأجوج بأوصاف غريبة من أنهم فى غاية صغر الجثة وقصر القامة يكون طول أحدهم شبرا أو العكس من أنهم فىنهاية عظم الجثة وطول القامة بحيث تبلغ مائة وعشرين ذراعا وأن لهم مخالب وأضراساً كالسباع ....الخ .

فكل ذلك أقوال فيها للخيال دوركبير ، ولا أساس لها من واقع أو دين. وقد أنصف الحافظ ابن كثير عندما وجه النقد لمثل هذه الأباطيل فقال ما نصه:-

(ومن زعم أنهم على أشكال مختلفة ، وأطوال متباينة جدا فمنهم من هو كالنخلة السحوق ، ومنهم من هو غاية فى القصر ومنهم من يفترش أذنا من أذنيه ويتغطى بالأخرى فكل هذه الأقوال بلا دليل ورجم بالغيب بغير برهان ، والصحيح أنهم من بنى آدم وعلى أشكالهم وصفاتهم)[2]

---

[1] تفسير ابن كثير جـ٥ ص ١٩١.

[2] البداية والنهاية جـ٢ ص ١١٠.

وخلاصة القول أن يأجوج ومأجوج أمة من بني آدم وخلقتهم كخلقة البشر سواء بسواء وأن كان فيهم نزوع إلى العدوان وقد طلبت أمة من الأمم من ذى القرنين (النموذج الطيب للحاكم الصالح) أن يجعل بينهم وبين هؤلاء الأشرار سدايقيهم شرهم وعدوانهم فأجابهم إلى مطلبهم ، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الحكام والأمراء والرؤساء من إغاثة الضعيف والوقوف بجانبه حتى يأخذ حقه من القوى ، ومن العدل بين الرعية والإخلاص لهم ، ومن المكافأة على المعروف وضرورة مجازاة المحسنين ، وتأديب الظالمين أما ما أورده المفسرون من غرائب الأخبار عنهم فلا يعول عليه ، ولا يقام له وزن.

ما قيل فى إهلاك القرى وتعذيبها

قال تعالى : **﴿وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك فى الكتاب مسطورا﴾** [سورة الأسراء آية ٥٨]

عند تفسير هذه الآية قال أبو السعود ما نصه : روى عن وهب بن منبه أن الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب أرمينية ، وأرمينية آمنة حتى تخرب مصر ، ومصر أمنة حتى تخرب الكوفة ولا تكون الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة ، فإذا كانت الملحمة الكبرى فتحت قسطنطينية على يد رجل من بنى هاشم ، وخراب الأندلس ، وخراب مصر من أنقطاع النيل وأختلاف الجيوش فيها وخراب العراق من الجوع ، وخراب الكوفة من قبل عدو من ورائهم يحصرهم حتى يستطيعون أن يشربوا من الفرات قطرة ، وخراب البصرة من قبل الغرق وخراب الأبلة من قبل عدو يحصرهم برا

وبحرا وخراب الرى من الديلم وخراب خراسان من قبل التبت وخراب التبت من قبل الصين ، وخراب الهند واليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من الحبشة والمدينة من قبل الجوع وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (أخر قرية من قرى الإسلام خرابا المدينة ، وقد أخرجه العمرى من هذا الوجه وأنت خبير بأن تعميم القرية لا يساعده السباق ولا السياق [١]

أقول : الرواية التى أوردها أبو السعود عن وهب اشتملت على عدة نقاط كانت سببا فى دخالتها ، وردنا عليها يتمثل فيما يأتى :-

١- ما ذكره أبو السعود عن ابن منبه فى سبب خراب الجزيرة وأرمينية ومصر والكوفة والأندلس وغير ذلك من القرى.

وجوابنا عليه أن هذه كلها دعاوى لابد لها من دليل يؤيدها ، وحيث لم يرد ذلك فى قرآن ولا نقل صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يعول عليه ومن ثم نتوقف فى قبوله ، وغاية ما يقال فيه أنه من الإسرائيليات المروية عن وهب عن أهل الكتاب ويؤيد ما قلنا الإمام الألوسى حيث أورد فى تفسيره ما أورده أبو السعود ثم عقب عليه بقوله ما روى عن وهب لا يكاد يعول عليه قال : وما ذكر فى خبر منبه من أن مصر أمنة حتى تخرب الكوفة إن صح يقتضى إن الكوفة تعمر ثم تخرب ، وإلا فهى خربت منذ

---

١ تفسير أبى السعود جـ٥ ص ١٨٠.

مئات السنين وبقيت إلى الآن خرابا بمصر آمنة عامرة على أحسن حال إلى اليوم[١]

٢- أما الخبر الذى أورده أبو السعود يشرح به الآية فلا يعول عليه أيضا إذ أن الترمذى رواه من حديث مسلم بن جنادة عن أبيه ، عن هشام عن عروة عن أبيه ، عن أبى هريرة مرفوعا وعقب عليه بقوله : هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من حديث جنادة عن هشام بن عروة [٢] عن هذا الحديث قال العلامة المناوى فى (فيض القدير) رمز المصنف لضعفه وهو كما قال فإن الترمذى ذكر فى العلل أنه سأل عنه البخارى فلم يعرفه ، وجعل يتعجب منه وقال : كنت أرى أى جنادة هذا مقارب الحديث أنتهى وقد جزم بضعف جنادة المذكور جمع منهم المزى وغيره.[٣]

٣- بقى القول فيما ذكره أبو السعود من أن تعميم القرية لا يساعد السباق ولا السياق نقول : بل يساعد ، والعموم هو الظاهر من الآية لأن فى قوله تعالى { وإن من قرية } نافية ومن زائدة لاستغراق الجنس أى وما من قرية من القرى الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة ويشهد له قوله تعالى ﴿ **وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون**﴾ [سورة القصص آية ٥٩]

---

١ الألوسى جـ١٥ ص ١٠٠-١٠١.

٢ سنن الترمذى كتاب المناقب باب فضل المدينة جـ٥ ص ٧٢٠.

٣ فيض القدير شرح الجامع الصغير جـ١ ص ٤٢.

وعليه فلا وجه بالقرى الكافرة بل يعم كل قرية لانقضاء عمر الدنيا ، وإلى ذلك ذهب جمع كبير من المفسرين كالرازى والألوسى والشوكانى [١]

ولعل التفسير الجدير بالقبول للآية هو ما ذكره ابن كثير حيث يقول : هذا إخبار من الله بأنه قد ختم وقضى بما قد كتبه عنده فى اللوح المحفوظ أنه ما من قرية إلا سيهلكها بأن يبيد أهلها جميعهم أو يعذبهم عذابا شديداً ، إما بقتل أو أبتلاء بما يشاء وإنما يكون ذلك بسبب ذنوبهم وخطاياهم ، كما قال عن الأمم الماضيين ﴿ **وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم** ﴾[سورة هود آية ١٠١]

وقال تعالى ﴿ **وكأى من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا و عذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا** ﴾ [سورة الطلاق آية ٧-٨]

ما قيل فى معنى السجل

قال تعالى ﴿ **يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين** ﴾ [سورة الأنبياء آية ١٠٤]

عند تفسير قوله تعالى ﴿**كطى السجل**﴾ قال أبو السعود : وهى الصحيفة أى طيا كطى الطومار وقيل : السجل أسم ملك يطوى كتب أعمال بنى آدم إذا رفعت إليه وقيل : هو كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم [٢]

---

[١] تفسير الفخر الرازى جـ ٢٠ ص ٢٣٤ وتفسير الألوسى جـ١٥ ص ١٠٠ وفتح القدير جـ٣ ص٢٣٧.

[٢] تفسير أبى السعود جـ٥ ص ٨٨.

نقول ونحن نوافق أبا السعود فيما ذهب إليه من أن معنى السجل الصحيفة ، ولكن لا نوافقه على القول بأنه كاتب للنبى صلى الله عليه وسلم وهذا الذى ذكره أبو السعود دون أن يعزوه لقائل إنما هو أثر منقول عن ابن عباس على ما ذكره أبو داود فى سننه عن قتيبة عن سعيد عن نوح بن قيس عن يزيد بن كعب عمر بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس قال : السجل كاتب للنبى صلى الله عليه وسلم [١]

نقول وهذا أثر منكر لا يصح والجدير بالذكر أن معظم المفسرين أوردوه فى كتبهم، لكنهم قاموا بالرد عليه والتعقيب بما يدل على عدم صحته.

قال القرطبى – بعد ذكره له فى تفسيره – وليس بالقوى [٢]

قال الرازى فى التعقيب على ما ذكر : وهذا بعيد لأن كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا معروفين وليس فيهم من سمى بهذا [٣]

وقال الألوسى : ضعيف بل إنه قول واهى جدا [٤]

وقال صاحب أضواء البيان : وقول من قال إن السجل صحابى كاتب للنبى صلى الله عليه وسلم ظاهر السقوط كما ترى [٥]

---

[١] سنن أبى داود باب فى أتخاذ الكاتب جـ ٣ ص ١٣٢.

[٢] القرطبى جـ٥ ص ٤٣٨٧

[٣] تفسير الفخر الرازى جـ ٢٢ ص ٢٢٨.

[٤] تفسير الألوسى جـ ١٧ ص ١٠٠.

[٥] أضواء البيان للشنقيطى جـ٤ ص ٦٩٢.

ونقله ابن كثير فى تفسيره من رواية أبى داود من حديث أبى عن ابن عباس ، كما نقل نحوه من رواية الخطيب من حديث نافع عن ابن عمر ثم عقب على ما ذكر بقوله وهذا منكر جدا ومن حديث نافع عن ابن عمر لا يصح أصلا وكذلك ما تقدم عن ابن عباس من رواية أبى داود وغيره لا يصح أيضا.

وقد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه وأن كان فى سنن أبى داود منهم شيخنا الحافظ الكبير أبو الحجاج المزى وقد أفردت لهذا الحديث جزءا له على حدة – قال وقد تصدى الإمام أبو جعفر بن جرير للإنكار على هذا الحديث ورده أتم رد وقال لا يعرف فى الصحابة أحد أسمه السجل ، وكتاب النبى صلى الله عليه وسلم معروفون ، وليس فيهم أحد أسمه السجل وصدق رحمه الله فى ذلك وهو من أقوى الأدلة على نكارة هذا الحديث وأما من ذكر فى أسماء الصحابة هذا فإنما اعتمد على هذا الحديث لا على غيره والله أعلم قال والصحيح عن ابن عباس أن السجل هو الصحيفة ، قاله على بن أبى طلحة والعوفى عنه ، ونص على ذلك مجاهد وقتادة وغير ذلك وأختاره ابن جرير لأنه المعروف فى اللغة فعلى هذا يكون معنى الكلام.

(يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب) أى على الكتاب بمعنى المكتوب كقوله ﴿**فلما أسلما وتله للجبين**﴾ [سورة الصافات آية ١٠٣]

---

* أضواء البيان للشنقيطى جـ٤ ص ٦٩٢.

أى على الجبين وله نظائره فى اللغة والله أعلم [1]

وهذا الذى قاله ابن كثير هو الحق ولا مرية فيه أما ما ذكره أبوالسعود من أن المراد بالسجل صحابى كاتب للنبى صلى الله عليه وسلم فغير صحيح .

ما قيل فى خروج الدابة

قال تعالى : ﴿ **وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون**﴾ [سورة النمل آية ٨٢]

عند تفسير هذه الآية قال أبو السعود ما نصه : وقد ورد فى الحديث أن طولها ستون ذراعا ، لا يدركها طالب ، ولا يفوتها هارب.

وروى أن لها أربع قوائم ، ولها زعب وريش وجناحان

وعن ابن جريج فى وصفها رأس ثور ، وعين خنزير ، وأذن فيل، وقرن أيل ، وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هرة ، وذنب كبش ،وخف بعير ، وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام.

وقال وهب : وجهها وجه الرجل وباقى خلقها خلق الطير وروى عن على رضى الله عنه أنه قال : ليس بداية لها ذنب ولكن لها لحية كأنه يشير إلى أنه رجل ، والمشهور أنهما دابة وروى لا تخرج إلا رأسها ، ورأسها يبلغ عنان السماء أو يبلغ السحاب.

[1] تفسير ابن كثير جـ ٥ ص ٣٧٨

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، فيها كل لون ما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن رضي الله عنه لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة أيام وعن على أنها تخرج ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج كل يوم الا ثلثها.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل من أين تخرج الدابة ؟

فقال : من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعني المسجد الحرام روى أنها تخرج ثلاث خرجات ، تخرج بأقصى اليمين ، ثم تكمن ، ثم تخرج بالبادية ، ثم تكمن دهرا طويلا ، فبينما الناس في أعظم المساجد حرمة على الله تعالى وأكرمها فما يهولهم إلا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون، وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا ،وروى بينما عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تضطرب الأرض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا عيسى وخاتم سليمان عليهما السلام ، فتضرب المؤمن في مسجده بالعصا فتنكت نكتة بيضاء فتفشو حتى يضئ لها وجهه وتكتب بين عينيه مؤمن ، وتنكت الكافر بالخاتم في أنفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر ، ثم تقول لهم أنت يا فلان من أهل الجنة وأنت يا فلان من أهل النار ، وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال إن الدابة لتسمع قرع عصاي هذه وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : بئس الشعب شعب أجياد مرتين أو ثلاثة ، قيل ولم ذاك يا رسول الله ؟ قال : تخرج منه الدابة ، فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين فتتكلم

بالعربية بلسان ذلق وذلك قوله تعالى :﴿**تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون**﴾[1]

بيان الدخيل

عندما أخذ أبو السعود فى تفسير هذه الآية تعرض لما قيل فى حقيقة هذه الدابة وصفتها زمان خروجها ومكانها ، فذكر فى ذلك روايات منكرة لا تصح سندا ولا متنا .

وكان حريًا بأبى السعود أن يسكت عما أجمله القرآن فى أمرها لأن ذلك أمر غيبى أخبر به القرآن ، ولم يتصل به بيان قاطع عن الرسول صلى الله عليه وسلم وغاية ما يقال فى مثل هذه المرويات أنها من الإسرائليات التى لا حاجة للناس إلى معرفتهم بها ونحن إذ نفند هذا الكلام نفنده من وجهين .

الوجه الأول

فى صفتها وبيان ذلك ما أورده أبو السعود فى صفة الدابة من أن طولها ستون ذراعا بذراع آدم عليه السلام وأن لها مشابهة تامة مع جميع دواب الأرض فى عضو من أعضائها ، فلها قوائم ولها زعب وريش وما

---

[1] تفسير أبى السعود جـ ص ٣٠١.

ذكره عن ابن جريج من أن رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل ..الخ.

كذلك ما ذكره عن وهب من أن لها وجه إنسان ، ثم ما رواه عن على رضى الله عنه بأن لها لحية إلى آخر ما هنالك من غرائب وحكايات لم يثبت خبر صحيح عن المعصوم صلى الله عليه وسلم والواقع أن كل هذه الأخبار مبالغات إسرائيلية خاصة أن من رواتها ابن جريج ، وقال عنه يحيى بن سعيد أخباره شبه الريح [١] ووهب وهو وإن كان ثقة عند البعض من علماء الرجال إلا أنه كثير النقل من كتب الإسرائيليات كما قال الحافظ الذهبى فى الميزان[٢] وابن جريج وابن منبه وأمثالهما من مسلمى أهل الكتاب معرفون بذلك أعنى بالإكثار من رواية الإسرائيليات فذلك أمر تنطق به كتب التفسير والحديث ، وعلى ذلك ينبغى أن تكون على حذر فيما يروى عنهما فى التفسير والحديث وبخاصة إذا كان من قبيل الروايات التى نحن بصددها إذ أنها تتصل بالغيب الذى أستأثر الله بعلمه ، وقد انصف الفخر الرازى حين قال تعقيبا على ما ذكر وأعلم أنه لا دلالة فى الكتاب على شئ من هذه الأمور فإن صح الخبر فيه عن الرسول صلى الله عليه وسلم قُبل والا لم يلتفت إليه [٣] وهو يعنى أنه لا يصح من أخبارها شئ غير المذكور فى القرآن الكريم.

---

١ تهذيب التهذيب فى تفنيد الرجال جـ٦ ص ٤٠٤.

٢ ميزان الاعتدال جـ٤ ص ٣٥٢.

٣ تفسير الفخر الرازى جـ ٢٤ص ٢١٨.

ويقول الشيخ المراغى : وما جاء فى وصف الدابة والمبالغة فى طولها وعرضها وزمان خروجها ، ومكانه ، مما لا يركن إليه فإن أمور الغيب لا يجب التصديق بها إلا إذا ثبتت بالدليل القاطع عن الرسول المعصوم صلى الله عليه وسلم[1]

الوجه الثانى

فى كيفية خروج الدابة ومكانها وبيانا لذلك نقول :

١- ما أورده أبو السعود عن الحسن من أن الدابة لا يتم خروجها إلا بعد ثلاثة أيام رواه السيوطى عن الحسن أيضا من رواية ابن أبى شيبة وغيره ، لكن بلفظ أن موسى عليه السلام سأل ربه أن يريه الدابة فخرجت ثلاثة أيام تذهب إلى السماء لا يرى واحد من طرفها .

قال : فرأى منظرا فظيعا ، فقال يارب ردها [2] فردها وما ذكره عن على رضى الله عنه ذكره القرطبى بنحوه عن عطية العوفى عن ابن عمر بلفظ تخرج الدابة من صدع الكعبة كجرى الفرس ثلاثة أيام لا يخرج ثلثها [3]

---

[1] تفسير المراغى جـ ٥ص ٢٢.
[2] تفسير الدر المنثور جـ ٥ ص ١١٥.
[3] تفسير القرطبى جـ ٦ ص ٤٩٥٣.

أن هذا الكلام يرفضه العقل ويرده الدين سامح الله من نقله إلى المسلمين وأنا لم أشك فى أن مثل هذه الروايات مكذوبة وأن الإمام على كرم الله وجهه أعقل من أن ينقل مثل هذا الهراء الإسرائيلى ، والعجب من أبى السعود وغيره من المفسرين فى تلقى الأخبار دون تمحيص وتحقيق وفى قبولها دون روية.

١- ما ذكره أبو السعود – مرفوعا- فى هذا الصدد من أن الدابة تخرج من المسجد الحرام ، فبينما الناس فى أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها ، فما يهولهم الا وهى ترغو بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب ، فقوم يهرعون وقوم يقفون نظارة ..الخ فقد أورده الحافظ ابن كثير فى تفسيره وعقب عليه بقوله : رواه ابن جرير من طريقتين ، عن حذيفة بن أسيد موقوفا والله أعلم ورواه من رواية حذيفة بن اليمان مرفوعا وأن ذلك فى زمان عيسى عليه السلام وهو يطوف بالبيت ولكن إسناده لا يصح[1]

وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد وعزاه الطبرى عن حذيفة بن أسيد وقال : فيه طلحة بن عمرو وهو متروك [2].

٢- أما الخبر الذى أورده عن الدابة بأنها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام فتجلو وجه المؤمن وتختم أنف الكافر الحديث فقد رواه الترمذى من طريق على بن زيد بن جدعان عن أوس ابن خالد عن أبى

---

[1] تفسير ابن كثير جـ ٦ ص ٢٢٠-٢٢١

[2] مجمع الزوائد جـ ٨ ص ٧.

هريرة مرفوعا وقال هذا حديث حسن غريب قلت : وأغرب منه أن الإسناد ضعيف ، لأن على بن زيد تكلم فيه العلماء وضعفوه ، فقال فيه ابن سعد ضعيف لا يحتج به.

وقال أحمد ليس بشئ وقال ابن خزيمة لا أحتج به لسوء خفظه [1] والحديث أورده ابن حجر في الزوائد من رواية أبى يعلى عن ابن عمر وعقب عليه الأعظمى بقوله سكت عليه الحافظ البوصيرى ، وقال الهيثمى فيه ليث بن سليم وهو مدلس [2]

وأما الحديث الذى ذكره أبو السعود عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : بئس الشعب شعب أجياد وقيل ولمَ ذلك يا رسول الله؟ قال : فتخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات ...الحديث فقد روى عن أبى هريرة وقال فيه رباح بن عبد الله بن عمر وهو ضعيف [3]

وكذلك أورده السيوطى فى الجامع الصغير من رواية الطبرى عن أبى هريرة أيضا مرفوعا وتعقبه العلامة المناوى فى (الفيض القدير)

فقال : قال الهيثمى فيه رباح بن عبد الله بن عمر وهو ضعيف وفى الميزان رباح بن عبد الله ، قال أحمد والدار قطنى منكر الحديث وفى اللسان

---

[1] تهذيب التهذيب جـ ٧ ص ٣٢٣وانظر الميان جـ ٣ص ١٢٣.

[2] المطالب العالية لابن حجر ص ٣٤٥

[3] مجمع الزوائد جـ ٨ ص ٧.

قال البخارى: لم يتابع عليه رباح وذكره العقيلى وابن الجوزى فى الضعفاء[١] على أنه قد ورد فى خروج الدابة وكونها من علامات الساعة أحاديث كثيرة فى صحيح مسلم [٢] كحديث ابن عمر مرفوعا (إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى وأيهما قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبا [٣]

وأما ما قيل من أخبار فى صفة الدابة وكيفية خروجها إنما من باب الدخيل ولا يترتب عليه تفسير ولا تأويل حتى نتلقاه بالقبول ونجعله تفسيرا لما أبهمه الله فى قرآنه ومن ثم فهو حرى بالرد وفى هذا يقول صاحب روح المعانى : (وفى البحر أنهم اختلفوا – فى ما هيتها ، وشكلها ومحل خروجها ، وعدد خروجها ومقدار ما يخرج منهما ، وما تفعل بالناس ، وما الذى تخرج به اختلافا مضطربا معارضا بعضه بعضا ، فاطرحنا ذكره ، لأن نقله تسويد للورق بما لا يصح وتضيع لزمان نقله وهو كلمة حق قالها أبو حيان فى البحر المحيط " ونقلها الألوسى فى تفسيره وأقرها ، وقال معتذرا عن ذكره شيئا من أخبارها : وأنا إنما نقلت بعض ذلك دفعا لشهوة من يحب الأطلاع على شئ من أخبارها صدقا كان أو كذبا[٤] ويقول صاحب الظلال فى هذا الصدد : وقد ورد ذكر خروج الدابة فى أحاديث كثيرة بعضها صحيح

---

١ فيض القدير شرح الجامع الصغير جـ ٣ص ٢١٣.

٢ أما البخارى فلم يصحح منها شيئا لا ضطراب متونها وضعف رجالها.

٣ صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الفتن جـ ١٨ ص ٧٧-٧٨.

٤ تفسير الألوسى جـ ٢٠ ص ٥٤.

وليس فيه وصف للدابة ، وإنما جاء وصفها في روايات لم تبلغ حد الصحة ، لذلك نضرب صفحا عن أوصافها ، فما يعني شيئا أن يكون لها لحية ..إلى آخر هذه الأوصاف التي خاض فيها المفسرون.

وحسبنا أن نقف عند النص القرآني والحديث الصحيح الذي يفيد أن خروج الدابة من علامات الساعة ، وأنه إذا أنتهى الأجل الذي تنفع فيه التوبة ، وحق القول على الباقين ، فلم تقبل منهم توبة بعد ذلك . وإنما يقص عليهم بما هو عليه ، عندما يخرج الله لهم دابة تكلمهم ، والدواب لا تتكلم ، أو لا يفهم عنها الناس ، ولكنهم اليوم يفهمون ويعلمون أنها الخارقة المنبئة باقتراب الساعة وقد كانوا لا يؤمنون بآيات الله ولا يصدقون باليوم الموعود[1]

ويأتي لنا الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ شلتوت بصفوة القول في هذا الموضوع بوضوح بين فيقول تعليقا على الروايات والآثار التي قيلت في وصف

الدابة ، وهي نموذج لما سودت به الصحف وضاع الوقت في نقله – قال رحمه الله : هذا وقد فات المفسرون أن يضعوا حدا لصون التفسير عن هذه الإسرائيليات التي أظلمت الجو على طلاب الهداية القرآنية وشغلتهم عن اللب والجوهر بما ألصقته بالقرآن ، وقصروا جهودهم على النبش فيما الصدق ، وليس هذا خاصا – كما قلنا بالدابة ، وإنما هي ريح السموم هبت على كتب التفسير من نواح كثيرة في كل أمر غيبي أخبر به القرآن ،ولم يتصل به بيان

---

[1] ظلال القرآن جـ ٥ ص ٢٦٦٧.

قاطع عن المعصوم صلى الله عليه وسلم فقد قيل مثله في يأجوج ومأجوج وفي الصور وفي اللوح المحفوظ ، وفي غيرها إلى أن قال : به من شئون الغيب التي لم يتصل بها بيان قاطع عن الرسول صلى الله عليه وسلم من الدابة والصور ونحوها هو أنا نؤمن به على القدر الذي أخبر الله به ، دون صرف اللفظ عن معناه ، ودون زيادة عما تضمنه الخبر الصادق فنؤمن مثلا بأنه حينما يقع أمر الله وتحقق كلمته ويأتي اليوم الذي لا ينفع فيه نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ستظهر للناس دابة ولكن هل تتولد من الأرض أوهي من دوابها ؟ ذلك يعلمه الله وهل هي صغيرة أو كبيرة ...وهل تحمل معها عصا موسى وخاتم سليمان أو لا تحمل شيئا ؟ ذلك يعلمه الله نؤمن فقط أن دابة ستخرج وتكلم الناس هل تكلمهم بلسان عربي ذلق أو بغيره ؟

كذلك هذا يعلمه الله ، نؤمن بها وبكلامها دون استبعاد أو إنكار[1]

قلت : وما عدا ذلك فهو رجم بالغيب وتقول على الله بغير حق لأن أمور الأخرة من عالم الغيب ، ولا يؤخذ فيها إلا بما كان قطعي الثبوت والدلالة ، والله تعالى أعلم.

[1] الفتاوى للإمام المرحوم الشيخ محمود شلتوت ص ٥٥ص ٥٧.

الخلاصة

١- ما قيل في الرقيم الذي دون فيه قصتهم والرأي السليم في ذلك.

٢- ما جاء في نبأ أصحاب الكهف .

٣- ما جاء في عدد تقلبهم أثناء نومهم والرأي السليم .

٤- ما جاء في عدد أصحاب الكهف وأسمائهم.

٥- ما ذكر بشأن ذي القرنين وماقيل من يأجوج ومأجوج .

٦- ما قيل في إهلاك القرى وتعذيبها والرأي الجدير بالقبول للآية.

٧- ما قيل في معنى السجل للكتب والرأي السليم أنه بمعنى المكتوب.

٨- ما قيل في خروج الدابة .

المراجع المساعدة

١- الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني

٢- إحياء علوم الدين للغزالي .

٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب العزيز لأبي السعود.

٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي.

٥- إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية .

٦- الإنصاف على هامش الكشاف لابن المنير.

٧- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي.

أسئلة التقويم الذاتي

س١ : ما هو القول السليم فى الرقيم ؟

س٢ : فى أى عصر كان أصحاب الكهف مع ذكر الدليل؟

س٣ ما هو الرأى السليم فى تقلبهم؟

س٤ : ما هو الرأى السليم فى شأن يأجوج ومأجوج؟

س٥ : ما هو التفسير السليم لإهلاك القرى وتعذيبها ؟

س٦ : ما هو التفسير السليم لمعنى السجل ؟

س٧ : ما هو التفسير السليم لخروج الدابة؟



الوحدة الثالثة

المحتويات

تشتمل هذه الوحدة على الموضوع والضعيف من أسباب النزول

١- الأسباب غير المقبولة من أسباب النزول.

٢- الأسباب التى أدت إلى رفض الأسباب غير المقبولة

المقدمة

بعد دراستك لهذا الموضوع تدرك أسباب النزول المقبولة وتتحاشى الأسباب المرفوضة.

الموضوع والضعيف من أسباب النزول

لمعرفة أسباب النزول [1] فوائد كثيرة ومزايا عظيمة ، ذكرها العلماء السابقون ،ومنهم الأمام بدر الدين الزركش فى (البرهان) والأمام السيوطى فى (الأتقان) ونذكر أهمها فيما يلى : -

١- معرفة الحكمة الباعثة على تشريع الحكم ، ولاشك أن معرفة الحكمة تحفز المؤمن على تنفيذ أحكام الله تعالى.

٢- تخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب .

٣- معرفة اسم من نزلت فيه الآيات وتعيين المبهم فيها حتى لا يشتبه بغيره.

[1] أسباب النزول هو عبارة عن حادثة وقعت فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم واقتضت إنزال آية أو آيات تبين حكم الله فيهم أو هو سؤال وجه من أحد الحاضرين إلى النبى صلى الله عليه وسلم فتنزل الآية أو الآيات مجيبة عن هذا السؤال.

٤- الأستعانة بسبب النزول على الوقوف على مرامى الآيات ودفع الإشكال عنها.

قال الواحدى:لايمكن معرفة تفسير الآيات دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها[١]

وقال ابن تيمية : معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب [٢]

وقال ابن دقيق العيد : بيان سبب الآية طريق قوى فى فهم معانى القرآن الكريم [٣]

والمدار فى هذا المبحث على النقل ولا مجال فيه للعقل إلا بالترجيح إذ لا سبيل لمعرفة سبب نزول نص من النصوص القرآنية ، إلا بالنقل الصحيح عن الصحابة الذين سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاصروا إنزال القرآن الكريم – قال الواحدى: ولا يحل القول فى أسباب نزول القرآن الا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ، ووقفوا على الأسباب ، وبحثوا عن علمها وجدوا فى الطلاب[٤]

١ أسباب النزول للواحدى جـ٤.
٢ مقدمة فى أصول التفسير ص١١.
٣ الأتقان جـ١ ص ٢٩.
٤ أسباب النزول ص ٤.

فالمعول عليه أنن في هذا الفن هم الصحابة ومن أخذ عنهم من التابعين وقول الصحابي في سبب النزول : له حكم المرفوع ، كما نبه على ذلك الحاكم وابن الصلاح وغيرهما من أئمة علوم الحديث لأنه قول فيما لا مجال للرأي فيه ، ويبعد كل البعد أن يقول ذلك من تلقاء نفسه فهو محمول على السماع أو المشاهدة [1]

ومع أهمية هذا النوع من علوم القرآن ، وأنه من المهمات التي لها أثرها الكبير في فقه النص فقها صحيحاً ، ولا يستغنى عن ذلك طالب التفسير ، فإننا نرى كثيرا من المفسرين قد ذكروا في تفاسيرهم أسبابا للنزول , ولم يلتزموا الصحة فيما ذكروه من أسباب ، بل إنهم سودوا كتبهم بما هو ضعيف السند ، وواهي الأساس وربما ذكروا ما يتعارض مع نص من نصوص الإسلام ، أو يتنافى وما أجمع عليه العلماء.

ولهذا – فأنه كان من الواجب عليهم ، بل وعلى كل من يتعرض لتفسير كتاب الله تعالى أن يبين سبب النزول الذي يذكر في الآية آله سند أم لا؟

وإذا كان له سند فهل هو صحيح أو لا ؟

حتى يميز صحيح النقل من عليله.

---

[1] انظر الأتقان جـ ١ ص ٣٢.

تبين لى أنه قد ذكر كثيرا من أسباب النزول وبالبحث عنها فى الكتب الخاصة بها، وفى كتب التفسير المسندة وكتب الحديث ، وجدت أن هناك أسبابا صحيحة ، وبالطبع لم أتعرض لها ووجدت أسبابا ضعيفة،وهو محل البحث ولذلك فإنى سأقتصر على ذكرها مبينا سبب ضعفها ، سواء كان الضعف من حيث فقدها شروط الصحة ، أو من حيث أنها مرسلة عن بعض التابعين ، وقد ملت فيها إلى مذهب من يحتج بالمرسل وأن كان من أئمة التفسير الأخذين عن الصحابة ، كمجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير واعتقد بمرسل آخر ونحو ذلك [1]

وها هى الأسباب أذكرها فيما يلى

١- قال تعالى ﴿ **ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور** ﴾ عند تفسير هذه الآية قال أبو السعود : روى عن ابن عباس رضى اله عنهما أنها نزلت فى الأخنس بن شريق وكان رجلا حلو المنطق حسن السياق للحديث ظهر لرسول الله المحبة ، ويضمر فى قلبه ما يضادها.

[1] الاتقان جـ ١ ص ٣٢.

وقال ابن شداد ، أنها نزلت فى بعض المنافقين كان إذا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسند صدره وظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه كى لا يراه النبى صلى الله عليه وسلم [١]

السبب الأول : ذكره الواحدى فى أسبابه عن الكلبى بدون إسناد [٢]

قلت : والكلبى متهم بالكذب من علماء الجرح والتعديل ، قال أبو النضر الكلبى : تركه يحيى بن معين وابن مهدى ، ثم قال البخارى قال على: حدثنا يحيى عن سفيان قال لى الكلبى : كل ما حدثتك عن أبى صالح فهو كذب[٣] وذكره ابن الجوزى فى تفسيره وقال:رواه أبو صالح عن ابن عباس[٤] ومعلوم أن طريق أبى صالح عن ابن عباس من أوهى الطرق [٥] وأما عن السبب الثانى فقد أخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره [٦] والسيوطى وابن المنذر

---

١ تفسير أبو السعود جبرير ٤ ص ١٨٥.
٢ أسباب النزول ص ١٥٣.
٣ ميزان الاعتدال للذهبى جـ ٣ ص ٥٥٧.
٤ زاد المسير فى علم التفسير جـ٤ ص ٧٦.
٥ الأتقان جـ٢ ص ١٨٩.
٦ جامع البيان جـ١١ ص١٢٥.

وابن أبى حاتم وأبى الشيخ كلهم عن عبد الله ابن شداد[١]

وأقول ما ذكره أبو السعود سببا فى نزول الآية بعيد جدا عن الصواب كما قال الحافظ ابن حجر[٢]

لأن الآية مكية والنفاق إنما حدث بالمدينة فكيف يتسنى القول بأنها نزلت بالمنافقين؟

هذا وقد روى فى الآية ما لم يظهر فى معناها أنه تفسير لها وهو أن ابن عباس سئل عن هذا الآية فقال : أناس كانوا يستحبون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء وأن يجامعوا نساءهم فيفضون إلى السماء فنزل ذلك فيهم [٣] رواه البخارى عن ابن عباس.

قلت وتنزيل الآية على هذا القول بعيد أيضا عن الصواب ، وبخاصة إذا كان المراد بالأناس جماعة من المسلمين فإن الأمر حينئذ يكون مشكلا كما صرح بذلك الجلال السيوطى ، وذلك لأن الظاهر من حال المسلم إذا استحيا من ربه سبحانه فلم يكشف عورته فى خلوة كان مقصوده مجرد إظهار الأدب مع الله مع علمه بأنه جل شأنه لا يحجب بصره حاجب ولا يمنع علمه شئ

---

١ انظر لباب النقول فى أسباب النزول (هامش على تفسير الجلالين جـ١ ص ١٨٢ الدر المنثور جـ٣ ص ٣٢٠

٢ فتح البارى كتاب التفسير جـ٨ ص ٢٠٠.

٣ فتح البارى بصحيح البخارى جـ٨ ص ٢٠٠.

ومثل هذا الحياء أمر لا يكاد يذمه أحد ، بل في الآثار ما هو صريح في الأمر به ، وهو شعار كثير من كبار الأئمة [١]

فكيف يعقل نزول الآية على هذا السبب؟

إن هذا التفسير ليس صحيحا ولا مناسبا لكون الآية مكية كما ذكرنا إذ لم يكن المشركون يؤمئذ بمصانعين للنبي صلى الله عليه وسلم ، ولعل مراد ابن عباس أن الآية تنطبق على صنيع هؤلاء وليس فعلهم هو سبب نزولها [٢]

ولعل المراد أنه قال أن هذا يصدق فيهم.

وهذا فيما رأى هو الصواب وهو أظهر ما تحمل عليه الآية كما أرى أن هذه الصيغة التي أوردها أبو السعود ليست نصا في سبب النزول ، بل هي أقرب إلى التفسير والبيان .

٢- قال تعالى ﴿ **وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين**﴾ [سورة هود آية ١١٤]

قال أبو السعود في سبب نزول هذه الآية : قيل نزلت في أبي اليسر الأنصاري إذ قبّل امرأة ثم ندم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما فعل فقال صلى الله عليه وسلم انتظر أمر ربي فلما صلى صلاة العصر

---

١ تفسير الألوسي جـ ١١ص ٢١٠.

٢ تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور جـ١١ ص ٣٢٢.

نزلت قال صلى الله عليه وسلم نعم أذهب فأنها كفارة لما فعلت [1] الحديث أصله في الصحيحين وغيرهما من أصحاب السنن وقد روى بعدة طرق غير أن الرواية التى أوردها أبو السعود لنزول الآية والتى جاءت بشأن أبى اليسر تكلم فيها بعض أئمة الحديث.

ونقول هذا السبب الذى ذكره أبو السعود أخرجه الطبرى فى تفسيره[2] والواحدى فى أسبابه [3]

من طريق موسى بن طلحة عن أبى اليسر بن عمرو ، وأخرجه الترمذى فى سننه كذلك من حديث قيس بن الربيع عن عثمان بن عبد الله بن موهب عن موسى بن طلحة عن أبى اليسر [4]

وقال هذا حديث حسن صحيح وفيمن ضعفه وكغيره.

ثم رواه الترمذى أيضا من حديث عبد الرحمن بن أبى ليلى عن معاذ ابن جبل بنحو رواية أبى اليسر ، وعقب عليه بقوله هذا حديث ليس إسناده بمتصل، عبد الرحمن بن أبى ليلى لم يسمع من معاذ بن جبل ومعاذ بن جبل مات فى خلافة عمر وقتل عمر وكان عبد الرحمن بن أبى ليلى غلام صغير ابن ست سنين وقد روى عن عمر وروى شعبة هذا الحديث عن عبد الملك

---

١ تفسير أبى السعود جـ ٤ ص ٢٤٦.

٢ مجتمع البيان جـ١٢ ص ٨٢.

٣ أسباب النزول ص ١٥٤.

٤ سنن الترمذى كتاب التفسير جـ٥ ص ٢٩١- ٢٩٢.

ابن عمير ، عن عبد الرحمن ابن أبى ليلى ، عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلا وقال الحافظ ابن حجر بصدد هذه الرواية : وأما ابن غزية فأخرجها ابن مندة من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس فى قوله تعالى { وأقم الصلاة طرفى النهار} قال : نزلت فى عمر بن غزية وكان يبيع التمر فأتته امرأة تبتاع تمرا فأعجبته ..الحديث إلخ .

والكلبى وأبو صالح ضعيفان [١]

على أنهم اختلفوا فى اسم هذا الرجل ، هل هو عمرو بن غرية أو كعب بن عمرو ، أو غيرهما ؟ فصل القول فى ذلك ابن حجر فى الفتح [٢]

وأيا ما يكن الأمر ، فإنى أرى أن تعيين شخص باسمه نزلت فيه الآية لا تسكن إليه النفس ، ولا يطمعن إليه القلب ما دامت الروايات مختلفة فى التعيين.

يضاف إلى ذلك أن ما جاء بشأن الذى أصاب القبلة من المرأة هل نص الآية خاص به ، أو هو على عموم لفظه ؟ والذى يظهر لى أن المراد بالآية العموم ، ويشهد لذلك جواب النبى صلى الله عليه وسلم لمن سأله –

---

١ فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ٨ ص ٢٠٦.

٢ فتح البارى جـ٨ ص ٢٠٧.

إلى هذه ؟ قال فمن عمل بها من أمتى وفى رواية فى الصحيح لجميع أمتى كلهم[١]

وهذا – معناه : أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو مقرر لدى الأصوليين.

ومما يؤيد ما ذهبنا إليه ، أن العلامة الألوسى قال فى هذا المقام بعد أنه ذكر ما ذكره أبو السعود ، ونسبه لابن عباس وابن مسعود : (والظاهر أن ذلك منهم أقتصار على بعض منهم من أفرد ذلك العام وسبب النزول لا يأبى العموم ، كما لا يخفى[٢]

٣- قال تعالى : ﴿ ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال﴾

فى سبب نزول الآية يقول أبو السعود : أريد به ما أصاب ، إربد بن ربيعة عليه وسلم ، بيغيانه الغوائل، فدخلا المسجد وهو عليه السلام جالس فى نفر من أصحابه رضى الله عنهم فاستشرفوا لجمال عامر وكان من أجمل الناس وقد كان أوصى إلى أريد أنه إذا رأيتنى أكلم محمدا صلى الله عليه وسلم فدرْ من خلفه وأضربه بالسيف فجعل يكلمه صلى الله عليه وسلم فدار إربد من خلفه فاخترط من سيفه شبرا فحبسه الله تعالى فلم يقدر على سله

[١] فتح البارى جـ٨ ص ٢٠٦

[٢] تفسير جـ١٢ ص ١٢٥.

وجعل عامر يومئ إليه فرأى النبى صلى الله عليه وسلم الحال فقال اللهم أكفينيهما بما شئت فأرسل الله عز وجل على إربد صاعقة فى يوم صحو صائف فأحرقته وولى عامر هاربا فنزل فى بيت أمرأة سلولية فلما أصبح ضم عليه سلاحه وتغير لونه وركب فرسه فجعل يرقد فى الصحراء ويقول أبرز يا ملك الموت ، ويقول شعراً ويقول واللات لئن أظهر لى محمدا وصاحبه – يعنى ملك الموت – لا نفذتهما برمحى فأرسل الله تعالى ملكا فلطمه بجناحه فأرداه فى التراب ، فخرجت على ركبتيه فى الوقت غدة عظيمة فعاد إلى السلولية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية ثم دعا بفرسه فركبه فأجراه حتى مات على ظهره ثم ذكر أبو السعود سببا آخر فى نزول الآية فقال : وقيل أريد به ما روى عن الحسن أنه كان رجل من طواغيت العرب فبعث النبى صلى الله عليه وسلم نفرا من أصحابه يدعونه إلى الله عز وجل فقال لهم أخبرونى عما تدعوننى إليه ، ما هو وفيما هو؟ من ذهب أم من فضه ، أم من نحاس أم من حديد؟ فاستعظموا مقالته فرجعوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا صلى الله عليه وسلم أرجعوا إليه فرجعوا إليها فما زاد الا مقالته الأولى وأخبث ، فرجعوا إليه صلى الله عليه وسلم فأخبروه بما صنع فقال صلى الله عليه وسلم أرجعوا إليه فبينما هم عنده ينازعونه إذ ارتفعت سحابه ورعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحترق الكافر ، فجاءوا يسعون ليخبروه صلى الله عليه وسلم بالخبر فاستقلبهم الأصحاب فقالوا احترق صاحبكم فقالوا من أين علمتم؟

قال أوحى [١] إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

السبب الأول

ذكره ابن جرير الطبرى فى تفسيره بنحوه عن ابن جرير [٢] والواحدى فى أسبابه عن ابن عباس فى روايته أبى صالح وابن جرير وابن زيد[٣]

وكذا السيوطى فى أسبابه [٤] عن ابن عباس وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد عن ابن عباس أيضا مطولا بنحوه وعزاه للطبرانى فى الأوسط والكبير وقال: فى إسناده عبد العزيز بن عمران الزهدى المدنى وهو ضعيف [٥]

قال البخارى وغيره متروك أحترقت كتبه فحدث من حفظه فاشتد غلطه[٦]

---

١ تفسير أبى السعود جـ ٥ ص ١٠.

٢ جامع البيان جـ ١٣ ص ٨٤.

٣ أسباب النزول ص ١٥٦– ١٥٧.

٤ لباب النقول جـ١ ص ١٨٤.

٥ مجمع الزوائد كتاب التفسير جـ ٧ ص ٤٣.

٦ سلسله الأحاديث الضعيفة للألبانى جـ١ ص ٨٣ ، جـ٢ ص ٢٧.

السبب الثاني

فقد ذكره ابن جرير في التفسير والواحدي في أسباب النزول[١] من طريق على بن أبي سارة الشيباني عن ثابت عن أنس بن مالك وعلى بن أبي سارة ضعيف ، قال أبو داود تركوا حديثه وقال البخاري : في حديثه ، قال أبو حاتم ضعيف وفي ترجمته ساق له الذهبي هذا الحديث الذي نحن بصدده [٢]

وأقول ما ذكره أبو السعود من أن إربد بن ربيعة وعامر بن الطفيل كانا سببا لنزول الآية الكريمة ثم ما ذكره عن الحسن أنها نزلت في رجل من طواغيت العرب بعيد الاحتمال وإن قال به بعض المفسرين ، لأنه لا يتفق مع عموم الآية فالآية عامة السياق وظاهرها يدل على ذلك قال الأمام الألوسي بعد إيراده هذا السبب في تفسيره : والأكثرون على اعتبار العموم وسبب النزول لا يأبى ذلك [٣]

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن السبب الذي أورده أبو السعود لنزول الآية سنده واهي جدا.

---

١ جامع البيان > ١٣ ص ٨٤ – ٨٥ ص أسباب النزول ص ١٥٦.

٢ ميزان الاعتدال للذهبي جـ ٣ ص ١٣٠.

٣ تفسير الألوسي جـ ١٣ ص ١١٦.

قلت :ويكفى فى تضعيفه أنه من رواية الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس [١] والكلبى متهم كما قال السيوطى وقد مرض فى أخر حياته فقال : كل شئ حدثتكم عن أبى صالح كذب[٢]

ومثل هذا الأسناد لا يحتج به ولا يعتمد عليه كسبب النزول للآية يضاف إلى ذلك أننا لو سلمنا بأن سبب النزول كان خاصا بمن ذكرهم أبو السعود الا أن الآية قاعدة عامة مبينة عظمة الله وقوة سلطانه وشدة بطشه بالمتجبرين ولو بعد حين.

ولهذا فإننى أرى احتمال الآية للعموم – هو الأنسب والأظهر – وأن نزلت فى ابن ربيعة فتكون له ولغيره ممن هو على شاكلته وهذا لا ضير فيه بل هو أعم واوفى بالمقصود.

قال الأمام الزمخشرى فى تفسيره يجوز أن يكون السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من يباشر تلك القبائح وليكون جاريا مجرى التعريض بالوارد فيه [٣] وهذا الاحتمال هو الظاهر من النظم الكريم للآية بل يتعين المصير إليه على أن تعيين السبب يدخل فى العموم دخولا أوليا كما هو مقرر فى علوم القرآن وأصول الفقه.

---

[١] فى تخريج الكشاف لابن حجر ص ٩١.
[٢] الدر المنثور جـ ٦ ص ٤٢٣.
[٣] تفسير الزمخشرى جـ ٤ ص ٢٣٢.

٤- قال تعالى ﴿ **وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب**﴾ [سورة الرعد آية ٣٠] فى سبب نزول هذه الآية قال أبو السعود : قيل أن أبا جهل سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : يا الله يا رحمن ، فرجع إلى المشركين فقال: أن محمدا يدعو ألهين فنزلت ، ونزل قوله تعالى ﴿ **قل أدعوا الله أو أدعوا الرحمن**﴾ [سورة الرعد آية ٣٠]

رواه ابن جرير فى التفسير عند التعرض لنزول قوله تعالى ﴿ **قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن** ﴾

من طريق عبد الله بن واقد عن أبى الجوزاء عن ابن عباس قلت : وابن واقد ضعيف ، قال البخارى : سكتوا عنه وقال أيضا تركوه وضعفه أبو زرعة وأبو حاتم [١]

ثم رواه ابن جرير أيضا عن مكحول أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتهجد بمكة الخ...

فالحديث مرسل [٢]

وأخرجه الواحدى فى أسبابه دون سند عن ابن عباس [٣]وكذا السيوطى فى أسبابه وعزاه لابن مردويه وغيره عن ابن عباس أيضا[٤]

١ الضعفاء والمتروكين للدار قطنى تحقيق الأستاذ صبحى السامرائى ص ١١٢.
٢ جامع البيان جـ ١٥ ص ١٢١.
٣ أسباب النزول ص ١٧٠.

وأقول : هذا الذى ذكره أبو السعود سببا لنزول الآية لا تطمئن إليه النفس ، لأنه يقتضى أنهم كفروا باطلاق هذا الأسم على الله عز وجل لا أنهم كفروا به.

ويؤيد ما قلنا أن العلامة الألوسى ذكر ما ذكره أبو السعود وزاد عليه سببين أخرين لنزول الآية فقال : عن قتادة وابن جريج ومقاتل أن الآية نزلت فى مشركى مكة ، لما رأوا كتاب الصلح يوم الحديبية وقد كتب على كرم الله وجهه {بسم الله الرحمن الرحيم}

فقال سهيل بن عمرو : ما نعرف الرحمن.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، أنه لما قيل لكفار قريش {اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن} ؟ فنزلت .

ثم عقب على كل ما قيل بقوله : وضعف كل ذلك بأنه غير مناسب لأنه يقتضى أنهم يكفرون بهذا الأسم ، واطلاقه عليه سبحانه وتعالى والظاهر أنهم كفروا بمسماه [١]

وهو كما قال بل أنه هو الأليق بظاهر الآية الكريمة لأن قوله تعالى {وهم يكفرون بالرحمن } يقتضى أنهم كفروا باالله وهو المفهوم من الرحمن

---

[٤] لباب النقول جـ ١ ص ٢٠٢.

[١] تفسير الألوسى جـ ١٣ ص ١٥٣.

وليس المفهوم منــه الأسم كمـا لـو قـال قـائل كفروا بمحمـد وكذبـوا بـه لكـان المفهوم هو دون اسمه [١]

٥- قال تعالى ﴿**ولو إن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت بـه الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا** ﴾ [سورة الرعد آية ٣١]

قال أبو السعود فى سبب نزول هذه الآية : قيل إن أبا جهل وأضرابه.

قالوا : لرسوله الله صلى الله عليه وسلم أن كنت نبيا سير بقرآنك الجبال عـن مكة ، حتى تتسع لنا ونتخذ فيهـا البسـاتين والقطـائع وقـد سـخرت لـداود عليـه السلام فلست بأهون على الله منه أن كنت نبيـا كمـا زعمـت أو سـخر لنـا بـه الريح كما سخرت لسليمان عليه السلام لنتجر عليها إلى الشام ، فقد شق علينـا قطـع المسافة البعيدة او ابعث لنا بـه رجلين ، أو ثلاثـة ممـن مـات مـن آبائنـا فنزلت [٢] قال عنه الحافظ ابن حجر: بعد أن ذكره بـالنص ، لـم أجده بهذا السياق [٣]

وذكره الطبرى بنحوه حيث أخرج فى تفسيره روايات عديدة حول هذا المعنى بسند ضعيف[٤]

١ تفسير الفخر الرازى جـ ١٩ ص ٥٣.
٢ تفسير أبى السعود جـ ٥ ص ٢٣.
٣ الكفافى فى تخريج الكشاف ص ٩٢.
٤ جامع البيان جـ ١٣ ص ١٠٢-١٠٣.

وكذا الواحدى فى أسبابه بهذا المعنى مطولا بسند فيه ضعف حيث أخرجه من طريق عبد الجبار بن عمر الإيلى عن عبد الله بن عطاء عن جدته أم عطاء مولاة الزبير[١]

فابن عمر ضعيف عنده مناكير كما قال البخارى [٢] وابن عطاء قال عنه الحافظ ابن حجر فى التقريب : (صدوق يخطئ ويدلس) [٣]

والذى أراه بعد ما سبق بيانه أن ما ذكره أبو السعود سببا لنزول الآية غير مسلم بصحته لأسباب نبينها على النحو التالى : -

١- القول بمدنية السورة وهو قول كثير من العلماء كابن عباس ومجاهد وغيرهما ، وايده السيوطى فى الأتقان [٤] وعليه فإن ما ذكره أبو السعود سببا لنزول الآية يحول دون صحته الواقع التاريخى لزمن النزول فسورة الرعد نزلت بالمدينة ، وأبو جهل كان بمكة فكيف يتسنى القول بأنها نزلت فيه ؟

٢- الظاهر المتبادر من سياق الآية أنها وعيد للكفار على العموم ومعنى هذا إنها ليست خاصة بأبى جهل بل أنها تشمله وتشمل غيره ممن يعمل بمثل عمله ، ومن هو على صفته وإليه ذهب الإمام الرازى رحمه الله فقال بعد أن ذكر هذا السبب فى تفسيره : وهذه الآية وأن كانت وارده فى حق الكفار الا

---

١ أسباب النزول ص ١٥٧-١٥٨.

٢ تهذيب التهذيب لابن حجر جـ ٦ ص ١٠٣.

٣ تقريب التهذيب.

٤ الأتقان جـ ١ ص ١٣.

أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب إذ بعمومه يتناول كل وعيد ورد في حق الفساق [١] وهذا ما نراه ونذهب إليه.

٣- ذكر السيوطي في أسبابه ما ذكره أبو السعود من رواية العوفي[٢]

والعوفي ليس من رواية عدل من العدول ، بل أن ما يمنع من الثقة فيه كونه متهما في أخباره من قبل علماء الجرح والتعديل ، إذ ثبت أنه كان شيعيا مدلسا ، وكان يأتي الكلبي فيأخذ عنه التفسير [٣] كما يلاحظ على هذا السند أن فيه بشر بن عمارة الخثعمي كما جاء في رواية أبي حاتم (قاله ابن كثير) [٤] وبشر متروك كما قال الدار قطني [٥] وسند كهذا لا يعتمد عليه كسبب في نزول الآية.

٦- قال تعالى **﴿ ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين﴾** [سورة الحجر آية ٢٤]

عندما فسر أبو السعود هذه الآية قال في معناها : من تأخر ولادة وموتا أو من خرج من أصلاب الآباء ومن لم يخرج بعد أو من تقدم في الإسلام والجهاد وسبق إلى الطاعة أو من تأخر في ذلك لا يخفى علينا شئ

---

١ تفسير الفخر الرازي جـ ١٩ ص ٥٦.

٢ لباب النقول جـ ١ ص ١٨٥.

٣ انظر في ميزان الاعتدال للذهبي جـ ٣ ص ٧٩-٨٠.

٤ تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣٨٢.

٥ الضعفاء والمتروكين ص ٦٨.

من أحوالكم ثم قال عن سبب : نزولها : قيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتقدم بعض الناس لئلا يراها وتأخر أخرون ليروها نزلت والأول هو المناسب[1]

السبب الأول

ذكره الواحدى فى أسبابه دون إسناد عن الربيع بن أنس [2]

والسيوطى فى إسبابه ناسبا تخريجه لابن مردويه عن داود بن صالح [3]

وداود بن صالح ضعيف – قال عنه ابن حبان يروى الموضوعات [4]

السبب الثانى

أخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره والواحدى فى أسبابه من طريق أبى الجوزاء عن ابن عباس [5]

١ تفسير أبى السعود جـ ٥ ص ٧٣.

٢ أسباب النزول ص ١٥٨.

٣ لباب النقول جـ ١ ص ١٨٦.

٤ تنزيه الشريعة جـ ١ ص ٥٨.

٥ انظر جامع البيان جـ ١٤ ص ١٨ وأسباب النزول ص ١٥٨.

وأبو الجوزاء وهو أوس بن عبدالله البصري ، في إسناده نظر ويختلفون فيه [١]

وأقول : ما ذكره أبو السعود من تأويلات في الآية محتملة للمعنى المراد منها الا قوله من تقدم في الجهاد ومن تأخر لأن السورة مكية بل من أوائل ما نزل بمكة ومعلوم أن الجهاد إنما شرع بعد هجرة الرسول صلى الله إلى المدينة فكيف يتسنى القول بأن المراد التقدم في الجهاد والتأخر فيه والجهاد لم يشرع بعه . هذا التفسير غير صحيح وغير مناسب .

أماما ذكره أبو السعود . سببا في نزول الآية من أنه كان بسبب ترغيب الرسول في الصف الأول ، أو كان من أجل رؤية أمرأة حسناء في صفوف النساء أو العزوف عن ذلك – فذلك قول غير صحيح بل باطل – مانرى أبا السعود استند فيه إلى حديث صحيح وصريح يعول عليه في ذكر السبب كما هو مقرر لدى علماء القرآن (القول في أسباب النزول لا يحل الا استناد إلى رواية صحيحة صريحة تصرح بذكر السبب).

وهذا الخبر الذي قيل إنه سبب في نزول الآية ، أو رده الحافظ ابن كثير في التفسير من رواية ابن جرير ، وعقب عليه بقوله هذا حديث غريب جدا وفيه نكارة شديدة والظاهر أنه كلام أبي الجوزاء فقط[٢].

---

١ ميزان الاعتدال للذهبي جـ ١ ص ٢٧٨.
٢ تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٤٥٠.

ومن هنا فإني أرى أن المعنى المناسب للآية الكريمة هو ما يؤخذ من سياقها ولحاقها فقد جاء قبلها قوله تعالى { وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون} كما جاء بعدها قوله تعالى ﴿ **وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم**﴾[سورة الحجر الآيتان٢٣-٢٥].

وعلى ذلك يكون المعنى - والله أعلم - أن الحق جلت قدرته هو الذي يحيي الخلائق ويميتهم وأنه يحشرهم إليه جميعا ، مع علمه سبحانه بمن تقدم موته منهم ومن تأخر دون أن يعزب عن علمه حالهم من تقدم منهم ومن تأخر كذلك.

ورحم الله الفخر الرازي فقد نبه إلى هذا المعنى فقال : أعلم أنه تعالى لما قال {وإنا لنحن نحيي ونميت} أتبعه بقوله : {ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين} تنبيها على أنه لا يخفى على الله شئ منه أحوالهم فيدخل فيه علمه تعالى وبتقدمهم وتأخرهم في الحدوث والوجود وبتقدمهم وتأخرهم في أنواع الطاعات والخيرات ، ولاينبغي أن نخص الآية بحالة دون حالة .

ونضيف إلى ما تقدم من أقوال أعلام المفسرين (دليلا من مواقع الأحداث وشواهد التاريخ وهو أن المسلمين بمكة لم يكونوا ليتمكنوا من إقامة الصلاة في جماعة الرجال في مقدمتها ، والنساء في مؤخرتها أمام المشركين بمكة ، فكيف يقال ما سبق ذكره أنه سبب في نزول الآية ذلك قول غير صحيح وإنما الصحيح فيما بيناه والله أعلم.

٦- قال تعالى ﴿ **وإن كادوا ليفتدونك عن الذى أوحينا إليك لتفترى علينا غيره وإذا لا تخذوك خليلا**﴾ [سورة الأسراء آية ٧٣]

فى سبب نزول هذه الآية يقول أبو السعود : نزلت فى ثقيف إذ قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم لا ندخل فى أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب ، لا نحشر ولا نعشر ، ولا نُحْنَ فى صلاتنا وكل رباً لنا فهو لنا وكل رباً علينا فهو موضوع عنا وأن تمتعنا باللات سنة ،وأن تحرّم وادينا كما حرّمت مكة ، فإذا قالت العرب لِمَ ؟ فعلت ؟ فقل أن الله أمرنى بذلك.

وقيل نزلت فى قريش حيث قالوا أجعل لنا آية عذاب أية رحمة وآية رحمة آية عذاب ، أو قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا.[١]

السبب الأول

ذكره الواحدى فى أسبابه دون سند عن عطاء عن بن عباس [٢] وعنه قال الحافظ ابن حجر : لم أجده وذكره الثعلبى عن ابن عباس من غير سند[٣]

---

١ تفسير أبو السعود جـ ٥ ص ١٨٧-١٨٨.

٢ أسباب النزول ص ١٦٧.

٣ الكافى فى تخريج الكساف ص ١٠٠.

السبب الثاني

أخرجه الواحدي في اسبابه عن سعيد بن جبير [١] وابن جرير في تفسيره بسند ضعيف جدا حيث أخرجه من طريق ابن حميد عن يعقوب القمي عن جعفر عن سعيد بن حبير كذلك [٢]

وأفة هذا السند ابن حميد ، وهو محمد الرازي قال الذهبي في الكشاف : وثقة جماعة والأولى تركه ، قال يعقوب بن أبي شيبة : كثير المناكير ، ما ذكره أبو السعود سببا لنزول الآية منقوض من وجوه.

منها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معتزلا للأصنام كارها لها شديد الكراهية ، حتى قبل أن يبعث نبيا ورسولا.

فكيف يعقل أن يفكر في الإلمام بها ؟ أو يرق قلبه لها وبخاصة بعد أن أصطفاه الله بالرسالة من أجل استلام الحجر ، هذا كلام واضح البطلان وافتراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومنها : أن قدوم الوفود على النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن في مكة بل كان ذلك في أواخر عمره صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة ، بينما تلك الآية مكية فكيف يصح ذلك تفسيرا للآية ؟ ومنها أن الجلال السيوطي

---

١ أسباب النزول ص ١٦٧.

٢ جامع البيان جـ ١٥ص ٨٨.

ذكر فى اللباب عن ابن عباس فى سبب نزول الآية قولا يغاير المنسوب إليه هنا ، فذكر من رواية ابن أبى حاتم أن ابن عباس قال : خرج أمية بن خلف وأبو جهل بن هشام ورجال من قريش . فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد تعال تمسح بآلهتنا ، وندخل معك فى دينك. وكان يحب إسلام قومه فرق لهم .. فأنزل الله الآية [١]

وهذا معناه : أن الروايات متضاربة مما شأنه أن يذهب الثقة بها جميعا ، فضلا عن أن فى سندها من المقال ما فيه.

كما ذكر الجلال مثل هذه الروايات فى الدر المنثور طريق الكلبى عن باذان عن جابر بن عبد الله منسوبا لابن مردويه [٢] ويمنع من قبول ذلك أن أخبار الكلبى لا ثقة فيها ولا يعتمد عليها . لكل ذلك نرى ردها . وهذه الروايات التى قيل إنها سبب لنزول الاية.

ذكرها العلامة الألوسي وعقب عليها بما يفيد بطلانها وعدم صحتها فقال : (وفى ذلك روايات آخر مختلفة أيضا ، وفى بعضها ما لا يصح نسبته إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا يكاد يؤول وذلك يدل على الوضع ، والتفسير [٣] لا يتوقف على شئ من ذلك والذى يمكن أن نفهمه من الآية – أنها أخبار عن تأييده تعالى رسوله صلوات الله وسلامه وتثبيته وعصمته

١ لباب النقول جـ ١ ص ١٩٦.
٢ الدر المنثور جـ ٤ ص ١٩٤.
٣ تفسير الألوسى جـ ١٥ص ١٢٨.

وسلامته وتولى أمره وحفظه من شر الأشرار وكيد الفجار فإن المشركين لكثرة تعنتهم فى ضروب الأذى وشدة تعنتهم وقوة شكيمتهم كادوا أن يفتنوه ، ولكن عناية الله وحفظه ، هو الذى ثبت قدمه فى مثل مقامه فى الدعوى إلى الله الذى لا يثبت فيه أحد غيره [1]

وهذا المعنى هو الذى يتوافق مع سياق الآية ولحاقها – فقد جاء بعدها قوله تعالى ﴿**ولولا أن ثبتاك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا** ﴾ [سورة الإسراء آية ٧٤]

هذه الآية أوضحت غاية الإيضاح براءة نبينا صلى الله عليه وسلم من مقاربة الركون إلى الكافر ، فضلا عن نفس الركون لأن (لولا) حرف امتناع لوجوده فمقاربة الركون منعتها .

(لولا) الأمتناعية لوجود التثبيت من الله جل وعلا لأكرم خلقه صلى الله عليه وسلم ، فصح يقينا انتفاء مقاربة الركون فضلا عن الركون نفسه . وهذه الآية تبين ما قبلها ، وأنه لم يقارب الركون إليهم البتة لأن قوله (لقد كدت تركن إليهم شيئا) أى قاربت أن تركن إليهم هو عين المممنوع بـ (لولا) الأمتناعية كما ترى . [2] والله أعلم.

[1] انظر تفسير ابن كثير جـ ٥ ص ٧٩ وتفسير القاسمي جـ ١٥. ص ٣٩٥٤.
[2] انظر أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطى جـ٣ ص ٦٢١.

٧- قال تعالى : ﴿**وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا**﴾ [سورة الأسراء آية٧٦]

عند تفسير هذه الآية قال أبو السعود : قيل نزلت الآية فى اليهود حيث حسدوا مقام النبى صلى الله عليه وسلم ، فقالوا الشام مقام الأنبياء عليهم السلام ، فأن كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك فى قلبه صلى الله عليه وسلم ، فخرج مرحلة فنزلت[١]

فرجع ثم قتل منهم بنى قريظة وأجلى بنى النضير.

أخرجه الواحدى فى أسبابه بدون إسناد عن ابن عباس.[٢]

أقول : أن ما ذكره أبو السعود سببا لنزول الآية غير صحيح لأنه يخالف الواقع التاريخى لزمن نزول السورة ، فسورة بنى إسرائيل مكية ، بل من أوائل ما نزل بمكة- كما قال ابن مسعود رضى الله عنه ، وفى ذلك يروى البخارى بسنده إلى عبد الرحمن بن يزيد قال : سمعت ابن مسعود - رضى الله عنه (قال فى بنى إسرائيل) والكهف ومريم : إنهن من العتاق الأول وهن من تلاذى [٣] فالسورة مكية ، وسياق الآية خطاب لأهل مكة ، وما قبلها وعن أهل مكة، ولم يجر لليهود ذكر ، فكيف يقال أذن ما سبق ذكره

---

١ تفسير أبى السعود جـ ٥ ص ١٨٨.

٢ أسباب النزول ص ١٦٧.

٣ العتاق جمع عتيق والعتيق : القديم وأراد بالعتاق الأول السور التى أنزلت أولا بمكة وأنها من أوائل ما تعلمه صلى الله عليه وسلم من القرآن .

بأن الآية نزلت فى اليهود حيث حسدوا مقام النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة هذا كلام باطل بين البطلان.

ومما يؤيد فهمنا لهذا الرأى أن الحافظ ابن كثير أورد هذا السبب فى تفسيره ، وضعفه حيث قال : (**وهذا القول ضعيف، لأن هذه الآية مكية وسكنى المدينة بعد ذلك**)

هذا من جهة – ومن جهة أخرى فإن الجلال السيوطى ذكر فى اللباب ما ذكره أبو السعود منسوبا إلى أبى حاتم والبيهقى فى الدلائل : من طريق شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم ، ومثل هذا الإسناد لا يحتج ، فشهر بن حوشب ضعيف قال عنه النسائى:ليس بالقوى وقال ابن عدى لا يحتج به [1]

ولذلك حكم السيوطى على هذا الإسناد بالضعيف حيث قال : هذا مرسل ضعيف الإسناد ، وله شاهد من مرسل سعيد بن جبير[2] وذكر ابن كثير رواية عبد الرحمن بن غنم هذه وعقب عليها بقوله : وفى هذا الإسناد نظر والأظهر أنه ليس بصحيح فإن النبى صلى الله عليه وسلم لم يغز تبوك عن قول اليهود وإنما غزاها أمتثالا لقوله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار**﴾ [سورة التوبة أية ١٢٣]

---

[1] ديوان الضعفاء والمتروكين ص ١٤٥.

[2] لباب النقول جـ ١ ص ١٩٧ –١٩٨.

وقوله تعالى ﴿ **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون**﴾ [سورة التوبة آية ٢٩]

وغزاها ليقتص وينتقم ممن قبل أهل مؤنة من أصحابه والله أعلم [١]

ولكن ذلك نرد ما جاء سببا لنزول الآية ولا يقبله.

ورحم الله الإمام الألوسي لقد كان محقا عندما قال في تفسيره بعد ذكره هذا السبب وتعقب بأنه ضعيف ، لم يقع في سيرة ولا كتاب يعتمد عليه والله أعلم.[١]

٨- قال تعالى : ﴿ **وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا وأتبع هواه وكان أمره فرطا**﴾ [سورة الكهف آية ٢٨] عند تفسير هذه الآية قال أبو السعود : والمراد بهم فقراء المؤمنين مثل صهيب ، وعمارة وخباب ونحوهم رضى الله عنهم ، وقيل أصحاب الصفة وكانوا نحو سبعمائة رجل ، وقيل :إنه قال قوم من رؤساء الكفرة لوسول الله صلى الله عله وسلم نحو هؤلاء الموالى الذين كان ريحهم ريح الضأن حتى نجالسك كما قال قوم نوح عليه السلام : أنؤمن لك واتبعك الأرذلون فنزلت[٢]

---

١ تفسير الألوسي جـ ١٥ ص ١٣١.

٢ تفسير أبى السعود جـ ٥ ص ٢٢٨.

أخرجه الواحدى فى أسبابه ، والسيوطى كذلك كلاهما من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس منسوبا لابن مردويه وأبى الشيخ [١] قلت : وجربير بن سعيد البلخى هذا صاحب الضحاك متروك الحديث [٢]

يضاف إلى ذلك أن طريق الضحاك عن ابن عباس منقطعة فإن الضحاك لم يلقه ، فإذا انضم إلى ذلك رواية بشر بن عمارة عن أبى روق عنه فضعيف.

وقد أخرج من هذه النسخة كثيرا ابن جرير ، وابن أبى حاتم ، وإن كان من رواية حويبر عن الضحاك فأشد ضعفا ، لأن جويبرا شديد الضعف متروك ، ولم يخرج ابن جرير ، ولا ابن أبى حاتم من هذا الطريق شيئا إنما أخرجها ابن مردويه وأبو الشيخ [٣] وأقول : ما ذكره أبو السعود سبب لنزول الآية لا يتناسب مع سياقها ، بل أنه يخالف الواقع التاريخى لزمن النزول فسورة الكهف مكية ، والآية كذلك ولا يقال إن الآية مستثناة وأنها مدنية كما ذهب إليه الألوسى فى تفسيره وإذا كان الألوسى قد قال باستثناء الآية فاعتماده فى ذلك على الأجتهاد دون النقل على أن غيره من المفسرين قد رجح أن الآية مكية[٤]

---

١ أسباب النزول للواحدى ص ١٧٢ والسيوطى ص ١٢٩.

٢ انظر الضعفاء والمتروكين ص ٧٣ للدار قطنى وميزان الأعتدال للذهبى جـ١ ص ٤٢٧.

٣ الأتقان جـ ٣ ص ١٨٩.

٤ تفسير الألوسى جـ ١٥ ص ٢٦٣.

وهو كما قال بل هو الظاهر الذى يساعد عليه السباق.

وإذا أمعنا النظر فـى الآيـة وجدناهـا تتحدث بلهجـة شديدة ممـا يتناسب معـه الحديث عن المشركين وبعد أن نتحدث عن المؤلفـة قلوبهم – بمـا جـاء فيهـا قوله تعالى ﴿ **ولا تطع من أغفلنـا قلبـه عن ذكرنـا وأتبـع هـواه وكـان أمـره فرطا**﴾

إذ تلك أوصاف المشركين ، وليست أوصافا للمسلمين والجدير بـالذكر فى هذا المقام ، أن بعض المفسرين كالقرطبى وغيره ذكر أن المؤلفـة قلوبهم جاءوا إلى رسـول اللـه صلـى اللـه عليـه وسلم عيينـة بـن حصـن الفزارى ، والأقرع بن حابس وذووهم فقالوا يا رسول الله إنك جلست فى صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء يعنون سلمان وأبا ذر وفقراء المسلمين وكان عليهم جبـاب الصوف جلسنا إليك وأخذنا عنك فنزلت هذه الآيـة – إلـى قولـه (إنـا اعتدنـا للظالمين نارا) فقام رسول الله يلتمسهم حتى إذا أصـابهم فـى مؤخرة المسـجد يذكرون الله قال: الحمد لله الذى لم يمتنى حتـى أمرنـى أن أصبر نفسـى مـع رجال من أمتى معكم المحيا ومعكم الممات . هذا قول سلمان الفارسى [١]

وهذا الذى ذكره المفسرون مخالف لتـاريخ نـزول السـورة الكريمـة إذ من الثابت تاريخيا أن إسلام الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن وغيرهما مـن المؤلفة قلوبهم ، إنما كان بعد الهجرة بدهر كما قال الحافظ ابن كثير[٢]

١ انظر تفسير القرطبى جـ ٥ ث ٤٠٠٧ وزاد المسير فى علم التفسير جـ ٥ ص ١٣٢.

٢ تفسير ابن كثير جـ ٢ ض ١٣٥.

فكيف يعقل أن نزول الآية بسبب مقالتهم.

هذا قول غير صحيح بل الصحيح إنما هو مـا أورده الإمـام مسلم فـي صحيحه في سبب نزول الآية المتضمنة المعنـى هذه الآيـة وهـ قولـه **تعالى ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه...﴾** الآيـة [سورة الأنعام آية ٥٢]

﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم ﴾ الآية [١]

وقد أورد أبو السعود معناه أو قريبا منه وكان ينتظر منه أن يكتفي بما يتفق وتاريخ نزول السورة الكريمة أو يرد على ما نسب فيه القول إلى أصحاب الصفة ولعل هذا السبب ما عناه ابن تيمية بقوله في منهاج السنة (١٥/٤) وكقولهم أن آية (ولا تطرد الذين..) نزلت في أهل الصفة فإن هذا الكذب مما لا يخفى على غير أهل الحديث [٢]

ويجب أن يلاحظ أن ما ذكره المفسرون سببا لنزول آية الأنعام هو نفسه ما ذكره سببا لنزول آية الكهف.

ولا عجب فإن الآيتين تتحدثان عن معنى واحد ومضمون واحد.

١ مسلم بشرح النووي – كتاب الفضائل – باب فضل سعد ابن أبي وقاص جـ ١٥ ص ١٨٧.

٢ انظر الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للمرحوم محمد أبو شهبة ص ٤٤١.

الخلاصــة

لاسباب النزول مزايا وفوائد عديدة منها معرفـة الحكمـة الباعثـة علـى تشريع الحكم وتخصيص الحكم به عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب.

ومعرفة اسم من نزلت فيه الآيات والوقوف على مرامى الآيات .

ثم ذكر الأسباب مع ذكر الآيات التى لها أسباب ضعيفة.

المراجع المساعدة

١- أسباب النزول للسيوطى .

٢- أسباب النزول للواحدى والنيسابورى .

٣- تحذير الخواص من أكاذيب القصاص للسيوطى.

٤- بدع التفاسير للحافظ الغمارى.

٥- تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى للسيوطى.

أسئلة التقويم الذاتى

س١ : ما هى الفوائد والمزايا لمعرفة أسباب النزول؟

س٢ : ما هى الأسباب الضعيفة وسبب ضعفها؟

س٣ : أذكر بعض النماذج للأسباب الضعيفة؟



الوحدة الرابعة

المحتويات

الأحاديث الضعيفة والموضوعة

١- ما قيل فيمن عمل بما عمل.

٢- ما قيل في فضل سروة يونس و هود.

٣- ما قيل فى فضل سيدنا يونس عليه السلام.

٤- ما جاء بشأن إهلاك قوم لوط.

٥- ما قيل فى حزن يعقوب عليه السلام على ولديه.

٦- ما قيل عن عقوق الوالدين.

الأهداف

يتوقع منك أيها الدارس لهذه الوحدة أن تصبح قادرا على معرفة ما يلى:

١- التمييز بين الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

٢- بعض الأحاديث وإن ضعفها بعض العلماء من جهة السند فقد يكون المتن لا يخالف القرآن.

٣- بيان الأحاديث الموضوعة فى فضائل بعض السور.

الأحاديث الضعيفة والموضعة

لقد ورد فى تفسير أبى السعود عدة أحاديث ضعيفة وهى أن نورنت بما ذكر من أحاديث صحيحة فأنها تعتبر قلة قليلة ذلك أن مفسرنا أبا السعود رحمة الله وأن كان تفسيره ضمن مدرسة التفسير بالرأى الا أنه أكثر من التفسير بالمأثور أكثارا عظيما ، ومن هنا جاءت هذه الأحاديث الضعيفة التى لا تحط من شأن هذا التفسير ولا تغمط حق صاحبه وعظيم علمه رحمه الله رحمة واسعة وإليك هذه الأحاديث.

ما قيل فيمن عمل بما علم

عندما فسر أبو السعود قوله تعالى ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم**﴾ [سورة يونس آية ٩]

أورد حديثا مرفوعا فى تفسيرها فقال : قال صلى الله عليه وسلم : (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم) [١]

هذا الحديث رواه أبو نعيم عن أنس [٢]

وعنه قال الشوكانى : رواه أبو نعيم وهو ضعيف[٣]

١ تفسير أبى السعود جـ٤ ص ١٢٤.
٢ كشف الخفاء جـ ٢ ص ٣٦٥.

وقد ضعفه أيضا الحافظ العراقى فى تخريج الإحياء [١]

ويرى ناصر الدين الألبانى أن الحديث موضوع فيقول : أخرجه أبو نعيم (١٠/١٤-١٥) من طريق أحمد ابن حنبل عن يزيد ابن هارون عن حميد الطويل مرفوعا

ثم قال ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين عن عيسى ابن مريم عليه السلام فوهم بعض الرواة انه ذكره عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يحتمل بهذا الإسناد عن أحمد بن حنبل قلت وفى الطريق إليه جماعة لم أعرفهم ، فلا أدرى من وضعه منهم[٢] والذى أراه أن الحكم على الحديث بالوضع شطط فى البحث وإسراف فى الحكم لأن الحديث وأن ضعفه العلماء من حيث السند الا أن متنه لا يخالف القرآن فى قوله تعالى : ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ [سورة البقرة آية ٢٨٢] وقوله تعالى ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم﴾ [سورة النساء آية ١١٣]

وقوله ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم﴾ [سورة الأنفال آية ٢٩]

---

٣ الفوائد المجموعة ص ٢٨٦.

١ المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار فى تخريج ما فى الأحياء من الأخبار للحافظ العراقى جـ١ ص ١٢١.

٢ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة جـ ١ ص ٤٢٣.

إلى غير ذلك من الآيات التى تدل بوضوح على أن القرآن لا مانع لديه من قبول معارف تأتى عن طريق الوهب الإلهى بسبب التقوى والعمل.

ونقول : إذا كان العمل قد ورث الجنة بنص القرآن بقوله تعالى ﴿**وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعلمون**﴾ [سورة الزخرف آية ٧٢]

أفلا يكون سببا فى إيراث العلم ، نعم إنه لكذلك ، على أنه ينبغى أن يكون معلوما لدينا أن أنتاجية سببية العمل لايراث الجنة ونيلها ليس الا بفضل الله ورحمته.

والحاصل أن الحديث من حيث الصياغة أعنى المعنى موافق لكتاب الله فى مضونه ومعناه وعليه فلا معنى لإنكاره.

ما قيل فى فضل سورة يونس وهود

عند الأنتهاء من تفسير سورة يونس ذكر أبو السعود حديثا فى فضلها ورفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس أعطى له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون) [1]

---

[1] تفسير أبى المسعود جـ٤ ص ١٨١.

قال عنه الحافظ ابن حجر حديث أبى بن كعب فى فضائل القرآن سورة يونس أخرة الثعلبى من طرق عن أبى بن كعب كلها ساقطة ، وأخرجه ابن مردويه من طريقين وأخرجه الواحدى فى البسيط وله قصة ذكرها الخطيب ، ثم ابن الصلاح عمن اعترف بوضعه وبهذا روى عن أبى عصمة أنه وضعه[١]

وقال الشوكانى حديث من قرأ فاتحة الكتاب أعطى من الأجر كذا فذكر فضل سورة إلى أخر القرآن ورواه العقيلى عن أبيّ بن كعب مرفوعا قال ابن المبارك أظن الزنادقة وضعته والآفة من ابن حسان .

وروى بإسناد آخر موضوع أيضا (رواه ابن أبى داود)

والآفة من مخلد بن عبد الواحد ، ولهذا الحديث طرق كلها باطلة وموضوعة وذكر الخليلى فى الإرشاد عن ابن عباس مرفوعا وفى إسناده نوح ابن أبى مريم ، وقد أقر بأنه الواضع له .

ولا خلاف بين الحفاظ بأن حديث أبى بن كعب هذا موضوع وقد [٢] خطأ المحدثون من ذكر هذه الأحاديث من المفسرين فى كتبهم كالثعلبى والواحدى والزمخشرى والنسفى والبيضاوى وأبى السعود قال العراقى تعقيبا على من ذكره من المفسرين لكن من أبرز إسناده منهم كالاولين[٣]

---

١ الكافى فى تخريج الكشاف ص ٣.

٢ الفوائد المجموعة ص ٢٩٦.

٣ كالثعلبى والواحدى رقم ٣ كالزمخشرى والنسفى والبيضاوى وأبى السعود.

فهو أبسط لعزوه إذ أحال ناظره على الكشف عن سنده ، وأن كان لا يجوز السكوت عليه وأما من لم يبرز سنده وأورده بصيغة الجزم فخطؤه أفحش[١]

وقال الإمام ابن الجوزى : وقد فرق هذا الحديث أبو إسحاق الثعلبى فى تفسيره عند كل سورة منه ما خصها ، وتبعه أبو الحسن الواحدى فى ذلك ولا أعجب منهما لأنهما ليسا من أصحاب الحديث ، وإنما عجبت من أبى بكر بن أبى داود فى كتابه الذى صنفه فى (فضائل القرآن) وهو يعلم أنه حديث محال مصنوع بلا شك[٢]

ونقول لا يستطيع أحد أن ينكر فضل قراءة القرآن الكريم وما فيها من الخير والبركة والأجر العميم ، ولكن الحديث الذى أورده أبو السعود بخصوص هذا الأمر لنا عليه ملاحظات تتضح فيما يلى:-

١- صدر الحديث وهو من قرأ سورة يونس أعطى له من الأجر عشر حسنات لا أرى فيه شيئا لا تفاقه مع الأحاديث الصحيحة التى وردت فى هذا الصدد مثال ذلك ما أخرجه الترمذى بسنده إلى عبد الله ابن مسعود يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرف من كتاب الله فله به

---

١ تدريب الراوى للسيوطى جـ ١ص ٢٨٩.

٢ انظر الموضوعات لابن الجوزى جـ ١ ص ٢٤٠ واللآلئ المصنوعة للسيوطى جـ ١ ص ٢٢٨.

حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف.

قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح حسن غريب من هذا الوجه [١]

٢- أما عجز الحديث وهو تحديده بعدد من صدق وكذب فلعل الحكم عليه بالوضع بأنه موضوع جاءه منْ هنا على أن ربط أجر قراءة السورة بعدد من صدق وكذب بيونس وبعدد من غرق مع فرعون تحكم لا معنى له ولا دليل عليه.

ولذلك فإني أرى أن ما ذكره أبو السعود في فضل سورة يونس من صنيع قوم قد استباحوا لأنفسهم وضع الأحاديث ترغيب في قراءة بعض السور والآيات ظنا منهم أنهم بذلك يتقربون إلى الله ويحسبون أنهم يحسنون صنعا.

ومن أجل هذه الغاية ارتكبوا أثما كبيرا فتقولوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقله وما هكذا يرغب الناس في الطاعة وإنما تكون الطاعة بما شرعه لعباده ، وقد تضمنه هذا الحديث من قرائن الوضع ما قال به المحدثون أن من قرائن وضع الحديث أن يكون ركيكا لا يعقل أن يصدر عن النبي صلى الله عليه وسلم ومما يؤيد ما ذكرناه أن ابن الجوزي اورد هذا الحديث في كتابه (الموضوعات) بعدة طرق ونص على أنه موضوع ثم قال :

[١] انظر سنن الترمذي كتاب التفسير جـ ٥ ص ١٧٥-١٧٦. ويروى هذا الحديث في غير هذا الوجه عن ابن مسعود ورواه أبو الأحوص عن ابن مسعود ورفعه بعضهم ووقفه بعضهم عنه.

نفس الحديث يدل على أنه مصنوع فإنه استنفذ السور وذكر في كل واحدة ما يناسبها من الثواب بكلام ركيك في نهاية البرودة لا يناسب كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم [١]

هذا مما يحسن التنبيه عليه هنا أن أبا السعود التزم ان يذكر أخر كل سورة حديثا في بيان فضلها من هذا النوع مثال ذلك ما ذكره عند ختام سورة هود حيث قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق كل واحد من الأنبياء المعدودين فيها عليهم الصلاة والسلام وبعدد من كذبهم وكان يوم القيامة من السعداء بفضل الله تعالى [٢] نريد أن ننبه إلى أن كل ما جاء من هذا القبيل يقال فيه ما يقال في سابقه.

كما يجدر التنبيه أيضا إلى أن معظم ما أورده المفسرون في فضل سور القرآن موضوع ما عدا أحاديث معينة ، صحت في فضائل بعض السور وقد بينها السيوطي بقوله (وأعلم أن السور التي صحت الأحاديث في فضائلها ، الفاتحة والزهراوان [٣] والأنعام والسبع الطوال مجملا [٤] والكهف ويس

---

١ الموضوعات جـ ١ ص ٢٤٠.

٢ تفسير أبي السعود جـ ٤ ص ٢٤٩.

٣ الزهراوان : هما البقرة وآل عمران .

٤ السبع الطوال هي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف واختلف في السابعة فقيل هي الأنفال وبراءة وقيل هي يونس وقيل هي الكهف.

والدخان والملك والزلزلة والنصر والكفرون والأخلاص والمعوذتين وما عداها لم يصح في شئ [1]

ما قيل في فضل سيدنا يونس عليه السلام

قال تعالى : ﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ [سورة هود آية ٧]

عندما أخذ أبو السعود في تفسير هذه الآية قال فسره صلى الله عليه وسلم بقوله أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله [2]

أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره من طريق داود بن المجر عن عبد الواحد بن زيد عن كليب بن وائل ، عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسمل أنه تلى هذه الآية فذكر الحديث [3] قلت هذا حديث ضعيف لأن في سنده داود بن المجر قال الذهبي: صاحب كتاب العقل واه .

قال ابن حبان كان يضع الحديث وأجمعوا على تركه وفيه أيضا عبد الواحد بن زيد ، منكر الحديث قال البخاري تركوه وقال النسائي متروك الحديث.

---

[1] تدريب الراوى جـ ١ ص ٢٩٠.
[2] تفسير أبى السعود جـ ٤ ص ١٨٨.
[3] جامع البيان جـ ٢ ص ٥.

وقال الجوزجاني سئ المذهب ليس من معادن الصدق [١] فمثل هذا الإسناد لا يحتج به. وقال أبو السعود : روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا تفضلونى على يونس بن متى فإنه كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الأرض).

قالوا وإنما كان ذلك التفكر فى أمر الله عز وجل الذى هو عمل القلب.

ونقول : نص الحديث كما ورد فى الصحيحين (ما ينبغى لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى) [٢]

أما هذه الزيادة التى أدخلت على الحديث فهى أنه كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الأرض) فلم يذكرها الشيخان ولا أصحاب السنن فمن أين جاء بهذه الزيادة .

ولذلك قال عنه ابن حجر فى تخريج الكشاف لم أجده [٣]

ولنا أن نسأل هل فى مقدور أحد من الخلق أن يعمل فى اليوم والليلة بجوارحه أو بقلبه مثل عمل أهل الأرض؟

---

[١] تنظر كتاب الضعفاء والمتروكين للدار قطنى ص ٨٧- ١٢٠.

[٢] البخارى عن ابن عباس كتاب أحاديث الأنبياء جـ ١ ص ٥١٩ -٥٢٠ من فتح البارى ، ومسلم كذلك عن ابن عباس بشرح النووى كتاب الفضائل ١٥ص ١٣٤..

[٣] الكافى الشافى ص ٣٦٠.

إن ذلك – فيما أتصور – غير مستطاع بحال من الأحوال بل أن هذا مما يأبه العقل ، ولا يساعد عليه النقل مما ينتفى معه ما جاء وعلى ذلك فهذه الزيادة التى وردت فى الحديث دخيلة وباطلة وقد تضمنت من أمارات الوضع ما قال له المحدثون إن من أمارات وضع الحديث أن يكون مما لا يقبل العقل تصديقه ولا يصح تأويله.

ما جاء بشأن إهلاك قوم لوط

عند تفسير أبى السعود لقوله تعالى ﴿ **مسومة عند ربك وما هى من الظالمين ببعيد**﴾ [سورة هود آية ٨٣]

قال : أنهم – يعنى قوم لوط – بسبب ظلمهم مستحقون لها وملابسون بها يعنى الحجارة التى عذبوا بها وفيه وعيد شديد لأهل الظلم كافة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل جبريل عليه السلام فقال : (يعنى ظالمى أمتك وما من ظالم منهم الا وهو يعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة) [١]

وأقول : نحن نوافق أبا السعود فيما ذكره من أن الظالمين لهم وعيد شديد إذ أن التعبير بصفة الظالمين وكون العقوبة آية مرادة لا مصادفة ،

[١] تفسير أبى السعود جـ ٤ ص ٢٣٠.

يجعل العبارة عبرة لكل الأقوام الظالمة فى كل زمان وأن كان العذاب يختلف باختلاف الأحوال من أنواع الظلم وكثرته وعمومه وما دونهما[١]

وتفسير الآية بهذا المعنى هو المتبادر من عبارتها والموافق لسنة الله تعالى فى إهلاك الظالمين .

أما هذا الخبر الذى أورده أبو السعود فى تفسير الآية فهو مردود من وجهين:

أولهما

إن الحكم باق على عمومه – أما قوله فى الحديث يعنى ظالمى أمتك – فتخصيص يحتاج إلى دليل ولا دليل.

ثانيهما

أن الخبر مجهول الأصل لا يعرف له سند وفيه يقول الحافظ ابن الحجر : ذكره الثعلبى من غير سند [٢]

وعنه أيضا يقول الحافظ العراقى : لم أقف له على إسناد[٣] وما لا يصح إسناده ومعناه فهو مردود وعليه فلا يجوز العمل بهذا الخبر.

١ تفسير المنار جـ ١٢ ص ١١٤.
٢ الكافى فى تخريج الكشاف ص ٨٧،
٣ تفسير الألوسى جـ ١٢ ص ١١٤.

ما قيل عن حزن يعقوب على ولديه

قال تعالى ﴿ **وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وأبيضت عيناه من الحزن فهو كظيم** ﴾ [سورة يوسف آية ٨٤]

عند تفسير هذه الآية قال أبو السعود : وفى الخبر لم تعط أمة من الأمم إنا لله وإنا إليه راجعون إلا أمة محمد صلى الله عليه وسلم الا ترى أن يعقوب حين أصابه ما أصابه لم يسترجع بل قال ما قال كما أورد أيضا فى بيان الآية خبرا يرفعه إلى رسول الله فقال :" وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام ما بلغ من وجد يعقوب " عليه السلام " على يوسف ؟ قال سبعين ثكلى قال : فما كان له من الأجر ؟ قال أجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط " وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند النوائب[1] بعد هذا الذى ذكره أبو السعود أقول:

الخبر الأول: تعرض له الحافظ ابن حجر فى تخريج الكشاف فقال عنه : رواه الثعلبى من حديث محمد بن سعيد الهادى عن إسحاق ابن الربيع ابن سفيان بن زياد المعصفرى ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بهذا مرفوع .

---

[1] تفسير أبى السعود جـ ٤ ص ٣٠١-٣٠٢.

والطبراني من وجه آخر في الدعاء عن التوزى عن سفيان عن زيد المعصفرى عن سعيد بن جبير أقول : وكذا رواه البيهقي في الشعب من رواية ابن عامر عن الثورى قال رفعه بعض الضعفاء وليس بشئ [1] ولنا على هذا الخبر تساؤلات هل كان يعقوب عليه السلام يجهل الرجوع إلى الله عند الشدائد والنوائب؟

وهل يجوز له وهو من أنبياء الله أن يظهر الجزع ويجأر بالشكاية من الله ؟

كما وصفه أبو السعود من أنه حين أصابه ما أصابه لم يسترجع بل قال ما قال : وإذا كان ذلك كذلك فما معنى قوله هذا من قوله ﴿**فصبر جميل**﴾ مرتين.[سورة يوسف آية ١٨-٨٣].

الأولى على يوسف والثانية عليه وعلى أخيه وهل كان قول يعقوب (إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله) فيه مخالفة للشريعة؟

أقول : أن ما قيل على يعقوب من عدم استرجاعه إلى الله كلام لا يجوز بل أنه مناف لمنصب النبوة ومقامها الرفيع.

نعم حزن يعقوب عليه السلام ، ولا يستطيع أحد أن ينكر عليه حزنه وأسفه على يوسف وأخيه لكن كان حزنه في قلبه جبلة ، ولم يكتسب لسانه

---

[1] الكافي ص ٩٠.

قولا قلقا يخالف الشريعة[1] كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى ابنه فى صحيح الخبر .

أن العين تدمع ، والقلب يحزن ، وإنا بفراقك يا **إبراهيم** لمحزنون[2]

ومن ذلك نرى أن هذا الخبر الذى أورده أبو السعود ضعيف سندا ومتنا ورحم الله الرازى فقد تنبه **إلى ما** لم يتنبه إليه **غيره ، حيث ضعف هذا** الخبر ورد عليه ردا مقنعا.

فقال : فأن قيل : أليس أن **الأولى** عند نزول المصيبة الشديدة أن **يقول** :﴿ **إنا لله وإنا إليه راجعون**﴾ حتى يستوجب الثواب العظيم المذكور **فى قوله** ﴿**أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون**﴾ قلنا : قال بعض المفسرين : إنه لم يعط الاسترجاع أمة إلا هذه **الأمة** فأكرمهم الله تعالى إذا أصابتهم مصيبة وهذا عندى ضعيف لأن قوله (أنا لله) إشارة إلى أنا مملكون لله وهو الذى خلقنا وأوجدنا وقوله (وإنا إليه راجعون) أشارة إلى أنه لابد من الحشر والقيامة ومن المحال أن أمة من الأمم لا يعرفون ذلك فمن عرف عند نزول بعض المصائب به أنه لابد فى العاقبة من رجوعه إلى

---

[1] أحكام القرآن لابن العربى جـ ٣ ص ١١٠٤.

[2] أخرجه البخارى عن أنس بن مالك – كتاب الجنائز – باب قول النبى أنا بك لمحزنون جـ ٣ ص ٢٠٦ فتح البارى .

الله تعالى فهناك تحصل السلوى التامة عند تلك المصيبة ومن المحال أن يكون المؤمن بالله غير عارف بذلك [١] دع عنك نبى الله يعقوب.

أما **الخبر الثانى:** الذى ذكره أبو السعود وهو أن الرسول صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عما بلغ من وجد يعقوب عليه السلام ...الخ فقد رواه ابن جرير الطبرى فى تفسيره من طريق عيسى بن يزيد عن الحسن موقوفا ومرفوعا ، ورواه أيضا عن ليث بن سليم موقوفا عليه [٢] قلت فى سند الرواية الأولى عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب الليثى المدنى قال عنه الذهبى فى الميزان : قال خلف الأحمر كان يضع الحديث وقال البخارى وغيره منكر الحديث [٣]

وفى الرواية الثانية ليث بن أبى سليم .

قلت وهو ضعيف ، مضطرب الحديث كما قرر ذلك الأمام أحمد ووافق يحيى والنسائى على ضعفه[٤]

ما قيل عن عقوق الوالدين

قال تعالى ﴿**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا أياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما**

١ تفسير الفخر الرازى جـ ١٨ ص ١٩٩.
٢ جامع البيان جـ ١٣ ص ٣٠-٣١.
٣ ميزان الاعتدال فى نقد الرجال جـ ٣ ص ٣٢٧- ٣٢٨.
٤ نفس المصدر السابق جـ ٣ ص ٤٢٠.

قولا كريما ، وأخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب أرحمهما كما ربياني صغيرا﴾ [سورة الأسراء آية ٢٣-٢٤]

عند تفسير هاتين الآيتين ذكر أبو السعود عديدا من الأخبار تحتاج إلى وقفه قال : (وعن النبى صلى الله عليه وسلم رضا الله فى رضا الوالدين وسخطه فى سخطهما)

وروى (يفعل البار ما شاء أن يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما شاء أن يفعل فلن يدخل الجنة) وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبوى بلغا من الكبر أنى آلى منهما ما وليا منى فى الصغر فهل قضيتهما حقهما ؟ قال : لا فإنهما كان يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما.

وروى أن شيخا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إن ابنى هذا له مال كثير وأنه لا ينفق علىّ من ماله فنزل جبريل عليه السلام وقال : إن هذا الشيخ قد أنشأ فى ابنه أبياتا ما قرع سمع بمثلها فاستشهدها فانشدها الشيخ فقال:

١- غذوتك مولودا ومنتك يافعا تعل بما أحنى عليك وتنهل

٢- إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت لسقمك الا باكيا أتململ.

٣- كأنى أنا المطروق دونك بالذى طرقت به دونى وعينى تهمل.

٤- فلما بلغت السن والغاية التى إليها مدى ما كنت فيك أؤ مل

٥- جعلت جزائى غلظة وفظاظة   كأنك أنت المنعم المتفضل

٦- فليتك إذ لم ترع حق أبوتى   فعلت كما الجار المجاور يفعل

فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (أنت ومالك لأبيك) [١]

نقول إن الحديث الأول الذى أورده بلفظ (عن النبى صلى الله عليه وسلم رضا الله فى رضا الوالدين وسخطه فى سخطهما) ورواه الهيثمى فى مجمع الزوائد فى رواية البزار عن ابن عمر قال فى إسناده عصمة ابن محمد وهو متروك[٢]

ونقول بل هو شر من ذلك إنه كذاب يضع الحديث كما قال يحيى عنه[٣] ورواه السيوطى فى الجامع الصغير معزوا للطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود وتعقبه المناوى بأن المتهم به عصمة بن محمد كما قال الهيثمى[٤]

وقد روى الترمذى فى سننه هذا الحديث بإسناد أخر مرفوعا وموقوفا بيد أنه رجح الموقوف، فقد ثبت عنه أنه رواه من حديث خالد بن الحارث عن شعبة عن يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبد الله بن عمرو مرفوعا.

---

١ تفسير أبى السعود جـ ٥ ص ١٦٧.

٢ مجمع الزوائد جـ ٨ ص ١٣٦.

٣ تنزيه الشريعة لابن عمران جـ ١ ص ٣١١.

٤ فيض القدير شرح الجامع الصغير جـ ٤ ص ٣١١.

ثم ساقه من حديث محمد بن جعفر عن شعبة به نحوه ولم يرفعه قال : وهذا أصح وهكذا رواه أصحاب شعبة ، عن شعبة عن يعلى بن عطاء عن أبه عن عبد الله بن عمرو موقوفا .

ولا نعلم أحدا رفعه غير خالد بن الحارث وهو ثقة مأمون [١]

وهكذا يبدو أن الوقف به أشبه.

وإذا علم أن الحديث موقوف فمن الخطأ رفعه كما قد توهم أبو السعود وغيره على أن فى سند المرفوع ما يمنع من قبوله كما سبق بيانه

أما الحديث الثانى وهو (يفعل البار ما شاء أن يفعل فلم يدخل النار...الخ) فقد ذكره ابن عمران من رواية الديلمى من حديث الحسين بن على وقال : فيه عيسى بن عبد الله واصرم بن حوشب [٢] الأول متهم بالكذب[٣] والثانى منكر الحديث قال عنه يحيى : كذاب خبيث وقال البخارى ومسلم والنسائى متروك وقال ابن حبان كان يضع الحديث[٤]

وذكر الشوكانى هذا الحديث ضمن الأحاديث الموضوعة فى الفوائد المجموعة وقال عنه فى إسناده كذاب[٥]

---

١ سنن الترمذى كتاب البر والصلة باب ما جاء فى الفضل فى رضا الوالدين جـ ٤ ص ٢٣٣.

٢ تنزيه الشريعة جـ ٢ ص ٢٣٣.

٣ المصدر السابق جـ ١ ص ٩٤.

٤ الضعفاء والمتروكين للدار قطنى ص ٦٦.

٥ الفوائد المجموعة ص ٢٥٧-٢٥٨.

وبناء على ذلك نقول : أن الحديث فيه نكارة شديدة تقتضى الحكم بوضعه ويتضح ذلك من وجهين :

أولهما : أنه لا يصح من طريق النقل أصلا.

ثانيهما : أن الحديث يدل بظاهرة على أن البار لن يدخل النار على البتات وهذا لم يقل به مسلم ، فدخول النار لا يمتنع على أى أنسان مهما كان الا برحمة من الله تعالى حتى يقال أن البار لن يدخلها ولو ارتكب من المعاصى ما شاء وكذلك دخول الجنة لا يرحم منه أى إنسان نطق بشهادة أن لا أله الا الله وأن محمدا رسول الله حتى يقال أن العاق لن يدخلها ولو عمل من الطاعات ما شاء وكيف يلتئم هذا مع قول الله تعالى ﴿ **أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ [سورة النساء آية ٤٨]

وأما الحديث الثالث وهو أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن أبوى بلغا من الكبر أنى آلى منهما ما وليا منى فى الصغر فهل قضيتهما حقهما؟ ..الخ

فلم أعثر عليه فيما رجعت إليه من كتب السنة ولم أجد له أصلا فى شئ من المصادر التى وقفت عليها ، حتى أن الحافظ ابن حجر تعرض له فى تخريجه لأحاديث الكشاف وقال عنه لم أجده[1]

---

[1] الكافى ص ٩٨.

وأما الحديث الرابع الذى أورده أبو السعود مرفوعا ففيه ضعف وانقطاع وعن هذا الحديث يقول صاحب كتاب تمييز الطيب من الخبيث : أخرجه ابن ماجة والطبرانى فى الأوسط والصغير من طريق المنكدر بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر ، والمنكدر ضعفوه من قبل حفظه وهو فى الأصل صدوق لكن فى السند من لا يعرف والحديث عند البزار منقطع قال شيخنا بعد إيراده من طرق كثيرة وهو قوى[1] والذى أورده القاضى أبو بكر بن العربى من نفس الطريق فى أحكام القرآن وقال تعقيبا عليه قال سليمان : لا يروى هذا الحديث عن محمد بن المنكدر بهذا التمام والشعر الا بهذا الإسناد تفرد به عبيد الله بن خلصة [2]

كما أورده ابن جرير فى المطالب العالية من رواية ابن أبى عمر عن الشعبى وعنه قال حبيب الرحمن تعقيبا عليه [3]

ضعف البوصيرى سنده لضعف محمد بن أبى ليلى وإذا ثبت أن الحديث ضعيف السند منقطع غير متصل لا نعلم صحة نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن الخطأ البين رفعه إلى المعصوم صلى الله عليه وسلم أنه قد ورد فى بر الوالدين فى الصحيحين وغيرهما ما يغنى عن هذه الأحاديث أقول هذا تنبيها إلى أنه ليس معنى كلامنا على تضعيفها أو تصحيحها أننا نفرط فى حق الوالدين أو ننتقص مما يجب علينا نحوهما من

١ تمييز الطيب من الخبيث للشيخ عبد الرحمن الشيبانى ص ٤٢.
٢ أحكام القرآن لابن عربى جـ ٣ ص ١٢٠٠ وتفسير القرطبى جـ ٥ ص ٣٨٦٢.
٣ المطالب العالية جـ ٢ ص ٣٧٥.

البر والإحسان فذلك مما لايقره مؤمن. ويكفى أن الله قرن شكرهما بشكره فقال (أن أشكر لى ولوالديك إلى المصير)

ولا عجب فقد ورد فى فضل البر ما لا يحصى كثرة من الأحاديث وصح عن العقوق من أكبر الكبائر وأقبح الذنوب.

المراجع المساعدة

١- الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني.

٢- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير.

٣- تأليف مختلف الحديث لابن قتبة.

٤- تحذير الخواص من أكاذيب القصاص للسيوطي.

أسئلة التقويم الذاتي

س١ : ماذا تقول في الضعف من حيث السند مع أن متنه لا يخالف القرآن مع ذكر المثال ؟

س٢ : ماذا تقول في فضل سورة يونس وهود؟

س٣ : كيف تحكم على ما قيل في فضل سيدنا يونس عليه السلام؟

س٤ : ماذا تقول عما جاء بشأن إهلاك قوم لوط؟

س٥ : قيل عن حزن يعقوب روايات تخالف القرآن فبماذا ترد على ذلك؟

س٦ : وردت أحاديث في عقوق الوالدين كيف ترد عليها؟



الوحدة الخامسة

المحتويات

الدخيل في قصص الأنبياء

الأهداف الخاصة

١- الدخيل فى قصة إدريس عليه السلام.

٢- الرأى الصحيح .

٣- الدخيل فى قصة نوح عليه السلام.

٤- الرأى الصحيح.

٥- بيان الدخيل فى قصة إبراهيم عليه السلام.

٦- القول الصحيح.

٧- بيان الدخيل فى قصة لوط عليه السلام.

٨- القول الصحيح فى عرض قصة لوط عليه السلام.

إدريس عليه السلام

هو إدريس بن يارد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام ، واسمه في التوراة خنوخ وفي الترجمة العربي أخنوخ[1]

قال الله تعالى ﴿ **واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا**﴾ [سورة مريم آية ٥٦-٥٧]

قال الإمام أبو السعود عند تفسير قوله تعالى ﴿ **ورفعناه مكانا عليا**﴾ هو شرف النبوة والزلفى عند الله تعالى ، وقيل علو الرتبة بالذكر الجميل في الدنيا كما في قوله تعالى ﴿ **ورفعنا لك ذكرك**﴾ [سورة ألم نشرح آية ٤]

وقيل الجنة ، وقيل : السماء السادسة أو الرابعة ، روى عن كعب وغيره في سبب رفع إدريس عليه السلام أنه سئل ذات يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس فقال : يارب إني قد مشيت فيها يوما وقد أصابني منها ما أصابني ، فكيف من يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها ، فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ، مالا يعرف ، فقال : يارب ما الذي قضيت فيه ، فقال : إن عبدي إدريس سألني

[1] قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار ص ٣٨. مكتبة دار التراث.

أن أخفف عنك حملها وحرها فأجبته ، قال يارب اجعل بيني وبينه خلة ، فأذن الله تعالى له فرفعه إلى السماء[١]

بيان الدخيل

أقول : ماذكره أبو السعود من أقوال فى معنى الآية محتملة المعنى المراد منها ، إذ أن الذى أنبأت عنه الآية يحتمل عدة احتمالات يحتمل أن يكون العلو معنويا ، وهو علو الرتبة بشرف النبوة ، أو بالذكر الجميل فى الدنيا كما قال أبو السعود.

ويحتمل أن يكون العلو حسيا برفعه إلى السماء ، وإن كنت أميل إلى الرأى الثانى لما فى ذلك من خبر صحيح عن المعصوم صلى الله عليه وسلم يؤيده وهو ماثبت فى الصحيحين عن أنس فى حديث المعراج أنه صلى الله عليه وسلم رأى إدريس فى السماء الرابعة [٢] وإليه ذهب الفخر الرازى فى تفسيره حيث قال (إن المراد به الرفعه فى المكان إلى موضع عال وهذا أولى، لأن الرفعة المقرونة بالمكان تكون رفعة فى المكان لا فى الدرجة [٣]

---

١ تفسير أبى السعود جـ ٥ ص ٢٧١.

٢ انظر فتح البارى بشرح صحيح البخارى كتاب مناقب الأنصار باب المعراج جـ١٧ ص ٢٤١مسلم شرح النووى كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء جـ٢ ص ٢٢٠.

٣ تفسير الفخر الرازى جـ ٢١ ص ٢٣٤.

أما القول بأن إدريس عليه السلام فى الجنة أدخلها بعد أن أذيق الموت وأحيى ، فهو خبر موضوع ، والمتهم به إبرهيم بن عبد الله المصيصى إذ أن الهيثمى أورده فى مجمع الزوائد من حديث أم سلمة ، وعزاه للطبرانى فى الأوسط وقال فى إسناده إبرهيم بن عبد الله بن خالد المصيصى وهو متروك[١]

قلت : قال عنه الذهبي في الميزان : هذا رجل كذاب ، قال الحاكم: أحاديثه موضوعه [٢]

وأما ما ذكره أبو السعود فى سبب رفع إدريس : من أنه مشى يوما فى الشمس فأصابه وهجها ، فسأل ربه أن يخفف ثقلها عمن يحملها ، فاستجاب له ، ولما أصبح الملك وجد من خفتها وحرها ما لا يعرف فسأل ربه عن ذلك ، فقال له ربه إن عبدى إدريس سألنى تخفيف حملها عنك فأجبته ، فقال يارب اجعل بيننا خلة فأذن له .. فرفعه إلى السماء ، فلا يشك عاقل فى أنه من أخبار كعب الإسرائيلية التى نقلها عن أهل الكتاب ، والتى لا تصح سندا ولا مخبرا ومن ثم فلا يسوغ نقلها ولا روايتها .

وهذا الذى ذكره أبو السعود سبقه إليه ابن جرير الطبرى فى تفسيره فقد روى عن كعب أيضا خبرا يتعلق بنفس السبب ، ولكن بغير هذا السياق حيث قال : (حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال : أخبرنا ابن وهب ، قال :

١ مجمع الزوائد كتاب فيه ذكر الأنبياء عليهم السلام جـ ٨ ص ٢٠٠.
٢ ميزان الاعتدال جـ ١ ص ٤١.

أخبرنى جرير بن حازم عن سليمان الأعمش عن شمر بن عطية عن هلال ابن يساف ، قال : سأل ابن عباس كعبا وأنا حاضر فقال: ماقول الله تعالى لإدريس " ورفعناه مكانا عليا" فقال كعب : أما إدريس فإن الله أوحى إليه إنى رافع لك كل يوم مثل عمل جميع بنى آدم فأحب أن تزداد عملا فأتاه خليل له من الملائكة ، فقال إن الله أوحى إلى كذا وكذا ، فكلم لى ملك الموت فليؤخرنى حتى أزداد عملا فحمله بي بجناحيه ثم صعد به إلى السماء فلما كان فى السماء الرابعة تلقاهم ملك الموت منحدرا فكلم ملك الموت فى الذى كلمه فيه إدريس ، فقال وأين إدريس فقال هو ذا على ظهرى ، قال ملك الموت فالعجب بعثت أقبض روح إدريس فى السماء الرابعة فجعلت أقول : كيف أقبض روحه فى السماء وهو فى الأرض فقبض روحه هناك فذلك قوله تعالى " ورفعناه مكانا عليا " [١]

ورواه ابن أبى حاتم عن السدى بنحو من هذا السياق [٢] وفى القرطبى قال السدى: إنه نام ذات يوم واشتد عليه حر الشمس فقال وهو منها فى كرب ، فقال : اللهم خفف عن ملك الشمس حرها وأعنه على ثقلها .. ثم ذكر نحو حديث كعب [٣]

---

١ جامع البيان جـ ١٦ ص ٧٢.

٢ انظر الدر المنثور للسيوطى جـ ٤ ص ٢٧٦-٢٧٧.

٣ تفسير القرطبى جـ ٥ ص ٤١٥.

وفى ذلك دلالة واضحة على أن ما ذكر من الإسرائيليات التى يذكرها الرواة عن أهل الكتاب.

على أن رواية السدى يكفى فى إبطالها نسبتها إليه ، فهو من عرف عنه الكذب وعدم الثقة بمروياته.

ولذلك قال عنه البخارى : سكتوا عنه ، لا يكتب حديثه ، وقال ابن معين ليس بثقة، وقال النسائى : متروك ، وقال ابن حبان : كان ممن يروى الموضوعات عن الأثبات لا يحل كتابة حديثه [١]

أما حديث كعب فقد ساقه الحافظ بن كثير فى التفسير نقلا عن ابن جرير ووصفه بأنه أثر غريب عجيب ، ثم حكم عليه بأنه من الإسرائيليات فقال : (وهذا من أخبار كعب من الإسرائيليات وفى بعضه نكارة والله أعلم)[٢]

وتبعه فى ذلك الحافظ بن حجر ، حيث قال تعقيبا على هذا الخبر " (وهذا من الإسرائيليات ، والله أعلم بصحة ذلك [٣]

---

١ انظر كتاب الضعفاء والمتروكين للدار قطنى تحقيق الأستاذ صبحى السامرائى ص ٥٢.

٢ تفسير ابن كثير جـ ٥ ص ٢٣٦.

٣ فتح البارى جـ ٦ ص ٤٣٣ وانظر تفسير الألوسى جـ ١٦ ص ١٠٧.

الرأي الصحيح

أقول : الأسلم تفويض علم ذلك إلى الله تعالى

وقال البخاري : ويذكر عن ابن مسعود وابن عباس أن إلياس هو إدريس ، واستأنسوا في ذلك بما جاء في حديث الزهري عن أنس في الإسراء أنه لما مر به عليه السلام قال مرحبا بالأخ الصالح ولم يقل كما قال آدم وإبرهيم مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح ، فلو كان في عمود نسبه لقال له كما قالاه له.

وقال الحافظ ابن كثير بعد أن نقل ذلك : وهذا لا يدل ولابد ، لأنه قد لا يكون الراوي حفظ جيدا ، أو لعله قاله له على سبيل الهضم والتواضع ، ولم ينتسب له في مقام الأبوة كما انتسب لآدم أبي البشر ، وإبرهيم الذي هو خليل الرحمن ، وأكبر أولي العزم بعد محمد صلوات الله عليهم أجمعين[1]

ومما تقدم بدا واضحا أن ما ذكره أبو السعود وغيره من المفسرين في سبب رفع إدريس عليه السلام من الإسرائيليات التي لا حاجة لنا بها ، ومن التزايدات التي لا أصل لها ، وفي الكتاب الكريم والسنة الصحيحة غنية عن الغرائب والآراء الاجتهادية ، ويكفينا في هذا المقام أن نعتقد أن الله سبحانه كرم إدريس ورفعه مكانا عليا وسواء أكانت الرفعة في الدرجة أم في المكان

[1] قصص الأنبياء ص ٣٩.

فيجب الإيمان بها ، كما يجب الوقوف عند القدر الذى أخبر الله به دون تفضيل مالم يرد به نص قرآني صريح ، أو خبر متواتر عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ، ولا يجوز لنا الأخذ بالظن في عقيدة مثل هذه وحينئذ نأخذ بما قام عليه الدليل القاطع ، لا بما يحكيه القصاصون والإسرائيليون.

نوح عليه السلام

هو النبى الثانى ممن ذكروا بعد آدم عليه السلام ، والاول بعد آدم هو جده الأكبر إدريس عليه السلام ، وهو أول الرسل كما فى حديث الشفاعة عن أبى هريرة فى صحيح مسلم " يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض" وبعضهم يؤول هذا الحديث ويقول برسالة أدم وإدريس.

وهو نوح بن لا مك بن متوشالح بن أخنوخ وهو إدريس بن يارد بن مهلئيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم أبى البشر هذا هو الذى ورد فى كتب التاريخ وفى التاريخ فى سفر التكوين وإن كنت أشك كثيرا فى نسق هذا النسب ، لأنى أعتقد أن بين نوح وآدم أكثر من ذلك[1]

عمر نوح عليه السلام

قال الله تعالى : ﴿ **ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون**﴾

---

[1] قصص الأنبياء جـ ٤٥.

ذكر الكتاب الكريم أن نوحا مكث ألف سنة إلا خمسين عاما ، وذكرت التوراة أن آدم عمر ثلاثين وتسعمائة سنة وذكرت أن الطوفان ابتدأ في السنة الأولى.

بعد ستمائة من ولادة نوح عليه السلام ، وذكرت كثيرا من الأنبياء غيرهم وأنهم عمروا عمرا طويلا .

والرأى الصحيح

الذى نراه أنه لا مانع من أن يعمر آدم ومن قرب منه أعمارا طويلة لأن النوع الإنسانى كان فى بدء نشأته ، ولم يحمل هموما ، ولم تعتوره الأمراض المختلفة ، ولم تنهك قوته الأطعمة التى لا يقدر على هضمها فكان من المعقول أن يعيش طويلا [1]

وقد ذكر أبو السعود أقوالا عديدة فى السن التى بعث فيها نوح عليه السلام فقال ما نصه (قال ابن عباس رضى الله تعالى عنه ، بعث صلى الله عليه وسلم على رأس أربعين من عمره ، ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة ، وعاش بعد الطوفان ستين سنة ، وكان عمره ألفا وخمسين سنة وقال مقاتل : بعث وهو ابن مائة سنة ، وقيل وهو ابن خمسين سنة ، وقيل وهو

[1] قصص الأنبياء ص ٦٨.

ابن مائتين وخمسين سنة ، ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة فكان عمره ألفا وأربعمائة وخمسين سنة) [١]

أقول ما ذكره أبو السعود من أقوال الرواة فى السن التى بعث فيها نوح عليه السلام ، رمىٌ بالكلام على عواهنه من غير حجة ولا برهان (دعوى لا دليل عليها) ونحن إذا أمعنا النظر فى أقوال الرواة سالفة الذكر تبين لنا أنها متعارضة ، وهناك الدليل على ذلك، فبينما ذكر أبو السعود عن ابن عباس أن نوحا بعث فى سن الأربعين ، ذكر ابن كثير عنه أيضا فى كتابه البداية والنهاية أنه بعث فى أربعمائة وثمانين سنة[٢]

ولا ندرى بأى قول منها نأخذ ونصدق ، وبأى منها نرفض ؟ أضف إلى ذلك أننا لا نعرف لهذه الأقاويل أصلا مرفوعا إلى النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، فهى لا تعدو أن تكون منقولة فيما يظهر عن أهل الكتاب ، وبخاصة مرويات مقاتل بن سليمان المجروح بالكذب ، الذى قال ابن حبان فيه (كان يأخذ من اليهود والنصارى... وكان يكذب فى الحديث) [٣]

ومن كل ما تقدم نستطيع أن نقول بعدم القطع والتعيين بصحة أى من هذه الأقوال.

---

١ تفسير أبى السعود جـ ٤ ص ١٩٩.
٢ انظر البداية والنهاية جـ ١ ص ١٠١.
٣ ميزان الأعتدال للذهبى ص ١٧٥/٤.

وعليه فالصواب من القول أن نرد ذلك إلى العليم الخبير ، ونعفى أنفسنا من الدخول فى تفاصيل شئ لا ينفع علمه ، ولا يضر جهله.

ومثل ذلك يقال فيما ذكره أبو السعود من أن نوحا عليه السلام عاش بعد الطوفان ستين عاما ، إذ إن ذلك مما سكت عنه القرآن الكريم بينما أخبر عن المدة التى لبثها فى قومه قبل الطوفان لما فيها من بيان العبرة والصبر على مشاق الدعوة إلى الله تعالى وتبليغ رسالته إلى خلقه .

حجم سفينة نوح وما قيل بشأن الفلك

الرأى الصحيح

إن حجمها وأبعادها لم ينص عليها القرآن وإنما وصفت بأنها " الفلك المشحون" وبأنها " ذات ألواح ودسر" أى مسامير ، وإنما ذكر حجمها فى التوراة [1]

نقل أبو السعود خبرا مكذوبا أن شابا قال مت وأنا شاب ، ولكنى ظننت أنها الساعة، فمن ثمة شبت فقال حدثنا عن سفينة نوح ، قال : كان طولها ألفا ومائتى ذراع ، وعرضها ستمائة ذراع ، وكانت ثلاث طبقات ،

---

[1] اصنع لنفسك فلكا من خشب جفر تجعل الفلك مساكن وتطلية من داخل وخارج بالقار ص ٦ تكونين ، وهكذا تصنعه ثلاثمائة مائة ذراع يكون طول الفلك وخمسين ذراعا عرضه وثلاثين دراعا ارتفاعه الخ.

طبقة الدواب والوحوش ، وطبقة للإنس ، وطبقة للطير ، ثم قال عد بإذن الله تعالى كما كنت فعاد ترابا [١]

يذكر أبو السعود هذه الروايات الإسرائيلية ولا يعقب عليها بكلمة واحدة وكأنها صحت عنده ، أو هى وقائع مسلمة وحقائق صادقة .

١- أقول : إن ما ذكره أبو السعود بشأن الفلك ، من طولها وعرضها وارتفاعها ، وعدد طوابقها ، وأبوابها ، ومدة صناعتها ، ومن أى الأشجار كانت من الساج كما ذكر أو من الصنوبر كما ذكره ابن كثير عن ابن إسحاق ، وقال إنه نص التوراة لايعدو أن يكون من الإسرائيليات المروية عن أهل الكتاب التى عندهم فى كتبهم ، قال الحافظ ابن كثير : (وذكر محمد بن إسحاق عن التوراة : أن الله أمر – يعنى نوحا عليه السلام – أن يصنعها أى السفينة من خشب الساج ، وأن يجعل طولها ثمانين ذراعا ، وأن يطلى باطنها وظاهرها بالقار [٢]

وأما ما ذكر بشأن الفلك فيقول الله تعالى

﴿ واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾ [سورة هود أية ٣٧]

---

١ تفسير أبى السعود ٤/٢٠٥ -٢٠٦.

٢ تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٢٥٢.

عندما تعرض أبو السعود لتفسير هذه الآية الكريمة تحدث عن كيفية صناعة الفلك فقال ما نصه:

عن ابن عباس رضى الله عنهما لم يعلم كيفية صنع الفلك فأوحى الله تعالى إليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر .. قيل صنعها عليه السلام فى سنتين ، وقيل صنعها فى أربعمائة ، وكانت من خشب الساج وجعلت ثلاثة بطون ، جعل فى البطن الأولى الوحوش والسباع والهوام ، وفى البطن الأوسط الدواب والأنعام ، وفى البطن الأعلى جنس البشر هو ومن معه ما يحتاجون إليه من الزاد ، وحمل معه جسد آدم عليه السلام ، وقيل جعل فى الأولى الدواب والوحوش، وفى الثانية الإنس ، وفى ألأعلى الطير ، قيل كان طولها ثلاثمائة ذراع ، وعرضها خمسين ذراعا ، وسمكها ثلاثون ذراعا ، وقال الحسن : كان طولها ألفا ومائتى ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقيل : إن الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها ، فانطلق بهم حتى انتهى من كثيب من تراب ، فأخذ كفا من ذلك التراب فقال أتدرون من هذا ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال هذا حام بن نوح ، قال : فضرب بعصاه فقال : قم بإذن الله ، فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب ، فقال له عيسى عليه السلام ، أهكذا هلكت ، قال : لا أما كان يمكن لسيدنا نوح عليه السلام أن يصنعها من خشب الأشجار التى كانت موجودة بالفعل – وهذا ولا ريب – أيسر وأسهل عليه بدلا من معاناته مشقة غرس شجر الساج وتقطيعه وتعهده مدة كبيرة من الزمن استمرت مائة سنة كما ذكره ابن كثير ، ثم أى امتهان لجسد أبينا آدم عليه السلام ، بعد أن يجعله

نوح معترضا أى حاجزا بين الرجال والنساء أما كان يمكن لنوح أن يجد من الأخشاب ليجعل منها حاجزا بين الفريقين ، بدلاً من جسد أبينا آدم عليه السلام.

ولم يرتض الإمام الألوسي هذا الكلام فعقب عليه بما يفنده فقال (ويعارض هذا التقسيم ما روى من أن الطبقة السفلى للوحش ، والوسطى للطعام ، والعليا له عليه الصلاة والسلام) [١]

٢- وبخصوص المدة التى صنعت فيها السفينة ، ذكر لنا أبو السعود عن ابن عباس أن نوحا صنعها فى سنين ، وقيل فى أربعمائة سنة ، بينما ذكر ابن جرير الطبرى خبرا فى هذا الشأن يفيد أنها صنعت فى أربعمائة سنة قال : (حدثت عن ابن أبى روق عن الضحاك قال : سليمان الفراش عمل نوح السفينة فى أربعمائة سنة ، وأنبت الساج أربعين سنة حتى كان طوله أربعمائة ذراع والذراع إلى المنكب) [٢]

إن الإنسان يحار بين هذه الروايات المتعارضة وكذلك يحار بين هذه المرويات العديدة والمتناقضة التى تحدثت عن طول السفينة وعرضها ، وأن ذلك كان ثلاثمائة ذراع طولا ، وخمسين عرضاً كما هو مروى عن قتادة وعكرمة وابن عباس وغيرهم أو كان ذلك ألف ذراع ومائتى ذراع طولا فى ستمائة ذراع عرضا كما هو مروى عن الحسن وابن عباس فى قول آخر ،

---

[١] تفسير الألوسي جـ ١٢ ص ٥٣.

[٢] جامع البيان فى تفسير القرآن جـ ١٢ ص ٢٤.

أو أنه كان ثمانين ذراعا طولا ، وخمسين عرضا كما نقل عن الثورى ، أو أن الطول كان ستمائة ذراع بينما كان العرض ثلاثمائة كما جاء فى قول آخر للحسن ، أو أن عرض السفينة كان مائة ذراع أما الطول فكان مائتين على ما ذكره ابن كثير فى البداية والنهاية [١]

أقول : كل هذه الروايات لا يصح منها شئ ذلك أن تعارضها وتناقضها يذهب الثقة فيها جميعا ، ولا ندرى بأى من تلك المرويات نرفض ، وبأى منها نأخذ ونصدق؟ أبرواية ابن عباس ، أم برواية غيره ، إن هى فى حقيقة أمرها إلا اختلاق ، اختلقها اليهود وأضرابهم على توالى العصور ، وأسندوها إلى ابن عباس وغيره من الثقات وهم منها براء.

٣- وأما ما ذكره أبو السعود من أن الحواريين طلبوا من عيسى عليه السلام إحياء رجل يحدثهم عن السفينة ، وأنه أحيالهم حام بن نوح فحدثهم عنها فهو حديث منكر ، على ما نص عليه الذهبى فى الميزان [٢]

وهذا الحديث رواه ابن جرير الطبرى بسنده فقال : حدثنا القاسم قال : حدثنا الحسين قال : حدثنى حجاج عن مفضل بن فضالة عن على بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : " قال الحواريون لعيسى ابن مريم لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة فيحدثنا عنها...الخ [٣]

---

[١] البداية والنهاية جـ ١ ص ١١.

[٢] ميزان الأعتدال جـ ٤ ض ١٦٧.

[٣] جامع البيان فى تفسير القرآن جـ ١٢ ض ٢٢.

قال عنه الحافظ بن كثير " وهذا أثر غريب جدا" [١]

قلت وأغرب منه أن فى سنده المفضل بن فضالة ، وهو ابن أبى أمية القرشى ،وعلى بن زيد بن جدعان، وهو ابن أبى مليكة أبو الحسن القرشى ، واختلف فيهما رجال الجرح والتعديل فعن الأول قال ابن حجر : " بينما ذكره ابن حبان فى الثقات ، قال فيه ابن معين : ليس بذاك ، وقال الآجرى عن أبى داود بلغنى عن على أنه قال فى حديثه نكارة ، وقال النسائى ليس بالقوى [٢]

وعن الثانى : قال الذهبى : " وكان ابن عينية بضعفه ، وقال حماد بن زيد أخبرنا على بن زيد وكان يقلب الأحاديث وروى عن يزيد بن زريع قال : كان على بن زيد رافضيا ، وقال أحمد ضعيف وقال أحمد العجلى : كان يتشيع وليس بالقوى ، وقال البخارى وأبو حاتم لا يحتج به ..وقال ابن خزيمة لا أحتج به لسوء حفظه [٣] وتلك الأقوال من علماء الجرح والتعديل ، تذهب الثقة فى هذا الخبر ، وأغلب الظن عندى أنه موضوع على ابن عباس ، فما كان ابن عباس ليتحدث بمثل هذه الأباطيل، وليس يرتاب عاقل فى أن هذا الخبر من بقية أخبار بنى إسرائيل ، ولا يبلغ أن يكون شيئا.

---

١ البداية والنهاية جـ ١ ص١١٦

٢ تهذيب التهذيب جـ ١٠ ص ٢٧٣.

٣ ميزان الأعتدال فى نقد الرجال جـ ٣ ص ١٢٧ -١٢٨.

الرأي الصحيح

وإجمال القول في هذه المرويات أنها زائفة مدسوسة وكان الأولى بأبى السعود أن ينبه عليها ، أو ينزه كتابه عن ذكرها لأنها من باب الفضول في الكلام كما صرح بذلك الإمام الرازى فقال: بعد أن ذكر الأقوال التى جاءت فى صفة السفينة:

(وأعلم أن أمثال هذه المباحث لا تعجبنى ، لأنها أمور لا حاجة إلى معرفتها البتة ، ولا يتعلق بمعرفتها فائدة أصلا ، وكان الخوض فيها من باب الفضول ولا سيما مع القطع بأنه ليس ها هنا ما يدل على الجانب الصحيح ، والذى نعلمه أنه كان فى السعة بحيث يتسع للمؤمنين من قومه، ولما يحتاجون إليه ، ولحصول زوجين من كل حيوان لأن هذا القدر مذكور فى القرآن ، فأما غير ذلك القدر فغير مذكور [1] وأيضا يقول الألوسى فى هذا الصدد: (فالحرى بحال من لا يميل إلى الفضول أن يؤمن بأنه عليه السلام صنع الفلك حسبما قص الله تعالى فى كتابه ، ولا يخوض مقدار طولها وعرضها وارتفاعها ، ومن أى خشب صنعها، وبكم مدة أتم عملها إلى غير ذلك مما لم يشرحه الكتاب ، ولم تبينه السنة)

---

[1] تفسير الفخر الرازى جـ ١٧ ص ٢٣٢.

ويقول الإمام محمد عبده حين عرض لهذه المرويات التي جاءت في قصة نوح وفندها ، واعتبرها حشوا حشا به المفسرون تفاسيرهم فقال: (وأما ما حشا المفسرون به تفاسيرهم من الروايات في هذه القصة وغيرها عن الصحابة والتابعين وغيرهم ، فلا يعتد بشئ منه ، ولم يرفع شئ منه إلى النبي صلى الله عليه وسلم بسند صحيح ولا سند حسن إلى أن قال : وكل ذلك من الأباطيل الإسرائيلية المنفرة عن الإسلام)[1]

ما ذكر بشأن التنور وما قيل في عدد الناجين

قال تعالى ﴿ **حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل** ﴾ [سورة هود آية ٤٠]

عند تفسير هذه الآية الكريمة ذكر أبو السعود عدة أقوال في معنى التنور ومكانه فقال ما نصه : والتنور المخبز وهو قول الجمهور ، رويْ أنه قيل لنوح عليه السلام إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب ومن معك في السفينة فلما نبع الماء أخبرته امرأته فركب ، وقيل كان تنور آدم عليه السلام وكان من حجارة فصار إلى نوح وإنما نبع منه وهو أبعد شئ من الماء على خرق العادة ، وكان في الكوفة في موضع مسجدها عن يمين الداخل مما يلي باب كندة ، وكان عمل السفينة في ذلك الموضع أو في الهند ، أو في موضع بالشام يقال له عين وردة ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، وعكرمة

[1] تفسير المنار جـ ١٢ ص ٨٧.

والزهري أن التنور وجه الأرض ، وعن قتادة أشرف موضع في الأرض أي أعلاه ، وعن علي رضي الله عنه : فار التنور طلع الفجر.

وعندما تعرض لتفسير قوله تعالى " وما آمن معه إلا قليل " قال : قيل كانوا ثمانية نوح عليه السلام وأهله وبنوه الثلاث ونساؤهم. وعن إسحاق كانوا عشرة ، خمسة رجال وخمس نسوة ، وعنه أيضا أنهم كانوا عشرة سوى نساؤهم وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وأمرأة وأولاد نوح : سام وحام ويافث ، ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء[١]

القول الصحيح

ذكر أبو السعود أقوالا عديدة في معنى التنور ، لا يسلم منها غير الأول وهو الأوفق لما هو المعهود في لغة العرب ،وكان في إمكان أبي السعود أن يتخير من بين تلك الأقوال التي ذكرها ما تعرفه العرب من اللفظ عند إطلاقه وذلك لأن من المعروف عند العرب أن لفظ التنور إنما يطلق على المكان الذي يخبزون فيه الخبز قال صاحب اللسان : التنور: هو الذي يخبز فيه ...وهو في جميع اللغات كذلك [٢]

١ تفسير أبي السعود جـ ٢ص ٢٠٨.

٢ لسان العرب لابن منظور ١/ ٤٥٠.

على أن هذا القول يمكن أن يلتقى مع القول القائل أنه وجه الأرض، إذ لا منافاة بينها ، قال الإمام الطبرى بعد أن ذكر الأقوال التى ذكرها أبو السعود ، وأولى هذه الأقوال عندنا ..قول من قال : هو التنور الذى يخبز فيه ، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب ، وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عن العرب إلا أن تقوم حجة على شئ منه بخلاف ذلك ، وذلك أنه جل ثناؤه خاطبهم بما خاطبهم به لإفها مهم معنى ما خاطبهم به [١]

وهذا القول هو الذى يوافق عليه العقل.

ومما يؤيد فهمنا لهذا الرأى قول الإمام الرازى فى هذا الصدد : (الأصل حمل الكلام على حقيقته ، ولفظ التنور حقيقة فى الموضع الذى يخبز فيه ، فوجب حمل اللفظ عليه ، ولا امتناع فى العقل أن يقال : إن الماء نبع أولا من موقع معين ، وكان ذلك الموضع تنور) [٢]

أما باقى الأقوال التى قيلت فى معنى التنور ، فهى بمنأى عن الصواب ومن يتدبرها يجد أنها عارية عن الصحة تماما. ولهذا .. فقد استغربها الحافظ بن كثير حين عرض لها فى تفسيره فعقب عليها بقوله " وهذه أقوال غريبة "[٣]

---

١ جامع البيان فى تفسير القرآن جـ ١٢ ص ٢٥.
٢ تفسير الفخر الرازى جـ ١٧ ص ٢٢٤.
٣ تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٢٥٤.

قلت : أغرب منها قول مـن قـال : إن التنـور كـان لآدم ..فصـار إلـى نوح ، فهل كان التنور مقدسا إلى هذا الحد حتى يكون ميراثا يتوارثه الأنبياء

أما ما ذكره أبو السعود من أقوال تحدد مكان التنور ، فذلك أمر يحتاج إلى دليل ، ولا ينفع معه التخمين بالرأى ، وأنه لا بد فيـه مـن خـبر صـادق ، أما وأنه افتقد ذلك ، فلا يعول على ما قيل ، ولا يقام له وزن .

وخلاصة القول فى هذا الموضوع

أن فوران التنور كان علامة لهلاك القوم ، أوحـى اللـه بهـا إلـى نـوح عليه السلام ليعلم أن ساعة القصاص قد حانت ، وعنـد وقوعهـا يركـب الفلـك هو ومن أمر بحملهم معه، وهذا هو الذى يفهم من نص القرآن ، على ما هـو معروف عند العرب أن العلامة كانت فوران الماء.

قال الفخر الرازى (والذى روى أن فوران التنور كانت علامة لهلاك القوم لا يمتنع لأن هذه واقعة عظيمة ، وقد وعد الله المؤمنين النجاة ، فلا بـد وأن يجعل لهم علامة بها يعرفون الوقـت المعيـن فـلا يبعـد جعـل هـذه الحالـة علامة لحدوث هذه الواقعة ..)[1]

وأما ما قيل فى عدد الناجين فقد ذكر أبو السعود فى تفسيره عند ختـام هذه الآية روايات مختلفة فى عدد الناجين مع نوح عليـه السـلام نوردهـا كلهـا ولا نعتمد شيئا منها ، ذلك أنه لا يوجد دليل واحد على صحة أى منها.

---

[1] تفسير الفخر الرازى ٢٣٥/١٧.

ونحن نستغرب من أبي السعود وغيره من المفسرين ولوعهم بذكر هذه المرويات حتى رووا عن ابن عباس وحده في هذا الصدد خمس روايات ذكر ابن الجوزي (أن نوحا عليه السلام حمل معه ثمانين إنسانا وبنيه الثلاثة ، وثلاث نسوة لبنيه وامرأته ، وفي رواية أخرى أنهم كانوا ثمانين رجلا معهم أهلوهم ، كما ذكر في رواية أنهم كانوا أربعين، ثم في رواية غير ما تقدم أنهم كانوا ثلاثين [1]

وأقول : إن الله تبارك وتعالى وصف من آمن مع نوح ، وهم الذين نجوا من الغرق بأنهم قلة فقال : " وما آمن معه إلا قليل " ولم يبين لنا عدد هذه القلة ، كما لم يثبت عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم أنه تعرض لها ببيان ، فلم التعرض إذن والخوض في حقيقة أمر أبهمه القرآن وأطلق عليه أنه قليل.

ثم إن القول بتحديد عددهم فيه مخالفة لظاهر النص كما قال الحافظ ابن كثير " وهذا القول فيه مخالفة لظاهر الآية ، بل هي نص في أنه قد ركب من غير أهله طائفة ممن آمن به كما قال﴿ **ونجني ومن معي من المؤمنين** ﴾ [سورة الشعراء أية ١١٨]

---

[1] زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١٠٦/٤ ، ١٠٧.

القول الفصل في هذه المسألة

هو ما قاله إمام المفسرين وشيخهم ابن جرير الطبرى : (والصواب من القول فى ذلك أن يقال كما قال الله تعالى " وما آمن معه إلا قليل" يصفهم بأنهم كانوا قليلا ولم يحدد عددهم بمقدار ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح ، فلا ينبغى أن يتجاوز فى ذلك حد الله إذ لم يكن لمبلغ عدد ذلك حد من كتاب الله أو أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [1]

هل عم الطوفان الكرة الأرضية أم لا؟

ذهب بعض العلماء إلى عمومه ، ويقول بعض علماء الجيولوجيا : إننا كلما بحثنا فى أعالى الجبال وجدنا بقايا حيوانية من الأحياء التى لا تعيش إلا فى الماء ، وهذا يستدعى وجود طوفان على هذه الجبال بل عدد من الطوفانات لوجود الاختلاف فى عمر هذه البقايا ، فلا مانع من أن يكون طوفان نوح أحدها ويكون قد عم.ويستأنس لذلك بقوله تعالى﴿**وجعلنا ذريته هم الباقين**﴾

وذهب فريق آخر إلى أن الطوفان لم يكن عاما بل طغيان الماء كان على الجهة التى كان يسكنها نوح وقومه ، وأما بقية بقاع الأرض فلم يعمها هذا الطوفان.

---

[1] جامع البيان فى تفسير القرآن جـ ١٢ ص٢٧.

ويستأنس لذلك بأن الهند كانوا يزعمون أن عمران بلادهم يمتد في الماضي إلى تاريخ أبعد من الذى قدرته التوراة لنوح وطوفانه ، وأن عمرانهم متصل من أعمق أجيال التاريخ إلى اليوم ، وأنتم تعلمون أنى غير واثق من التاريخ الذى تقدره التوراة ، فربما كان نوح أبعد من ذلك بعدا يشمل ما يدعيه أهل الهند.

وعلى كل حال فالمسألة ليس فيها نص من القرآن ، بل كل ما فيه من هذه الناحية أن قوم نوح كفروا وعصوا الرسول فأغرقهم الله بالطوفان ونجى نوحا ومن معه في الفلك ، وجعل ذريته الباقين ، فالعموم محتمل ، والخصوص محتمل والذى أميل إليه أن يكون خاصا، وأن النوع الإنسانى لم يكن منتشرا في جميع الكرة بل كانوا منحصرين في الناحية التى عمها الطوفان ، وأنهم قد هلكوا وبقى نوح وذريته.

أين جبل الجودى الذى استوت عليه سفينة نوح ؟

إن جبل الجودى في نواحى ديار بكر من بلاد الجزيرة ، وهو يتصل بجبال أرمينية قال في القاموس المحيط : الجودى جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح عليه السلام ، ويسمى في التوراة أراراط[1]

هل كان ابن نوح ابنه حقيقة ؟

---

[1] قصص الأنبياء ص ٥٢-٥٣.

ظاهر القرآن أنه ابنه حقيقة ، وإنما نفى كونه من أهل نوح ، لأن النجاة إنما تكون للمؤمن فأخذ نوح بظاهر قوله تعالى " إنا منجوك وأهلك " وغفل عن شرط النجاة وهو الإيمان بنبوة نوح ، وما جاء به من الحق ، وأن الأهلية الحقيقية تكون معدومة الثمرة مع الكفر ، ومجانبة الإيمان ومخالفة الداعى إليه ، وهذا هو الرأى الصحيح .

وقال آخرون : إنه كان ابن امرأته من غيره ، ولم يكن ابنا حقيقيا له ، بل كان ربيبا نشأ على أن يناديه نوح بلفظ ابنه ، وكان كافرا ، وظن نوح أن وجوده فى حجره يدخله فى أهله الذين وُعِد من الله بنجاتهم.

وقال غيرهم إنه كان من الزنا ونوح لا يعلم بذلك ، ويستأنسون لذلك بقوله تعالى ﴿ **إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح** ﴾ وبقوله تعالى ﴿ **ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين**﴾ [سورة التحريم آية ١٠]

وهذا أمر مستبعد جدا أن تكون امرأة أحد الأنبياء زانية

إبرهيم عليه السلام

هو إبرهيم خليل الله بن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج ابن عابر بن شالح بن ارفخشاذ بن سام بن نوح عليه السلام.

هذا هو نسبه الموجود فى التوراة والتواريخ ، وقد جاء فى الكتاب الكريم ﴿ **وإذ قال إبرهيم لأبيه أزر أتتخذ أصناما آلهة** ﴾ [سورة الأنعام آية ٧٤]

اختلف المفسرون فى اسم أبى إبرهيم ، فقال بعضهم إن لفظ (آزر) فى الآية بدل من لفظ (أب) فى أبيه ويكون مقول القول " أتتخذ اصناما آلهة

وقال آخرون : اسمه تارح وأن لفظ آزر كلمة ذم فى نعته ومعناه أعرج قاله السهيلى فى التكملة .

وقال آخرون : إن معناه الخاطئ والخزف ، وفى التكملة (يا مخطئ يا خرف)

وقيل معناه : يا شيخ ، أو هى كلمة زجز عن الباطل [1]

أقول : بعيد جدا فى نظرى أن يكون إبرهيم عليه السلام قد واجه أباه بكلمات فيها تحقير أو عيب أو زجر كأعرج ، وخرف ، ومخطئ ، لأن والد إبرهيم عليه السلام لما هدده بقوله ﴿ **أراغب أنت عن آلهتى يا إبرهيم لئن لم**

---

[1] تارج العروس جـ ٣ ص ١٢.

لتنته لأرحمنك واهجرنى مليا﴾ [سورة مريم آية ٤٦] لم يكن له جواب على هذه الجفوة القاسية ، وهذا التهديد العنيف إلا أن قال لأبيه ﴿ **سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفيا﴾** [سورة مريم آية ٤٧]

وقال آخرون : إن تارح اسمه العلم وأن آزر وصف له كما قال البيضاوى .

أقول : إذا صح أن والد إبرهيم كان له اسم علمى واسم وصفى يكون معناه القوى أو الناصر أو المعين ، لأن لفظ آزر من الأزر أى القوة والنصر والعون ، ومنه الوزير أى المعين [١]

وقد جاء فى دائرة المعارف الإسلامية ما نصه (آزر اسم أبى إبرهيم فى القرآن سورة الأنعام الآية ٧٤ ويظهر أن فى هذا بعض الخلط لأن اسم آزر لم يرد مطلقا على أنه أبو إبرهيم فى غير هذا الموضع ، كما أن تارح أو تارخ قد ورد فى روايات بعض المؤرخين والمفسرين من المسلمين على أنه أبو إبرهيم أيضا ولذلك لجأوا إلى التحايل للتوفيق بين هاتين الروايتين ، ولكن هذا التحايل لا قيمة له.

---

[١] تاج العروس جـ٣ ص ١١.

الرأى الصحيح

هو أن آزر اسم صنم كان يعبده تارح والد إبرهيم وكان سادنا له ، وروى عن مجاهد في قوله تعالى " آزر أتتخذ أصناما" قال : لم يكن بأبيه ولكن آزر اسم صنم ، فموضعه نصب على إضمار الفعل والتلاوة كأنه قال : وإذ قال إبرهيم أتتخذ آزر إلهاً أى أتتخذ أصناما آلهة.

وقال الصنعانى : أتتخذ آزر إلهاً ، ولم ينصب بإتخاذ الذى بعده لأن الاستفهام لا يعمل فيما قبله ولأنه قد استوفى مفعوله [1] وقد نقل المرحوم أحمد زكى عبارة تاج العروس فى أول كتابه وقال : وهذا القول الذى قاله مجاهد أولى الأقوال عندى بالقبول، وعلى ذلك يكون والد إبرهيم لم يذكر باسمه العلمى فى القرآن الكريم ، ومما يستأنس له بأن آزر اسم إله أننا نجد فىالآلهة القديمة عند المصريين الإله أزوريس ومعناه الإله القوى المعين وقد كانت الأمم السالفة يقلد بعضهم بعضا فى أسماء الآلهة

كلام المفسرين عد قوله تعالى " قالوا حرقوه"

قال تعالى :﴿ **قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين ، قلنا يانار كونى بردا وسلاما على إبرهيم** ﴾ [سورة الأنبياء آية ٦٨- ٦٩]

---

[1] قصص الأنبياء ٩٣- ٩٦ بتصرف.

عند تفسير الآية الأولى قال أبو السعود : قيل القائل نمرود بن كنعان ابن السنجاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح ، وقيل : رجل من أكراد فارس اسمه هيون ، وقيل : هدير خسفت به الأرض ، روى أنهم لما أجمعوا على إحراقه عليه السلام بنوا له حظيرة بكوشى قرية من قرى الأنباط ، وذلك قوله تعالى:﴿**قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم**﴾ [سورة الصافات آية ١٧]

فجمعوا له أصلاب الحطب من أصناف الخشب مدة أربعين يوما فأوقدوا نارا عظيمة لا يكاد يحوم حولها أحد حتى أن كانت الطير لتمر بها وهى فى أقصى الجو فتحترق من شدة وهجها ولم يكد أحد يحوم حولها فلم يعلموا كيف يلقونه عليه السلام فيها ، فأتى إبليس وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ، وقيل صنعه لهم رجل من الأكراد فخسف الله به الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ، ثم عمدوا إلى إبرهيم عليه السلام فوضعوه فيه مغلولا فرموا به فيها ، فقال له جبريل عليه السلام .

هل لك حاجة ؟ قال : أما إليك فلا ، قال : فاسأل ربك ، قال :حسبى من سؤالى علمه بحالى ، فجعل الله تعالى ببركة قوله الحظيرة روضة.

وعند تفسيره للآية الثانية قال : روى أن الملائكة أخذوا بقميص إبرهيم عليه السلام وأقعدوه على الأرض فإذا عين ماء عذب ، وورود حمر ، ونرجس ، ولم تحرق النار إلا وثاقه.

وروى أنه عليه السلام مكث فيها أربعين يومـا أو خمسين وقـال : مـا كنت أطيب عيشا منى إذ كنت فيها. قال ابن يسار : وبعـث اللـه ملـك الظـل فقعد إلى جنبه يؤنسه ، فنظر نمرود من صرحه فأشرف عليه فرآه جالسا فـى روضة مورقة ، ومعه جليس على أحسن ما يكون من الهيئـة والنـار محيطـة به ، فناداه يا إبرهيم : هل تستطيع أن تخرج منها ، قال نعم . قال: فقم فاخرج ، فقام يمشى فخرج منها ، فاستقبله نمرود وعظمـه ، وقـال مـن الرجـل الـذى رأيته معك؟

فقال : ذلك ملك الظل أرسله ربى ليؤنسنى ، فقـال : إنـى مقـرب إلـى إلهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك، فقال عليه السـلام : لا يقبل الله منك ما دمت على دينك هذا ، قـال : لا أسـتطيع تـرك ملكـى ولكـن سوف أذبح أربعة آلاف بقرة فذبحها وكـف إبرهيم عليـه ، وكـان إذ ذاك ابـن ست عشرة سنة ، وهكذا كما نرى من أبدع المعجزات [١]

بيان الدخيل

ويتناول عدة نقاط نبينها على النحو التالى :

أولاً

مـا ذكـره أبـو السـعود عن النمـرود مـن أنـه (نمـرود بـن كنعـان بــن السنحاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح) يخالف ما ذكره ابـن كثـير

[١] تفسير أبى السعود جـ٦ ص ٧٦- ٧٧.

فى كتابه البداية والنهاية عن مجاهد أنه النمرود بن كنعان بن كوش بن سام ابن نوح [١]

وقال ابن الأثير : إن هذا النسب هو قول المفسرين وغيرهم من علماء النسب والأخبار ، وقد اختار هذا القول من المفسرين ، الإمام فخر الدين الرازى ، ومن المؤرخين ابن الأثير وهو الظاهر [٢]

ثانيا

ما ذكره من اختلاف الروايات فيمن قال لهم حرقوه ، هل قائل هذه المقالة هو النمرود ، أو هو من أكراد فارس ، اسمه ميون ،أو اسمه هيرز كما جاء فى القرطبى [٣] أو هو هدير ..أو هو غير ذلك؟

روايات متباينة فى تعيين القائل وفى ذكر اسمه فى كتب التفسير ، لانرى لذكرها من سبب إلا تضييع الوقت فيما لا يفيد.

قال الألوسى : وفى البحر أنهم ذكروا له اسما مختلفا فيه لا يوقف منه على حقيقة[٤] قلت : وماذا يفيدنا تعيين قائل هذه المقالة ، وبأى الأسماء كان يسمى ؟

---

١ البداية والنهاية جـ ١ ص ١٤٨.
٢ الكامل فى التاريخ لابن الأثير جـ ١ ص ١١٦ وتفسير الفخر الرازى جـ ٢٢ ص ١٨٧.
٣ تفسير القرطبى جـ ٥ ص ٤٣٤.
٤ تفسير الألوسى جـ ١٧ ص ٦٨.

وماذا علينا لو توقفنا عند النص القرآنى ؟

القرآن الكريم يقول : " قالوا حرقوه " أى قال بعض قوم إبرهيم لبعض حرقوا إبرهيم بالنار، وانصروا آلهتكم إن كنت فاعلين ، وعلى ذلك جرى جمهور المفسرين.

القول الصحيح

إن القول بتعيين القائل أو بذكر اسمه من الدخيل الذى يجب أن نغض النظر عنه ، ولذا فعلينا أن نلتزم بما أجمله القرآن ، دون تزيدات ما أنزل الله بها من سلطان.

ثالثاً

ما أورده أبو السعود من أنهم حين قرروا حرق الخليل إبرهيم عليه السلام بنوا له حظيرة لإلقائه فيها ، ولذلك جمعوا أصلاب الحطب لمدة أربعين يوما وجعلوا الخليل فى كفة المنجنيق بإشارة إبليس اللعين ، أو صنعه لهم رجل من الأكراد ، فخسف الله تعالى به الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ...إلخ فتلك أخبار لانملك دليلا ينهض بصحتها ، ومثل ذلك لا يعرف إلا عن طريق ثقة ، رأى ذلك بنفسه ، أو خبر معصوم ، وحيث لا يوجد هذا ولا ذاك ، فما قيل من أخبار فى هذا الصدد ، إنما هو من قبيل مالا يصدق ، ولا يكذب على أن الأخبار التى ذكرها أبو السعود دون أن يعزوها لقائل إنما هى من رواية محمد بن مروان السدى ، ومقاتل بن

سليمان البلخي المفسر، على ما ذكره الإمام ابن جرير الطبرى والحافظ بن كثير ، والإمام الرازى فى تفاسيرهم[١] ويمنع من قبول أخبارهما أنهما متهمان بالكذب من قبل علماء الجرح والتعديل.

الأول:

كذاب كما قال ابن نمير، وقال صالح بن محمد:كان يصنع الحديث [٢]

الثاني:

مثله كما قال وكيع ، وقال البخارى :سكتوا عنه ، وقال النسائى : يصنع الحديث [٣]

ومن ذلك يتضح عدم الثقة فيما أورداه من أخبار ، إذ أن أغلب الظن يتجه بروايتهما إلى المصدر الإسرائيلي والنقل عنه .

رابعاً

أما الخبر الذى أورده أبو السعود ، وهو أن إبرهيم عليه السلام حين ألقي في النار ، عرض له جبريل عليه السلام فقال: ألك حاجة ؟ قال أما إليك فلا ، قال جبريل عليه السلام : فاسأل ربك . قال : حسبى من

١ جامع البيان جـ ١٧ ص ٣٢ ، ٣٣ وتفسير ابن كثير جـ٥ ص ٣٤٥ الخفر الرازى جـ٢٢ ص ١٨٧.

٢ تنزيه الشريعة جـ١ ص ١١٣.

٣ الضعفاء والمتروكين للدار قطنى ص ١٦٤.

سؤالي علمه بحالي ، فقد رواه ابن جرير الطبري عن معتمر بن سليمان عن بعض أصحابه ، وفي سنده جهالة [1] والحافظ ابن كثير ، لكن بقوله ذكر بعض السلف [2]

وذكره الشيخ العجلوني في كشف الخفاء من رواية البغوي عن كعب الأخبار [3]

وذكره كثير من المفسرين عن أبي بن كعب موقوفا عليه ، ومن ثم يبدو لي – والله أعلم – أنه من الإسرائيليات ، ولا أصل له في المرفوع، وقد أورد ابن عراق في تنزيه الشريعة ، ثم عقب عليه بقوله قال ابن تيمية : موضوع [4]

القول الصحيح هو أن الخبر لا يصح ، لأنه يشير إلى ترك الدعاء، مع أن الدعاء مخ العبادة ، وقد جاءت النصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية ، بالأمر به ، والحض عليه ، والله أعلم.

---

1 جامع البيان جـ ١٧ ص ٣٤.
2 تفسير ابن كثير جـ ٥ ص ٣٤٥.
3 كشف الخفاء جـ ١ص ٤٣٧.
4 تنزيه الشريعة جـ ١ ص ٣٥٠.

خامسا

وأما ما أورده من أن الملائكة أخذوا بضبعي [١] إبرهيم فأجلسوه على الأرض ، فإذا عين ماء عذب وورود ، وخلافه ، وأن النار لم تحرق إلا وثاقه ، وأن مكثه فيها كان أربعين يوما أوخمسين...ألخ.

فيجاب عنه بأنه لا مانع من ذلك غير أنه يتوقف على نقل صحيح، وحيث لا يوجد ذلك ، فنحن فى حل من مثل هذه الروايات وإذا علمنا أنها من رواية السدى ، وكعب الأحبار ، ووهب بن منبه كما جاء فى كتاب زاد المسير ، وغيره من التفاسير [٢]

فقد استبان بما لا يدع مجالا للشك أنها من أخبار بنى اسرائيل التى يذكرها الرواة عن أهل الكتاب ، وموقفنا منها يكون من قبيل ما لايصدق ولا يكذب وحسب المسلم أمام هذا الأمر الجلل (وهو إلقاء إبرهيم فى النار) الوقوف أمام قدره الله عز وجل ، وقد تجلت بإكبار وإجلال فى نجاة الخليل إبرهيم عليه السلام من النار، وجعلها بردا وسلاما عليه.

---

١ الضبع بسكون الباء : العضد.

٢ زاد المسير جـ ٥ ص ٣٦٧ وتفسير ابن كثير جـ ٥ ص ٣٤٦.

سادساً

بقى القول فيما ذكره أبو السعود عن ملك الظل الذى أرسله الله إلى إبرهيم ليؤنسه فى محنته ، وأن النمرود أشرف عليه من صرحه رآه جالسا معه على أحسن هيئة فناداه يا إبرهيم هل تستطيع الخروج من النار؟ قال : نعم . قال فاخرج ، فخرج منها فقام يمشى فاستقبله نمرود وعظمه وسأله عمن كان معه ، قال ملك الظل ، فقال لأقربن لإلهك قربانا لما رأيت ، فقال عليه السلام لا يقبله منك ما دمت على دينك ، قال : لا أستطيع تركه ولكن سوف أذبح له أربعة آلاف بقرة فذبحها ، وكف عن إبرهيم... إلا غيرذلك من روايات إسرائيلية ، لا تصح فى نظر العقل ، ولا يؤيدها أثر صحيح على أن أسطورة ملك الظل التى اختلقها القصاصون ،مصدرها الحقيقى محمد بن السائب الكلبى ، على ما نص عليه الإمام القرطبى فى تفسيره [١]

والكلبى كذاب متروك لا يعتمد عليه [٢]

وكان يكفى فى إبطال هذه الرواية نسبتها إليه ، ولكن القصاصين ، ومن تبعهم من المفسرين جاءوا من ذلك بغير ما قصه الله علينا فكل هذه الروايات خرافات إسرائيلية بثها زنادقة اليهود فى المسلمين ليشوهوا عليهم

---

[١] تفسير القرطبى جـ ٥ ص ٤٣٤.

[٢] الضعفاء والمتروكين للدار قطنى ص ١٥١.

دينهم وعقيدتهم ، وقد فطن لذلك بعض المفسرين ، فلم يقيموا لها وزنا ، بل نبهوا على بطلانها ، وكشفوا عن زيفها.

ومن هؤلاء الأعلام ، صاحب أضواء البيان الذى قال : (وذكروا فى القصة أن نمرود أشرف على النار من الصرح ، فرأى إبرهيم جالسا على السرير ، يؤنسه ملك الظل ، فقال : نعم الرب ربك لأقربن له أربعة آلاف بقرة ، وكف عنه ، وكل هذه من الإسرائيليات ، والمفسرون يذكرون كثيرا عنها فى هذه القصة وغيرها من قصص الأنبياء)[1]

قلت : وهو الصواب ، وكان الأولى والأفضل الاقتصار على ما أجمله القرآن ، كما أشار إلى ذلك أبو حيان.

أما الدخول فى تفاصيل لم يرد بها قرآن ، ولا نقل صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يجوز الخوض فيها ، ولا ينبغى النظر إليها ، إذ لا نفع بها ، ولا جدوى تذكر من ورائها والله أعلم.

[1] أضواء البيان فى إيضاح القرآن للشنقيطى جـ٤ ص ٥٨٩.

لوط عليه السلام

هو لوط بن هاران أخي إبرهيم بن تارح ، آمن بإبرهيم واهتدى بهديه كما قال تعالى " فامن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي" وتبع لوط عمه إبرهيم في رحلاته فكان معه بمصر ، وأغدق عليه ملك مصر كما اغدق على إبرهيم ، فكثر ماله ومواشيه ، ثم افترق من إبرهيم عن تراض لأن الأرض لم تتسع لمواشيهما ، ونزل إلى سدوم في دائرة الأردن.

أهل سدوم

كان أهل سدوم ذوى أخلاق رديئة لا يستحيون من منكر يفعلونه ، ولا يتعففون عن معصية يأتونها على رءوس الأشهاد ، كما قال على لسان لوط وهو يحظهم وينهاهم " وتأتون في ناديكم المنكر"

وقد كان أهل سدوم يتربصون لكل داخل لمدينتهم من التجار ، يجتمعون عليه من كل أوب ، ويمدون أيديهم إلى بضاعتهم ، يأخذ كل واحد منها شيئا قليلا حتى لا يبقى في يده ، فإذا جلس ، جلس حزينا وجأر بالشكوى ، يأتي الواحد منهم ويقول : كل هذا لأني أخذت منك الشئ اليسير؟ دونكه . فيقول ما عسى أن ينفعني ما جئت به بعد أن ذهبت بضاعتي ، اذهب عني بهذا الذى جئت به ، فإذا انصرف جاء أخر بشئ تافه ، يريد رده عليه فيتركه

الرجل لزهادة ما أتى به وينصرف ،وهكذا يخسر الرجل بضاعته بتفرقها في الأيدى الكثيرة ، فهم كما قال الله تعالى " وتقطعون السبيل"

ظلم أهل سدوم

ومن دلائل ظلمهم واستغراقهم فيه ، أن سارة زوج إبرهيم أرسلت لعازر كبير عبيد إبرهيم ليأتيها بسلامة لوط ، فلما دخل مدينة سدوم ، لقيه رجل من أهلها ، فعمد إلى لعازر بحجر ضربه به في رأسه فأسال منه دما كثيرا ، ثم تعلق به قائلا إن هذا الدم لو بقى لأضرّ بك ، فأعطنى أجرى ، ثم آل الأمر بينهم إلى الترافع إلى قاضى سدوم ، فلما سمع للخصمين حكم على لعازر بأن يعطى للسدومى أجر ما ضربه بالحجر وأسال دمه ، فلما رأى لعازر الجور من القاضى والخصم فى أمره ، عمد إلى حجر ضرب به رأس القاضى فأسال دمه ، وقال له الأجر الذى وجب لى عليك بإسالة دمك ، عليك أن تعطيه لضاربى السدومى جزاء ضربه إياى ، وإسالة دمى.

هذه الحكاية مع احتمال وضعها تفيدنا معرفة الفكر العام فى أحوال هؤلاء الناس ، وأنهم من الشر بحيث يصلحون أن تسند إليهم أمثالها

خوف إبرهيم على لوط عليهما السلام

إن الملائكة أخبرت إبرهيم عليه السلام أنهم ذاهبون للانتقام من قوم لوط الذين هم أهل سدوم وعامورة ، فخاف إبرهيم أن يمس لوط بأذى ، فأخبروه بأنه ناج هو ومن آمن معه، ثم أخبروه بأن وقوع العذاب بالقوم أمر

حتى لا تقبل فيه شفاعة ، ولا يغنى جدال ﴿**يا إبرهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وأنهم آتيهم عذاب غير مردود**﴾ [سورة هود آية ٧٦.]

قصة لوط كما ذكرها القرآن الكريم.

ذكرت قصة لوط بتمامها في عدة سور ، يكمل بعضها بعضها ، ونتلخص في أن قوم لوط كانوا من الشر بمكان ، وأنهم كانوا يقطعون الطريق على السابلة ، وقد ذهب الحياء من وجوههم ، فلا يستقبحون قبيحا ، ولا يرغبون في حسن كما قال الله تعالى حكاية عن لوط " وتأتون في ناديكم المنكر" وكانوا قد ابتدعوا من المنكرات ما لم يسبقهم إليه أحد من خلق الله ، وذلك أنهم كانوا يأتون الذكران من العالمين شهوة من دون النساء ، ويستعلنون بذلك ولا يستترون ، ولا يرون في ذلك سوءا أو قبيحا ، وأن لوطا قد وعظهم ونصحهم ونهاهم ، وخوفهم بأس الله تعالى ، فلم يأبهوا له ، ولم يرتدعوا ، فلما ألح عليهم بالعظات والإنذار هددوه تارة بالرجم ،وتارة بالإخراج من بينهم ، إلى أن جاء إلى لوط الملائكة ، وقد جاءوا إلى لوط بهيئة غلمان مرد حسان الوجوه ، فجاء أهل القرية إلى لوط طالبين ضيوفه ليفعلوا فيهم الفاحشة، وقد جهد لوط في ردهم وبالغ في ذلك حتى طلب إليهم أن يأخذوا بناته، فلم يصغوا إليه حينئذ التفت لوط إلى الملائكة وقال " لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد" أي لجاهدتهم بكم ، وأوقعت بهم ما يستحقون ، وكان لايعلم أنهم ملائكة إلى ذلك الحين ، وحينئذ أعلمه الملائكة بحقيقة أمرهم ، وأنهم جاءوا للتنكيل بأولئك القوم ، ولما حاول أهل القرية أخذ

أولئك الغلمان المردان بالقوة ، وهجموا على بيت لوط ، طمس الله أعينهم فلم يبصروا ولم يهتدوا إلى مكان يقتحمون منه عليه وعلى من معه، ثم أخرج الملائكة لوطا وابنتيه وزوجه من القرية ، وأمروهم ألا يلتفت منهم أحد ، وأن يحضروا حيث يؤمرون ، فصدعوا بالأمر إلا امرأته التفتت إلى القرية لترى ما يحل بها ، وكان هواها فى أهل القرية دون لوط ، فحل بها من السخط والعذاب ما حل بهم ، وكانت كافرة غير مؤمنة فأمطر الله عليهم حجارة من سجيل ، وقلبت ديار القوم ، وجعل عاليها سافلها.

وأعتقد أن البحر الميت المعروف الأن ببحر لوط وبحيرة لوط لم يكن موجودا قبل هذا الحادث ، وإنما حدث من الزلزال الذى جعل عالى البلاد سافلها ، وصارت أخفض من سطح بنحو أربعمائة متر ،وقد اكتشفوا آثار مدن قوم لوط على حافة البحر الميت [١]

<u>القول الصحيح في عرض لوط عليه السلام</u> بناته على هؤلاء الفسقة قال تعالى

﴿ قا ل إن هؤلاء ضيفى فلا تفضحون ، واتقوا الله ولا تخزون، قالوا أولم ننهك عن العالمين ، قال هؤلاء بناتى إن كنتم فاعلين﴾ [سورة الحجر آية ٦٨- ٧٢] إن لوطاً عرض على هؤلاء الفسقة بناته عرضا سابريا [٢] أى عرضا غيرمؤكد ، ولا يقصد به الجد ، وأن يعطيهم بنتيه للزنا ، ولكنه

١ قصص الأنبياء ص ١٤٦-١٤٨.

٢ السابرى هو بز صفيق النسج متلاحم وبائعه لا يلح فى عرضه ولا يزينه للمشترى.

عرض بنتيه اعتمادا على أنهم يستحيون منه ، ويخجلون لينكفوا عن خزايته في ضيفه ، كما تقول لرجل يضرب آخر وأنت تحجزه عنه دعه واضربني أنا ، لأنك تقول هذا القول وأنت جد واثق بأنه لا يضربك ، ولو علمت أنه يضربك حقيقة ما قلت هذا القول ، ولا تعرضت للشفاعة ، وهذا القول قد أورده كثير من المفسرين كأبى السعود ، والفخر الرازى ، والأصفهانى، وغيرهم .

أقوال غير لائقة

١- منها أن لوطا لم يعرض عليهم بناته الصلبيات ، وإنما عرض عليهم بنات القرية وهن أزواجهم ، لأن كل نبى أرسل إلى قوم فأولادهم أبناؤه ، ونسأوهم بناته مجازا ، إذ كيف يكون لوط أبا لهؤلاء الكافرات غير المؤمنات ، وكيف يعبر عنهن ببناتى ، وهن يأبين أبوته ، ويكفرنه ويجحدون نبوته ورسالته.

٢- إن الملائكة الذين طمع فيهم هؤلاء الفجرة كانوا ثلاثة ، ولا يعقل أن يكون كل واحد من أهل القرية الذين جاءوا إليه يزفون ، يأمل أن ينال حاجته منهم ، وأهل القرية يبلغون ألفا أو يزيدون ، ولكن المعقول أنه كان هناك رئيسان مطاعان أو ثلاثة فى القوم وهم الذين يطلبون الملائكة، وإنما عبر بأهل القرية لمظاهرتهم لهم حتى يتم مرادهم ، فعرض لوط على القوم بنتيه الصلبيتين ليأخذوهما بطريق التزوج لا على سبيل الزنا وهذا الجواب قابل لأن يحوز مكان القبول.

ما مرجع كاف الخطاب فى قوله " لو أن لى بكم قوة" ؟

١- إن مرجع كاف الخطاب إلى قومه الذين جاءوا يهرعون إليه ، والمعنى لو أجد قوة تمكننى من صدكم ، وإحلال النكال بكم.

٢- أو أن مرجع الخطاب هم الملائكة ، وعلى ذلك فإن لوطا تمنى لو كان عدد ضيفه كثير ليجد بهم قوة على مجاهدة قومه ، وكفهم والإيقاع بهم ، ولذلك ردوا عليه بقولهم ﴿ **يالوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك** ﴾ [سورة هود آية ٨١]

كرم أصله ورعايته للجار:

١- لقد دلت قصة لوط عليه السلام على كرم أصله ، ورعاية الجار والنزيل ، فقد أراد قومه سوءا بضيفه ، فقام يذب عنهم ، ويدافع أهل بلده دونهم ، وعرض بناته فدية لهم كراهة أن يخزوه فى ضيفه ، قال أبو السعود فى تفسيره لسورة هود (فإنه إذا أخزى ضيف الرجل أو جاره فقد خزى الرجل ، وذلك من عراقة الكرم ، وأصالة المروءة ، وظلم الجار إذلال المجير)

٢- تدل على أنه كان عظيم الإيمان مطمئن القلب به ، حتى أنه لم يحتج من عمه إلى معالجة ، وأنه فى سبيل الإيمان بالله تعالى قد رضى بأن يهاجر

من وطنه ، ويبتعد عن قومه مع علمه بأن النقلة مثلة ومشقة ، قال الله تعـالى " فآمن له لوط وقال إنى مهاجر إلى ربى"[١]

مجادلة إبرهيم عن قوم لوط

كان إبرهيم عليه السلام رجـلا رقيق القلب ، فلمـا علـم أن قـوم لـوط هالكون ، وأن الملائكة قادمون لإنفاذ الأمر فيهم . أخذته الشـفقة عليهـم فـأخذ يجادل فى شأن قوم لوط ، ويستنزل الرحمة بهم ، رجـاء أن ينظـر اللـه إليهـم نظر رحمة قال تعالى " فلما ذهب عن إبرهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنـا فى قوم لوط ، إن إبرهيم لحليم أواه منيب" وهذه المجادلة عنهم لم تفصـل فـى القرآن الكريم [٢]

وقال تعالى ﴿ **ولما جاءت رسلنا لوطا سئ بهم وضـاق بهـم ذرعـا وقال هذا يوم عصيب** ﴾

وقال تعالى ﴿ **فلما جاء أمرنا جعلنـا عاليهـا سـافلها وأمطرنـا عليهـا حجارة من سجيل منضود**﴾ [سورة هود الآيات ٧٤-٧٧-٨٢]

وعنـد تفسـير الآيـة الأولـى تحـدث أبـو السـعود عـن مجادلـة إبرهيـم الملائكة فقال : (ومجادلته إياهم هو أنه قال لهم حين قالوا له " إنا مهلكوا أهل

---

١ قصص الأنبياء ص ١٥٣.

٢ ولكنها فصلت فى سفر التكوين ص ١٨.

هذه القرية " أرأيتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين أتهلكونها؟ قالوا : لا .

قال فأربعون ؟ قالوا : لا . قال فثلاثون؟ قالوا : لا حتى بلغ العشرة، قالوا : لا . قال : أرأيتم إن كان فيها رجل مسلم أتهلكونها ؟ قال: لا . فعند ذلك قال " إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله"

وعند تفسيره للآية الثانية ، تحدث عن ذهاب الملائكة إلى لوط عليه السلام فقال : قال ابن عباس رضى الله عنهما : انطلقوا من عند إبرهيم عليه السلام وبين القريتين أربعة فراسخ ، ودخلوا عليه فى صور غلمان مرد حسان فلذلك " سئ بهم " أى ساءه مجيئهم لظنه أنهم أناس فخاف أن يقصدهم قومه ، ويعجز عن مدافعته عنهم ... روى أن الله تعالى قال للملائكة : لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات ، فلما مش معهم منطلقا بهم إلى منزله قال لهم : أما بلغكم أمر هذه القرية ، قالوا : وما أمرها؟ قال : أشهد بالله أنها لشر قرية فى الأرض عملا ، يقول ذلك أربع مرات ، فدخلوا معه منزله ، ولم يعلم بذلك أحد.

وعند تفسيره للآية الثالثة ذكر أن عدد قرى لوط كانت خمسا ، فقال : قرى قوم لوط ، وهى التى عبر عنها بالمؤتفكات خمس مدائن فيها أربعمائة ألف ألف.

ثم تحدث عن كيفية هلاك قوم لوط فقال : روى أنه جعل جبريل عليه السلام جناحه فى أسفلها ثم رفعها إلى السماء ، حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب ، وصياح الديكة ، ثم قلبها عليهم[1]

بيان الدخيل

أقول : ما ذكره أبو السعود بشأن العدد الذى جادل عنه إبرهيم الملائكة لا يعول عليه لما فيه من التناقض بين مروياته إذ أن رواية أبى السعود التى تذكر أن إبرهيم عليه السلام جادلهم فى عدد أقصاه خمسين ثم أخذ ينقص منه حتى بلغ عشرة فإنها تختلف مع العدد الذى ذكره ابن جرير الطبرى فى تفسيره من رواية السدى حيث ذكر أن إبرهيم جادلهم فى مائة من المسلمين ، ولم يزل يحط حتى بلغ عشرة ، وكذا من رواية ابن جريج أنه جادلهم فى مائة أيضا حتى هبط إلى خمسة[2]

بينما نجد الحافظ ابن كثير يذكر من رواية ابن إسحاق وآخرين أن مجادلة أبينا إبرهيم لهم كانت فى ثلاثمائة ، وما زال ينقص حتى بلغ معهم إلى مؤمن واحد [3]

ويذكر ابن عباس وغيره أن إبرهيم عليه السلام جادلهم فى أربعمائة

---

[1] تفسير أبى السعود جـ ٤ص ٢٢٧-٢٣٠.

[2] جامع البيان جـ ١٢ ص ٤٨ -٤٩.

[3] البداية والنهاية جـ ١ ص ١٧٩.

وأخذ ينقص منهم حتى بلغ أربعة عشر[١]

وهكذا نجد تعارضا وتضاربا واضحا فى تعيين العدد الذى جادل عنه إبرهيم الملائكة مما يدل دلالة واضحة على أن تلك الروايات إنما هى من اجتهاد الرواة.

ولذلك قال الإمام الألوسى فى التعقيب على ما ذكر [٢] (وروى نحو ذلك عدة روايات الله أعلم بصحتها)

على أن تلك المجادلة التى ذكرها المفسرون لم تفصل فى القرآن الكريم ولا فى سنة النبى العظيم محمد عليه أفضل الصلوات وأذكى التسليم ، وإنما فصلت فى الإصحاح الثامن عشر من سفر التكوين فقد جاء فيه (فتقدم إبرهيم وقال ، أفتهلك البار مع الأثيم ، على أن يكون خمسون بارا فى المدينة ، أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين الذين فيه ، حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر ، أن تميت البار مع الأثيم فيكون البار كالأثيم، حاشا لك؟ فقال الرب إن وجدت خمسين بارا فى المدينة فإنى أصفح عن المكان كله من أجلهم ، فأجاب إبرهيم وقال إنى شرعت أكلم المولى وأنا تراب ورماد ، ربما نقص الخمسون بارا خمسة أتهلك كل المدينة بالخمسة؟ فقال لا أهلك إن وجدت هناك خمسة وأربعين ، فعاد يكلمه أيضا وقال عسى أن يوجد هناك أربعون . فقال لا أفعل من أجل الأربعين . فقال لا يسخط المولى فأتكلم عسى

---

١ قصص الأنبياء ص ٩١.

٢ تفسير الألوسى جـ ١٢ ص ١٠٣.

أن يوجد هناك ثلاثون فقال لا أفعل إن وجدت هناك ثلاثين ، فقال إنى قد شرعت أكلم المولى ، عسى أن يوجد هناك عشرون ، قال لا أهلك من أجل العشرين ، فقال لا يسخط المولى فأتكلم هذه المرة فقط عسى أن يوجد هناك عشرة ، فقال لا أهلك من أجل العشرة.)

ومن ذلك يتضح أن ما ذكره المفسرون بشأن المجادلة إنما هو مأخوذ عن أهل الكتاب وعن التوراة.

والصحيح فى هذه المسألة

وحاصل المسألة – كما يبدو لى – أن القرآن الكريم لم يبين هنا ما جادل به إبرهيم والملائكة فى قوم لوط ، ولكنه أشار إليه فى العنكبوت بقوله ﴿ **قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين**﴾ [سورة العنكبوت أية ٣١ ، ٣٢.]

فحاصل جداله لهم أنه يقول: إن أهلكتم القرية وفيها أحد من المؤمنين أهلكتم ذلك المؤمن بغير ذنب ، فأجابوه عن هذا بقولهم " نحن أعلم بمن فيها " الآية [١] ومنه يفهم أن المجادلة كانت تعنى شخص نبى الله لوط عليه الصلاة والسلام والله تعالى أعلى وأعلم

[١] انظر أضواء البيان للشنقيطى جـ ٣ ص ٣١.

وأما ما ذكره أبو السعود من أن العذاب لم ينزل بهؤلاء القوم حتى شهد عليهم لوط عليه السلام أربع شهادات أنهم شر قوم عملا ، فذلك أمر يثير الدهشة والتساؤل (من كان هناك فشاهد هذه الأحداث ليشهد عليها الآن ؟ وهب أن لوطا عليه السلام لم يدل بشهادته – كما هو الزعم أنه شهد- فهل كان الرسل الذين أرسلهم الله لإهلاك الغابرين يعودون ، إلى حيث أتوا دون أن يقوموا بما كلفوا به ، وهم الذين قالوا لإبرهيم عليه السلام " إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين" وهل احتاج نزول العذاب بالأقوام الظالمين من غير قوم لوط إلى شهادة رسلهم أمام الملائكة عليهم بالظلم حتى يأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر)[1]

أقول : إن ما ذكره أبو السعود هنا بهذا الصدد سبقه إليه ابن كثير حيث أورده من رواية قتادة والسدى [2]

وعليه فالظن به أنه مأخوذ من أهل الكتاب ، وما أكثر ما عندهم من غرائب.

كذلك بالنسبة لعدد قرى قوم لوط ، حيث ذكر أبو السعود أنها كانت خمس مدائن.

وأقول : إن هذا كلام يحتاج إلى دليل يدل على صحته ، إذ أن ظاهر التنزيل يدل على أنها كانت قرية واحدة ، قال جلت قدرته " إنا مهلكوا أهل

[1] الدخيل فى تفسير القرطبى للدكتور أحمد الشحات ص ٢١٤.
[2] تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٢٦٦.

هذه القرية " وقال جلت حكمته ﴿ **إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون** ﴾ [سورة العنكبوت أية ٣١- ٣٤.] وخير ما يفسر به القرآن هو القرآن.

وأما ما ذكره أبو السعود فى كيفية هلاك قوم لوط من أن جبريل جعل جناحه فى أسفل القرية ثم رفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نبح الكلاب ، ثم قلبها عليهم ، دون أن ينسبه لقائل إنما هو من رواية السدى على ما ذكره ابن كثير فى التفسير ، وابن الجوزى فى زاد المسير [١]

وفى هذا دلالة واضحة على أنه من الإسرائيليات التى ينقلها الرواة عن أهل الكتاب .

وها هو صاحب فتح القدير يبين لنا أن ما ذكره المفسرون من روايات وقصص فى هذا المقام ، ليس فى ذكره فائدة ، وغالبه مأخوذ عن أهل الكتاب فيقول : (**وقد ذكر المفسرون روايات وقصصا فى كيفية هلاك قوم لوط طويلة متخالفة ، وليس فى ذكرها فائدة لا سيما وبين مَن قال بشئ من ذلك وبين هلاك قوم لوط دهر طويل ، لا يتيسر له فى مثله إسناد صحيح ، وغالب ذلك مأخوذ عن أهل الكتاب ، وحالهم فى الرواية معروف ، وقد أمرنا بأن لا نصدقهم ولا نكذبهم ، فاعرف هذا ، فهو الوجه فى حذفنا لكثير من هذه الروايات الكائنة فى قصص الأنبياء وقومهم**)[٢]

---

١ تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٢٧٢ وزاد المسير جـ ٤ ص ١٤٣.

٢ فتح القدير للشوكانى جـ ٢.

وحول هذا المعنى يقول صاحب تفسير المنار : (وفي خرافات المفسرين المروية عن الإسرائيليات ، أن جبريل عليه السلام قلعها من تخوم الأرض بجناحه ، وصعد بها إلى عنان السماء حتى سمع أهل السماء أصوات الكلاب والدجاج فيها ، ثم قلبها قلبا مستويا فجعل عاليها سافلها ، وهذا تصور مبنى على اعتقاد متصوره أن الأجرام السماوية المأهولة بالسكان مما يمكن أن يقرب سكان الأرض وما فيها من الحيوان ويبقون أحياء ، وقد ثبت بالمشاهدة والاختبار الفعلى ..أن الطيارات والمناضيد التى تحلق فى الجو تصل إلى حيث يخف ضغط الهواء ، ويستحيل حياة الناس فيها ، وهم يصنعون أنواعاً منها يضعون فيها من أوكسجين الهواء ما يكفى استنشاقه وتنفسه للحياة فى طبقات الجو العليا ويصعدون فيها ، وقد أشير فى الكتاب العزيز إلى ما يكون للتصعيد فى جو السماء من التأثير فى ضيق الصدر من عسر التنفس بقوله تعالى ﴿ **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء** ﴾ [سورة الأنعام آية ١٢٥]

(فإن قيل) إن هذا الفعل المروى عن جبريل عليه السلام من الممكنات العقلية ، وكان وقوعه من خوارق العادات ، فلا يصح أن يجعل تصديقه موقوفا على ما عرف من سنن الكائنات .

(قلت) : نعم ، ولكن الشرط الأول لقبول الرواية فى أمر جاء على غير السنن والنواميس التى أقام الله بها نظام العالم من عمران وخراب أن

تكون الرواية عن وحى إلهى نقل بالتواتر عن المعصوم أو بسند صحيح متصل الإسناد لاشذوذ فيه ولا علة على الأقل ولم يذكر فى كتاب الله تعالى ، ولم يرد فيه حديث مرفوع إلى نبيه صلى الله عليه وسلم ولا تظهر حكمة الله فيه وإنما روى عن بعض التابعين دون الصحابة ولاشك أنه من الإسرائيليات ومما قالوه فيها أن عدد أهلها كان أربعة آلاف وبلاد فلسطين كلها لا تسع هذا العدد فأين كان هؤلاء الملايين يسكنون من تلك القرى الأربع [1] والله تعالى أعلم .

[1] تفسير المنار جـ ١٢ ص ١١٤ ، ١١٥.

المراجع المساعدة

١- قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار.

٢- تفسير أبي السعود.

٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

٤- تفسير الفخر الرازي.

٥- الدر المنثور للسيوطي.

أسئلة التقويم الذاتي

س١ : بين الرأى الصحيح فى قصة إدريس عليه السلام ؟

س٢ : ما هو عُمْر نوح عليه السلام؟

س٣ : بين ما قيل بشأن التنور؟ وما هو القول الصحيح؟

س٤ : هل عم الطوفان الكرة الأرضية أم لا؟

س ٥ : أين جبل الجودى الذى استقرت عليه سفينة نوح؟

س٦ : هل كان ابن نوح ابنه حقيقة؟

س٧ : ما هو القول الصحيح فى قوله " قالوا حرقوه" ؟

س٨ : ما هو القول الصحيح فى عرض لوط عليه السلام بناته على الفسقة؟

س٩ : ما هو الصحيح فى مجادلة إبرهيم عليه السلام عن قوم لوط؟



الوحدة السادسة

المحتويات

١- الدخيل فى قصة يوسف عليه السلام.

٢- الدخيل فى قصة داود عليه السلام.

٣- الدخيل فى قصة سليمان عليه السلام.

الأهداف الخاصة

يتوقع منك أيها القارئ لهذه الوحدة أن تصبح قادرا على معرفة ما يلى:

١- معرفة الصحيح فيما دار بقصة يوسف عليه السلام.

٢- بيان ما دار بشأن داود عليه السلام.

٣- بيان ما دار بشأن سليمان عليه السلام.

يوسف عليه السلام

هو يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبرهيم عليهم السلام

كان يوسف جميل الصورة ، أثيرا عند أبيه ، يخصه بقسط عظيم من محبته . وكان ذلك سببا فى حقد إخوته عليه ، وسببا فى محنته التى كانت خيرا وبركه عليه وعلى الأمم القريبة من مصر وعلى مصر ، وذكر القصة يفيد أنه كان صغيرا ، ولكن التوراة تقول كان سنه سبع عشرة سنة ، وهذا غير معقول ، لأن من كان فى هذا السن يبعد أن يصنع معه ما صنع إلى يوسف.

وقد رأى فى منامه أن أحد عشر كوكبا والشمس والقمر سجدوا له، والذى فى القرآن الكريم يفيد أن قصة هذه الرؤيا على والده كان فى غيبة أخوته ، وأن أباه قال له : **﴿لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا ، إن الشيطان للإنسان عدو مبين ، وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ، ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبرهيم وإسحاق ، إن ربك عليم حكيم﴾**

وتفيد عبارة التوراة أن ذلك كان بحضرة إخوته ، وأن أباه انتهره على هذا القول ، وقال لعلنا نسجد لك أنا وأمك وأخوتك متهكما ، وما فى القرآن هو الحق.

رأى أبناء يعقوب من إيثار أبيهم ليوسف وحد به عليه ، مالم يكن لواحد منهم ، فغاظهم ذلك وهم فى عز الشباب ، وطيش الحداثة ، فأضمروا له الشر ، فقالوا لأبيهم " مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون ؟ أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون"

وكان يعقوب قد أحس الشر الذى يضمره بنوه لأخيهم ، ولم يشأ أن يعلمهم يتخوفه جانبهم فقال : " إنى ليحزننى أن تذهبوا به " ثم ترقى فى تعليل ظنه به قائلا " وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون" والله يعلم أنه يتخوف عداونهم على ولده أكثر مما يتخوف من عدوان الذئب.

لم يهتم أبناء يعقوب بجواب أبيهم ، بل أجابوه جوابا لا يبقى له علة يتشبث بها **﴿فقالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون﴾**

وهنا تخالف التوراة القرآن فى هذه القصة وتقول : إن يعقوب هو الذى أرسل يوسف إلى إخوته من تلقاء نفسه ليذهب إليهم فى المرعى ثم يعود ويطالعه بأحوالهم . وكانوا قد أبعدوا فلما جاء وعليه قميص مخطط قد جاء به والده قالوا قد جاء صاحب الأحلام لابس البجاد المخطط ثم ائتمروا به ما يصنعون ، ثم انتهوا إلى أن يلقوه فى الجب بعد أن يعروه من قميصه ولا يسفكوا دمه وأن يخبروا أباهم بأن مفترسا افترسه.

والقرآن على أنهم تسلموه من يد أبيه ، وذهبوا به ، وأجمعوا على أن يجعلوه فى غيابة الجب ثم جاءوا أباهم عشاء يبكون قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق (أى فى النضال بالسهام وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب

ولما كاد المريب يشعر من نفسه بالتهمة ، ويتخيل أن كل واحد قد اطلع على خبيئة أمره قالوا لوالدهم " وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ، وجاءوا على قميصه بدم كذب " فلم يخف عليه شانهم ، فأخذ القميص ، ولما لم يجد به تمزيقا ولا قطعا قال لهم متهكما ما أحلم هذا الذئب الذى افترس ولدى ، ولم يمزق عليه قميصه ، ولم يعمل فى قميصه نابا ولا ظفرا ، وقال لهم بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون[1]

ما ذكر بشأن الكواكب التى رآها ورؤيا أبيه ما يخاف عليه من

قال تعالى ﴿ **إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين** ﴾ [سورة يوسف آية ٤]

وقال تعالى : حكاية عن يعقوب عليه السلام ﴿ **قال إنى ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون**﴾[سورة يوسف آية ١٣]

عندما فسر الإمام أبو السعود الآية الأولى تعرض لذكر أسماء الكواكب التى رآها يوسف عليه السلام فى منامه ، فذكر فى ذلك حديثا مرفوعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما نصه : روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن يهوديا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أخبرنى يا محمد عن النجوم التى رآهن يوسف عليه السلام ، فأخبره بذلك فقال : نعم . قال صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتك بذلك هل تسلم؟

[1] قصص الأنبياء ص ١٥٥-١٥٦.

فقال : نعم . قال صلى الله عليه وسلم : جريان ، والطارق ، والذيال ، وذو الكنفات ، وقابس ، ووثاب وعمو ذان ، والفيلق ، والمصبح ، والضروح ، وذو الفرع ، والضياء والنور فقال اليهودى : أى والله إنها لأسماؤها [١]

وعندما تعرض أبو السعود لتفسير الآية الثانية ، ذكر أن السبب فى قول يعقوب ، وأخاف أن يأكله الذئب ، أنه رأى فى منامه أن الذئب شد على يوسف فلذلك خافهم عليه وقد لقنهم العلة " إن البلاء موكل بالمنطق"

وقيل إنه رأى فى منامه كأنه على ذروة جبل ، وكان يوسف فى بطن الوادى فإذا عشرة من الذئاب قد احتوشته تريد أكله ، قد راعته واحدا ثم انشقت الأرض فتوارى يوسف فيها ثلاثة أيام ، فكانت العشرة إخوته لما تمالئوا على قتله ، والذى دافع عنه أخوه الأكبر .. يهوذا ، وتواريه فى الأرض هو مقامه فىالجب ثلاثة أيام .

أقول : الحديث الذى ذكره أبو السعود فى أسماء الكواكب التى رأها يوسف عليه وكذلك ابن كثير ، وموضوع على ما نص عليه ابن الجوزى فى الموضوعات وقد قال رحمه الله بعد إيراده لهذا الحديث (فى كتاب الموضوعات ، وهذا حديث موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان واضعه قصد شين الإسلام بمثل هذا ..وذكر فى إسناده الحكم بن ظهير [٢]

[١] تفسير أبى السعود جـ ٤ ص ٢٥٢ وتفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٤٥٢، ٤٥٣.
[٢] الموضعات جـ ١ ص ١٤٦.

وقد أورد الهيثمى هذا الحديث فى مجمع الزوائد عن البزار ، وقال : فيه الحكم بن ظهير وهو متروك[١]

فمدار الرواية إذن على الحكم بن ظهير الفزارى ، وتضعفه الأئمة ، وتركه الأكثرون ، وقال الجوزانى : ساقط وهو صاحب حديث يوسف[٢]

وقال الذهبى فى الميزان : قال ابن معين : ليس بثقة ، وقال مرة : ليس بشئ ، وقال البخارى : منكر الحديث ، وقال مرة : تركوه [٣] ، وبحسبه سقوطا مقاله البخارى فيه " منكر الحديث" وتركوه " كما ذكر صاحب تنزيه الشريعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة هذا الحديث من رواية جابر ومن طريق سعيد بن منصور ، وقال محقق الكتاب عن هذا الحديث : إنه حديث منكر تقتضى نكارته الحكم بوضعه جزما ... وهو فى الحقيقة مأخوذ عن الإسرائيليات [٤]

أما ما ذكره أبو السعود من أن يعقوب عليه السلام رأى فى منامه ما يخاف منه على ولده يوسف فلا يستطيع أحد أن ينكر عليه إبداء مخاوفه على ابنه عندما عرض عليه إخوته أن يأخذوه معهم ، ولكن أى دليل على صحة

---

١ انظر كتابه جـ ٧ ص ٣١.

٢ تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٢٩٨.

٣ ميزان الأعتدال جـ ١ ص ٥٧١-٥٧٢.

٤ تنزيه الشريعة لابن عراق جـ ١ ص ١٩٤ بتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد.

ما ذكر من أن يعقوب عليه السلام رأى فى منامه أن الذئب شد على يوسف ؟ أو أنه رأى عشرة من الذئاب احتوشته وأن الأرض ابتلعته.

إن كل ذلك إلا إسرائيليات مدسوسة أوردها الثعلبى [١] فى العرائس وعزاه إلى ابن عباس رضى الله عنه وهو منها براء لأن يعقوب عليه السلام لو كان قد رأى ذلك فعلا لما وافق على إرساله معهم ، حيث أن رؤيا الأنبياء حق كما هو معلوم ولأنه يكون بذلك ملقيا بولده إلى التهلكة فتكون الرؤيا والحال هذه منذرة محذرة مما يكون من شأنه أن يحتاط على ولده الذى كان يحبه ويشفق عليه ، فلا يرسل به إلى حيث يتوقع عليه منه الضرر.

وقد عقب الإمام الألوسى رحمه الله على ما قيل بشأن هذه الرؤيا فقال ما نصه : (وأنا لم أجد لرواية الرؤيا مطلقا سندا يعول عليه ، ولا حاجة بنا إلى اعتبارها لتكلف الكلام فيها) [٢]

ما ذكر بشأن صنيع إخوته به

بعد أن ترك يوسف فى الجب (البئر) وكانت قليلة الماء جاءت سيارة (قافلة) فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه فى الجب فتعلق به يوسف لما نزع الدلو يحسبها قد امتلأت ماء ، فإذا غلام وسيم تعلق بها فاستبشر الرجل ، وقال يا بشرى هذا غلام.

[١] انظر قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس ص ٩٨.
[٢] تفسير الألوسي جـ ١٢ ص ١١٥.

ويقول المفسرون : إن الذين كانوا على الماء ادّعوا فى القافلة أنهم اشتروه من سادته . وأسروه بضاعة حتى وردوا إلى مصر وشروه أى باعوه بثمن بخس وكانوا فيه من الزاهدين .

وكثير من الناس حتى بعض العلماء يقولون إن إخوته هم الذين انتشلوه من الجب وباعوه للسيارة ، وعبارة التوراة لا تساعدهم ، ونظم القرآن لا يساعد على ذلك ، لأن ذكر السيارة ووارده ولم يعد إلى ذكر إخوة يوسف فى هذا المقام ، والذى فى التوراة أن إخوة يوسف بعد أن ألقوه فى الجب جلسوا للطعام ، ورأوا قافلة من الإسماعيليين تقصد مصر ومعهم الطيب ، وجاءت قافلة أخرى من المديانيين فسحبوا يوسف من البئر وباعوه للإسماعيليين ، وأن يهوذا أشار على أخوته ألا يتركوا يوسف فى الجب وأن يبيعوه ، ولما جاء راو إلى الجب لم يجد يوسف فمزق ثيابه وبكى ، وهذا كله ينفى ما اشتهر من أنهم باعوه ، والمفسرون ينقلون عن أهل الكتاب كثيرا مما لا أصل له ، قال تعالى﴿ **فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابت الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون**﴾[سورة يوسف آية ١٥]

عندما تعرض أبو السعود لتفسير هذه الآية الكريمة ، ذكر ما قاله الرواة من تحديد البئر التى ألقى فيها يوسف ، وما جاء بشأن إيذاء إخوته له فقال ما نصه : (فقيل هى بئر بأرض الأردن ، وقيل بين مصر ومدين، وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام بكنعان التى هى من نواحى الأردن ، كما أن مدين كذلك وأما ما يقال من أنها بئر بيت المقدس ، فيرده

التعليل بالتقاط السيارة ، ومجيئهم أباهم عشاء ذلك اليوم ، فإن بين منزل يعقوب عليه السلام وبين بيت المقدس مراحل وجاء فى التفسير : يروى أنهم لما برزوا إلى الصحراء أخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا : أما عاهدتمونى أن لا تقتلوه ، فأتوا به إلى البئر فتعلق بثيابهم فنزعوها من يديه ، فدلوه فيها ، فتعلق بشفيرها ، فربطوا يديه ونزعوا قميصه لما عزموا عليه من تلطيخه بالدم احتيالا لأبيه ، فقال يا إخوتاه ردوا علىّ قميصى أتوارى به ، فقالوا : ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكبا تؤنسك فدلوه فيها ، فلما بلغ نصفها ألقوه ليموت ، وكان فى البئر ماء فسقط فيه ، ثم أوى إلى صخرة فقام عليها وهو يبكى فنادوه ، وظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه ، فمنعهم يهوذا وكان يأتيه بالطعام كل يوم .

ويروى أن إبرهيم عليه السلام حين ألقى فى النار ، وجرد عن ثيابه أتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه ، فدفعه إبرهيم إلى إسحاق ، وإسحاق إلى يعقوب ، فجعله يعقوب فى تميمة وعلقها فى عنق يوسف فجاءه جبريل عليه السلام فأخرجه من التميمة فألبسه إياه)[1]

موقفنا من هذه الأقوال

أقول : أورد الإمام أبو السعود أقوالا أربعة متباينة فى تعيين البئر التى ألقى فيها يوسف عليه السلام ، فذكر أنها بأرض الأردن ، وقيل : بين

[1] تفسير أبى السعود جـ ٤ ص ٢٥٨.

مصر ومدين ، وقيل : بكنعان، وقيل : ببيت المقدس، ارتضى منها الثلاثة الأول ورد الرابع والأخير.

وأقول : كلها مردودة ، وليس هناك واحد أرجح من غيره ، إذ الأقوال كلها مجتمعة مفتقرة إلى دليل ، ولا دليل.

وما كلفنا الله عز وجل بتعيين الجب التى ألقى فيها يوسف عليه السلام إذ أن تحديدها لا تعود منه على المخاطبين فائدة ، ولو كان ..لذكرها القرآن ، كذلك لم يثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم خبر صحيح فيهذا الشأن ، فلم الخوض إذن فى أمر لا ينفع علمه ، ولا يضر جهله ، وأما ما ذكره أبو السعود من أن إخوة يوسف أمعنوا فى إيذائه ، ونكلوا به ، وما ذكر من تعلق يوسف بشفير البئر ، وتوسله إلى إخوته أن يردوا عليه قميصه ، وما ذكر أيضا من نزول جبريل عليه السلام ليلبسه قميص إبرهيم عليه السلام فما كل ذلك إلا إسرائيليات لا تصح فى نظر العقل ، ولا يؤيدها أثر صحيح ، فضلا عن أنه لا فائدة ترجى من وراء ذكرها.

على أن هذه الأقوال التى ذكرها أبو السعود دون أن يعزوها لقائل إنما هى من أقوال السدى على ما ذكره الإمام الرازى [١] أو هى من أقوال وهب بن منبه على ما ذكره الإمام الألوسى [٢]

---

١ تفسير الخفر الرازى جـ ١٨ ص ١٠١.

٢ تفسير الألوسي جـ ١٢ ص ١٧٩.

وليس من شك أن كلا منهما – أي وهب ، والسدي – قد نقلا كل هذه الروايات عن أهل الكتاب إذ أنهما معروفان بمثل ذلك ، ومن يرجع إلى الإصحاح السابع والثلاثين من سفر التكوين يجد صدق ما نقول.

ورحم الله الإمام الألوسي حين ذكر هذه الروايات التي قيلت في كيفية إلقائه ، وما قال : وما قيل له كثيرة ، وقد تضمنت ما يلين له الصخر ، ولكن ليس فيها ماله سند يعول عليه [١]

أما صاحب تفسير المنار فقد أنكر هذه الروايات واعتبرها من الإسرائيليات المنفرة من الإسلام والمسلمين فقال : (وقد نقلوا عن السدي أن إخوة يوسف طغوا في القسوة عليه ، والتنكيل به ، فقد قالوا وفعلوا ما لا يصدر مثله إلا من رعاع الناس ، وأراذل المجرمين الظالمين ، وما هي إلا الإسرائيليات المنفرة من الإسلام والمسلمين[٢]

وجملة القول في كل ما قيل أنه من الاسرائيليات فعلا بيد أن موقفنا منه ينبغي أن يكون من قبيل ما لايصدق وما لايكذب والله أعلم.

---

[١] تفسير الألوسي جـ ١٢ ص ٢٢٠.

[٢] تفسير المنار جـ ١٢ ض ٢٢٠.

ما قيل في وقع النبأ على يعقوب عليه السلام

ونوع الدم الذي جاءوا إليه به

قال تعالى ﴿ **وجاءوا أباهم عشاء يبكون ، قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ، وجاءوا على قميصه بدم كذب ، قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل و الله المستعان على ما تصفون**﴾ [سورة يوسف الآيات ١٦-١٧-١٨]

عند تفسير أبي السعود لهذه الآيات تحدث عن حال يعقوب عليه السلام عندما أخبروه بنوه أن يوسف عليه السلام قد أكله الذئب فقال ما نصه : (روى أنه لما سمع يعقوب عليه السلام بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني وأين يوسف ؟ قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب ..وجاء في التفسير، روى أنهم ذبحوا سخلة ولطخوا قميص يوسف بدمها ، وزل عنهم أن يمزقوه ، فلما سمع يعقوب بخبر يوسف عليهما السلام ، صاح بأعلى صوته ، وقال : أين القميص فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص ، وقال : تالله ما رأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا ، أكل ولم يمزق عليه قميصه ..وفي الحديث " الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه " وقيل سقط حاجباه على عينيه ، فكان يرفعهما بعصابة ، فقيل ما هذا ؟

قال : طول الزمان ، وكثرة الأحزان ، فأوحى الله عز وجل إليه يا يعقوب أتشكونى ؟ قال يارب خطيئة فاغفرها لى)[١]

١- أقول : ما ذكره أبو السعود من حال يعقوب ، وما أصيب به من الفزع عندما أخبروه بنوه أن يوسف قد أكله الذئب.

وما ذكره أيضا من أن إخوة يوسف ذبحوا سخلة ولطخوا قميصه بدمها ، أو أنهم قاموا باصطياد ذئب ليقدموه دليلا على صدق دعواهم ، على ما ذكره الثعلبى من أنهم لما رجعوا إلى أبيهم عشاء يبكون قال لهم يعقوب : إن كنتم صادقين فى أن الذئب أكله فأين الذئب ؟ ائتونى به فعمدوا إلى حبالهم وعصيهم فأخذوها ومضوا إلى الصحراء فاصطادوا ذئبا وشدوه وأو ثقوه كتافا ثم حملوه إلى يعقوب وأوقعوه بين يديه..الخ[٢]

أقول : إن كل ذلك الا إسرائيليات بنى إسرائيل وأكاذيبهم على الأنبياء التى لا يمكن الوثوق بها ، ولا الأطمئنان إليها ، وكان الأولى بإمامنا أبى السعود رحمه الله أن يكف عنها ، ولا يسود بها صفحات كتابه ، ومن يرجع إلى الإصحاح السابع والثلاثين من سفر التكوين يجد فيه أصل ما جاء فى هذه الأخبار الغريبة ، فقد جاء فى الإصحاح المذكور (فأخذوا قميص يوسف وذبحوا تيسا من المعز ، وغمسوا القميص فى الدم ، وأرسلوا القميص الملون وأحضروه إلى أبيهم ، وقالوا وجدنا هذا ، حقق أقميص ابنك هو أما لا ؟

[١] تفسير أبى السعود جـ ٤ ص ٢٥٦-٢٦٠.

[٢] انظر العرائس ص ١٠١.

فتحققه وقال قميص ابنى وحش ردئ أكله ، وافترس يوسف افتراس ، فمزق يعقوب ثيابه وناح على ابنه أياما كثيرة ، فقام جميع بنيه وجميع بناته ليعزوه ، فأبى أن يتعزى وقال إنى أنزل إلى ابنى نائحا وبكى عليه أبوه)[١]

وهكذا يتبين لنا بوضوح أن كل هذه الأخبار منقولة من كتب أهل الكتاب فالإعراض عنها أولى بنا إذ أنه لا فائدة فيها كما أن الاشتغال بها عبث.

٢- ما ذكره أبو السعود من أن يعقوب عليه السلام طلب من بنيه قميص يوسف فليس هناك أى دليل على أن يعقوب طلب منهم هذا المطلب.

وإنما قدم له أبناؤه قميص يوسف من تلقاء أنفسهم ظنا منهم أن هذا العمل يخفى من معالم جريمتهم النكراء ، أو ليموهوا به عليه ، شأنهم فى ذلك شأن أى مرتكب للجريمة يدفعه شعوره الداخلى إلى تقديم ما يظنه دليلا على براءته.

الرأى السليم

والذى يجب أن يعتقد فى هذا المقام – أو فى هذه الجزئية من قصة يوسف عليه السلام – هو ما أخبر به القرآن الكريم من قول يعقوب عليه السلام " قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل " أى بل سولت لكم أنفسكم أمرا غير ما تصفون من الكذب أو غير هذا الذى تقدمونه اعتذارا .

[١] العهد القديم ص ٦٢.

ومن نافلة القول أن نقول: إن "بل" رد لقولهم " أكلـه الذئب" كأنـه قـال ليس كما تقولـون " بـل سـولت لكـم أنفسـكم أمـراً" فهـذا إضـراب عن تكذيـب صريح تقديره : إن الذئب لم يأكله ، بل سولت لكم أنفسكم الأمارة بالسوء فـي شـأنه أمـرا إمـر ا ، وكيدا نكـرى ، وزينتـه فـي قلوبكـم فطوعتـه لكـم حتـى اقترفتموه أي هـذا أمركـم ،وأمـا أمـري معكم ومـع ربـي فصـبر جميـل ، أو فصبري صبر جميل ، لا يشوب جماله جزع اليائسـين مـن روح اللـه القـانطين من رحمة الله ، ولا الشكوى إلى غير الله المستعان على ما تصفون [١]

٣- أما قول الرواة أن الدم الذي لوثوا به القميص ، كان دم سخلة أو جدي ، أو ظبية ، فجائز أن يكون كما ذكر ، وجائز أن يكون غيره.

والأولى : فيما ذكروه الالتزام بما أخبر به القـرآن الكريـم مـن أنـه دم كاذب دون تعيين للمصدر الذي استمدوه منه ، وبتفويض ذلك إلـى علـم اللـه العليم الخبير.

٤- وأما الحديث الذي أورده أبـو السـعود وهـو " الصـبر الجميـل الـذي لا شكوى فيه " فقد أخرجه ابن جرير الطبري بالإسناد التالي : قال حدثنا عمـرو بن عوف ، قال : أخبرنا هشيم عن عبد الرحمن بن يحيى عن حبـان بـن أبـي جبلة ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قولـه فصـبر جميـل؟ قال : صبر لا شكوى فيه، قال: من بث فلم يصبر[٢]

١ انظر تفسير المنار جـ ١٢ ص ٢٢٠ -٢٢١بتصرف قليل.
٢ جامع البيان جـ ١٢ ص ٩٩.

وخرجه الجلال السيوطى فى الدر المنثور ، وزاد نسبته لابن أبى الدنيا فى كتاب الصبر ، وابن المنذر ،وابن أبى حاتم عن حبان بن أبى جبلة [١] وقال عنه الحافظ ابن حجر فى تخريج الكشاف : إنه مرسل.

يوسف عند سيده

القول الصحيح أنه بيع لرئيس الشرطة فى مصر ، ولم يعين البلد الذى كان عاصمة الملك فى البلاد المصرية فى ذلك الحين ، والأقرب أنها مدينة صان الحجر ببلاد الشرقية ، قرب بحيرة المنزلة ، وذلك أن ملك مصر فى ذلك العهد كان من العمالقة الذين وردوا مصر قبل نزول إبرهيم ، وكان منهم الملك الذى أكرم مثوى إبرهيم ، ،اعطاه الأموال الكثيرة ، وهم الذين شغلوا تاريخ مصر ما بين الأسرة الرابعة عشر إلى الأسرة الثامنة عشرة ، التى منها أحمس الذى طرد العمالقة من مصر ، ولما حصل يوسف عند سيده ، ألقى الله على سيده محبته ، فقال لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا ، وكان سيده رئيس شرطة المدينة ، فكان يوسف أثيرا لديه فجعله صاحب أمره ونهيه،والرئيس على خدمه ، والمتصرف فى بيته بحيث لم يكن لأحد ممن فى الدار كلمة أعلى من كلمة يوسف سوى كلمة سيده وسيدته ، وقد تولى الله تعالى يوسف بالهداية والتربية والتوفيق وعلمه من لدنه علما عظيما كما قال تعالى " وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ولنعلمه من تأويل

---

١ الدر المنثور جـ ٤ ص ١٠.

الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين" [١]

ما حدث ليوسف بعد خروجه من الجب

وما كان منه حتى اشتراه عزيز مصر

قال تعالى ﴿ **وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة ، والله عليم بما يعملون ، وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين ، وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾[سورة يوسف الآيات ١٩-٢٠-٢١]

عند تفسير هذه الآيات الكريمة ، تحدث أبو السعود عما حدث ليوسف بعد أن أخرجه وارد السيارة من الجب فقال ما نصه : **(وأسروه)** أى أخفاه الوارد وأصحابه عن بقية الرفقة ، وقيل أخفوا أمره ووجودهم له فى البئر ، وقالوا لهم : دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر ، وقيل : الضمير لإخوة يوسف ، وذلك أن يهوذا كان يأتيه كل يوم بطعام ، فأتاه يومئذ فلم يجده فيها ، فأخبر إخوته ، فأتوا الرفقة وقالوا : هذا غلامنا أبق منا فاشتروه منهم ، وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه ، ولا يخفى ما فيه من البعد .

---

[١] قصص الأنبياء ص ١٥٧.

وعن الثمن الذى بيع به قال أبو السعود : (عن ابن عباس رضى الله عنه أنها كانت عشرين درهما .

وعن السدى أنها كانت اثنتين وعشرين درهما ..ثم نجده وهو بصدد تفسير قوله تعالى " وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته"

يقول ما نصه (وهو العزيز الذى كان خازنا واسمه قطفير أو إطفير ..وكان الملك يؤمئذ الريان بن الوليد العمليقى ، ومات فى حياة يوسف عليه السلام بعد أن آمن به ، وملك بعده قابوس بن مصعب ، فدعاه إلى الإسلام فأبى ، وقيل كان الملك فى أيامه فرعون موسى عليه السلام عاش أربعمائة سنة لقوله عز وجل " ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات"

وقيل فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف ، والآية من قبيل خطاب الأولاد بأحوال الآباء ، واختلف فى مقدار ما اشتروا به العزيز ، فقيل بعشرين دينارا ، وزوجى نعل ، وثوبين أبيضين ، وقيل أدخلوه فى السوق يعرضونه فترافعوا فى ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا، ووزنه ورقا ، ووزنه حريرا ، فاشتراه قطفير بذلك المبلغ لامرأته راعيل أو زليخا ، وقيل اسمها هو الأول والثانى لقبها[1]

١- أقول : ما ذكره أبو السعود من أن الضمير فى " وأسروه " لإخوة يوسف ، وذلك يعنى أنهم هم الذين قاموا ببيعه فخلاف الظاهر ، ذلك أن نظم

[1] تفسير أبو السعود جـ ٤ ص ٢٦١-٢٦٢.

القرآن لا يساعد عليه ، وهذا ما أميل إليه وأرجحه ، لأن القرآن ذكر السيارة وواردهم ولم يعد إلى ذكر إخوة يوسف فى هذا المقام، وعليه فإن السيارة هم الذين باعوه: " لأنهم التقطوه والملتقط للشئ متهاون به ، لايبالى بأى شئ يبيعه ، أو لأنهم خافوا أن يظهر المستحق فينزعه من يدهم ، فلا جرم باعوه بأوكس الأثمان) [1] ولعلهم تعجلوا فى بيعه بهذا الثمن البخس خوفا من فراره منهم ، أو خشية اغتصاب المغتصبين الذين لا يخلو منهم زمان أو مكان ، فأرادوا أن يريحوا أنفسهم.

أما أن يقال إخوة يوسف هم الذين قاموا ببيعه فبعيد ، إذ لاشك أنهم كانوا حريصين على إبعاد أى تهمة عنهم تثبت إدانتهم ، وكونهم يقومون ببيعه لهؤلاء الذين أخرجوه من الجب مدعين أنه مملوك لهم آبق منهم مع كتابتهم لهم كتابا بذلك متضمنا أسماءهم يثبت إدانتهم جميعا ، وهذا ما لايتفق مع سر يتكاتمونه فيما بينهم ، فأمثال تلك الأحداث يحرص مدبروها على صبغتها بالسرية التامة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، وإن كان هذا لا يمنع جواز مراقبتهم له من بعيد .

٢- أما ماذكره أبو السعود من روايات تجدد الثمن الذى بيع به يوسف عليه السلام ، وأنه كان عشرين درهما ، أو اثنين وعشرين درهما – وعزا هاتين الروايتين إلى ابن عباس والسدى – أو كان الثمن عشرين دينارا ، أو

[1] تفسير الفخر الرازى جـ ١٢ ص ١١٠.

غير ذلك مما هو مذكور من الأعيان كالمسك والحرير وغيرهما التى بلغت أضعاف وزنه.

أقول : من أين أتى أصحاب هذه الروايات بتلك الأرقام من النقد والأعيان ثمناً ليوسف عليه السلام دون أن يذكر فى القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة شيئا منها ، إن كل ماذكره القرأن بخصوص هذا الموضوع أن يوسف عليه السلام بيع بدراهم معدودة ، بمعنى قليلة دون أن يبين مقدار عددها ،وإذا كان الأمر كذلك ، فلا داعى بعد ذلك لتحديدها أو تقديرها ، كما أنه لا يصح ولا يجوز أن نقول أنه عليه السلام وكان ضمن ثمنه زوجا من النعال ، ورحم الله الإمام الطبرى فقد ذكر ما ذكره أبو السعود وغيره من الثمن الذى بيع به يوسف ثم عقب عليه فقال: (والصواب من القول فى ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر أنهم باعوه بدراهم معدودة غير موزونه ، ولم يحدد مبلغ ذلك بوزن ولا عدد ، ولا وضع عليه دلالة فى كتاب ولا خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ..إلى أن قال وليس فى العلم بمبلغ ذلك وزن ذلك فائدة تقع فى دين ، ولا فى الجهل به دخول ضرر فيه ، والإيمان بظاهر التنزيل فرض ، وما عداه فموضوع عنا تكلف علمه)[1]

٣- وأما ما ذكره أبو السعود من أن عزيز مصر كان يسمى قطفيرا أو إطفيراً ، وأن امرأته كانت تسمى زليخا أو راعيل ، وما قيل من إيمان الملك فى حياة يوسف أو عدم إيمانه ، فتلك أمور اختلف فيها المفسرون

---
[1] جامع البيان جـ ١٢ ض ١٠٣.

وأكثروا من القول ، وأحسب أن هذا لا يصح ، خاصة وان مثل هذه الأمور من أخبار الماضين ، فهى أمور غيبية ، ليس لنا أن نتكلم فيها إلابما ورد الشرع به ، ومما يؤيد فهمنا لهذا القول أن الإمام الرازى رحمه الله قد ذكر ما ذكره أبو السعود عن ثمن يوسف ، وعن اسم عزيز مصر ومنكها ، وما قيل من إيمانه فى حياة يوسف وعدم إيمانه ، وغير ذلك مما جاءت به الروايات فعقب عليه بما يفنده ، **فقال:** (واعلم أن شيئا من هذه الرويات لم يدل عليه القرآن ، ولم يبت ايضا فى خبر صحيح ، وتفسير كتاب الله لا يتوقف على شئ من هذه الروايات ، **فالأليق** بالعاقل أن يحترز من ذكرها) [١]

وأيضا يقول صاحب المنار فى هذا المجال : **(لم يبين القرآن اسم الذى** اشتراه من السيارة فى مصر ، ولا منصبه ، ولا اسم امرأته ، لأن القرآن ليس كتاب حوادث وتاريخ، وإنما قصصه حكم ومواعظ وعبر وتهذيب ..وللمفسرين أقوال فى اسم امرأة العزيز ، واسم ملك مصر ، ليس للقرآن شأن فيها) [٢]

أجل فليس للقرآن شأن فى مثل هذه الأمور ، وعلينا أن نؤمن بذلك كما علينا أن نؤمن أنه ليس من مهمة القرآن تحديد الأشخاص ولا تعيين الأسماء ،وإنما مهمته الإرشاد إلى ما تدل عليه القصة من جهات العظات وأنواع

---

[١] تفسير الفخر الرازى جـ ١٢ ص ١١١.

[٢] تفسير المنار جـ ١٢ ص ٢٢٤.

العبر ، كما أنه لا ينبغى لنا أن نشغل أنفسنا بما لا يتوقف على معرفته أو عدم معرفته تفسير آيات الكتاب العزيز والله أعلم.

ولصاحب الظلال ملحظ طيب فى مثل هذه الأمور ، ومن المفيد إثباته فى هذا المقام ، يقول رحمه الله " (إن النص القرآنى يغفل أسماء الأشخاص ، وأعيان الذوات ، ليصور نماذج البشر ، وأنماط الطباع ويغفل تفصيلات الحوادث ، وجزئيات ليصور القيم الثابتة والسنن الباقية، هذه التى لا تنتهى بانتهاء الحوادث ، ولا تنقطع بذهاب الأشخاص ، ولا تنقضى بانقضاء الملابسات ، ومن ثم تبقى قاعدة ومثلا لكل جيل ولكل قبيل)

موقف يوسف من امرأة العزيز

كانت مِنّة الله تعالى على يوسف بالجمال الرائع مكمنا لمحنته؛ ومحنته مكمنا للمنة العظيمة عليه وعلى آله وعلى أهل مصر ، وجميع الأمم التى تقرب من مصر . كما قال ابن عطاء الله السكندرى :" ربما كمنت المنن فى المحن" وكانت تلك المحن أن امرأة العزيز نظرت إلى يوسف وما هو عليه من الخلق السوى ، والجمال المفرط فأشعل ذلك فى نفسها جذوة الحب وصار ذلك يزداد بتكرر رؤيتها له إلى أن غلبها الحب على حيائها ، فأخذت تداعب يوسف وهو يعرض عنها لعاملين ، يكفى كل واحد منهما لعزوفه عما تريد.

أولهما

إيمانه وامتثاله أوامره بالتزام الطهارة من الأرجاس الخلقية تلك الطهارة التى وجد عليها أباه وجده وجد أبيه.

ثانيهما

إن بعلها سيده الذى حدب عليه ، وأكرم مثواه ، ومكن له فى بيته ، وجعله المتصرف فى أمواله وخدمه ، ووثق به ثقة ليس لها حد ، فلا ينبغى أن يقابل نعمته بالكفران ، فلو لم يكن له دين يحجزه عن الشر ويلزمه الطهارة لكان ذلك كافيا لحفظ سيده فى أهله ، والبعد عن تدنيس فراشه . كان ذلك دأب يوسف معها . إلى أن هاج بها هائج الغرام . واعتزمت على شفاء ما فى نفسها من الصبابة فصارحته القول . ودعته إلى نفسها دعوة لا هوادة معها واحتاطت للأمر ، وأخذت عدتها له . وغلقت الأبواب . وقالت ليوسف هيت لك فأبى وقال إنه أى بعلها ربى أحسن مثواى إنه لا يفلح الظالمون . وفى هذا الموقف العنيف ، شاب فى ريعان شبابه ، ونضارة الفتوة ، تدعوه سيدته الجميلة إلى نفسها ، فيغلبه دينه ، ويعصمه رعى الذمام لسيده ، ثم يولى وجهه شطرا الباب ، يطلب النجاة من شيطان غوايتها ، وهى تجاذبه ثوبه ، وهو العصى حتى تمزق من خلفه إلى أن يغلبها ، ويفلت من يدها

فيستبقان الباب . هو يريد فتح مغلقه ، وهى تريد أن تحول بينه وبين ما يشتهى من الإفلات من يدها . دون قضاء رغبتها . وحينئذ .

يجد أن بعلها عند الباب [1] تدبروا وأقرأوا قوله تعالى : ﴿ **وراودته التى هى فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى إنه لا يفلح الظالمون، ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ، واستبقا الباب وقدّت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب** ﴾ [سورة يوسف الآيات ٢٢-٢٣-٢٤]

<u>الأقوال فى الهم الذى حدث</u>

وللعلماء فى تفسير هذه الآية آراء .

الأقوال المرفوضة :

١- إن امرأة العزيز قد همت بيوسف ليضاجعها ، وهو همّ بها ، وأنه قعد منها مقعد الرجل من امرأته ، فلم يبق شئ دون إتمام ما قصدته وقصده ،

---

[1] ساقت التوراة هذه القصة فى سفر التكوين فى الإصحاح ٣٩ وهى لا تختلف عن القرآن الا فى شئ واحد ، وهو أنها لما أمسكت بثوب يوسف خلعه لها ، فنادت الخدم ، وأخبرتهم بأن بعلها جاء برجل عبرانى يداعبها ، وأن يوسف لما رأى المكان خاليا طلب أن يضاجعها ، فأبت وصرخت بصوت عظيم ن وكان قد خلع ثوبه استعدادا للأمر فخاف حين استغاثت وهرب وترك عندها قميصه.

جاء جبريل وأخبره بأنه سيكون نبيا ، وهذا العمل لا يليق من الأنبياء ، فكف عنها . وهذا برهان ربه ، ومعنى الآية لولا أن رأى برهان ربه لفعل.

٢- وقال آخرون : إن البرهان الذى رآه وهو على هذه الحال أن نظر فرأى وجه أبيه وهو يؤنبه على هذا العمل عاضا على أنامله.

٣- وقال آخرون : إن يوسف وهو فى تلكم المحال نودى من الله يا يوسف إنك مكتوب فى ديوان الأنبياء ، وتعمل عمل السفهاء ،إلى غير ذلك من الأقوال الباردة والقائلون بذلك لم يفهموا قول الله تعالى فى تلك الآية " كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء أنه من عبادنا المخلصين " فكيف يكون قد صرف عنه السوء، وهو قد تهيأ لفعل الفاحشة ، وأصغى إلى شيطان الغواية ، ولم يرجع كما يقولون إلا بعد أن رأى من الزواجر والروادع ما يكفى لصرف أعظم الفسقة والمستهترين عن الغى ومتابعة الشهوة ، وكيف يوصف بأنه من المخلصين من كان انصرافه على هذا الوجه.

٤- وأعرق الأوجه فى البعد والغرابة من يعتذر عن هم يوسف بأن ذلك كان قبل النبوة ، أى فعل المعصية فى هذا الدور غير ممتنع على الأنبياء ، فإن صاحب هذا القول غافل عن قوله تعالى " الله أعلم حيث يجعل رسالته" فإن الرسالة إنما يختار لها أصحاب الأعمال المرضية ، ولا يختار الله رسله من أهل الفسق ، وهو تعالى يرشحهم لما يضطلعون به من رسالته فهو يعصمهم عن الخسائس ، وسائر ما يعير به الناس ، وأى عار أكثر من أن يذهب الشخص إلى المعصية ثم لا يرجع إلا بعد الزجر والنهى.

٥- ويقول آخرون أنه همّ همّ الطبيعة ، وهو أمر لا اختيار للمرء فيه وهؤلاء أخف قولا مما تقدم.

٦- ويقول آخرون : إنه همّ همّ ترك ، ولست أطمئن إلى هذا القول وأنه وجد منه هم أى حال ، وتكلف أخرون فقالوا إنه هم ليضربها

القول الصحيح

والقول الذى لا غبار عليه ويلتئم مع قوله تعالى " كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء" ومع قوله فى الآية نفسها " إنه من عبادنا المخلصين " **إن همه عليه السلام بها امتنع لوجود البرهان** عنده وهو حرصه على الطاعة واستمساكه بآداب آبائه ، وباخلاقهم الزكية الطاهرة، وأن قوله وهم بها لا يصلح جوابا ، لأن لولا ، لها الصدارة ، لأن لا نقول إن هذا هو الجواب ولكنه دليل الجواب – ونظير ذلك قوله تعالى ﴿ **وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين**﴾ [سورة القصص أية ١٠]

لأن لولا حرف امتناع لوجود، امتنع الهم لوجود البرهان ، وامتنع إبداء أم موسى بما فى نفسها على ابنها لوجود ربطنا على قلبها ، والجواب محذوف تقدم دليله على لولا[١]

---

١ قصص الأنبياء ص ١٥٨-١٥٩.

ما قيل عن شاهد يوسف

قال تعالى : على لسان يوسف عليه السلام ﴿ **قال هى راودتنى عن نفسى وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ، وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ، فلما رأى قميصه قد من دبر ، قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم**﴾ [**سورة يوسف الآيات ٢٦-٢٨**.]

عند تفسير هذه الآيات الكريمة تحدث أبو السعود الذى اقترح بفراسته معاينة القميص ليتبين ما إذا كان قد من قبل أو من دبر ، حتى يكون برهانا قويا يعلم به قول الصادق ، وأمارة ناطقة بصدق يوسف وكذب امراة العزيز ، فذكر أقوال العلماء فى هذا الشاهد، فقال ما نصه : قيل هو ابن عمها ، وقيل هو الذى كان جالسا مع زوجها لدى الباب.

وقيل : كان حكيما يرجع إليه الملك ويستشيره.

وقد جوز أن يكون بعض أهلها قد بصر بها من حيث لا تشعر فأنطقه الله تعالى ليوسف عليه السلام بالشهادة له والقيام بالحق.

وقيل : كان الشاهد ابن خال لها صبيا فىالمهد أنطقه الله تعالى ببراءته وهو الأظهر ، فإنه روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :" تكلم أربعة وهم صغار ، ابن ماشطة بنت فرعون ، وشاهد يوسف ، وصاحب

جريج ، وعيسى عليه السلام" رواه الحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه، وقال صحيح على شرط الشخين)[1]

أقول : ذكر الإمام أبو السعود آراء العلماء فى الشاهد الذى اقترح معاينة القميص ، ثم رجح أنه كان صبيا فى المهد ، حيث قال : وهو الأظهر واستشهد على ذلك بحديث ، تكلم أربعة وهم صغار ، وعد منهم شاهد يوسف عليه السلام.

قلت وهذا **غير مسلم** وذلك لأمرين والقول الصحيح فى الشاهد أنه كان رجلا الأول : أن الحديث الصحيح الذى ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الصدد هو ما رواه البخارى فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة: عيسى وكان فى بنى إسرائيل رجل يقال له جريج كان يصلى ، فجاءته أمه فدعته ، فقال : أجيبها أو أصلى ؟ فقالت : اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات . وكان جريج فى صومعته ، فتعرضت له امرأة وكلمته فأبى ، فأتت راعيا فأمكنته من نفسها ، فولدت غلاما ، فقالت : من جريج ، فأتوه فكسروا صومعته ، وأنزلوه وسبوه ، فتوضأ وصلى ، ثم أتى الغلام فقال : من أبوك يا غلام؟ قال الراعى : قالوا نبنى صومعتك من ذهب؟ قال : لا إلا من طين.

وكانت امرأة ترضع ابنا لها من بنى إسرائيل ، فمر رجل راكب ذو شارة ، فقالت: اللهم اجعل ابنى مثله ، فترك ثديها ، وأقبل على الراكب، فقال

[1] تفسير أبى السعود جـ ٤ ص ٢٦٨.

: اللهم لا تجعلنى ، ثم أقبل على ثديها يمصه ، قال أبو هريرة : كأنى انظر إلى النبى صلى الله عليه وسلم يمص إصبعه ، ثم مر بأمة ، فقالت : اللهم لا تجعل ابنى مثل هذه ، فترك ثديها فقال : اللهم اجعلنى مثلها ، فقالت : لم ذاك؟ فقال الراكب جبار من الجبابرة ، وهذه الأمة يقولون سرقت زنت ، ولم تفعل [١] فنص الحديث كما ترى لم يذكر لنا شاهد يوسف ضمن الذين تكلموا فى المهد ، أما الحديث الذى ذكره أبو السعود استشهادا على ما ذهب إليه من أن الشاهد كان صبيا فى المهد ، فقد أخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره موقوفا على ابن عباس[٢]

والمرفوع مقدم على الموقوف كما هو معلوم ، فضلا عن أن سند الحديث إلى ابن عباس ضعيف كما قال ابن حجر [٣]

وسبب هذا الضعف أن فيه علتين ، كما قال ناصر الدين الألبانى :

الأولى

عطاء بن السائب ، فإنه كان قد اختلط ، وحماد بن سلمة روى عنه قبل الاختلاط وبعده ، خلافا لما يظن خلافه من المعاصرين

[١] فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، كتاب أحاديث الأنبياء باب قوله تعالى "واذكر فى الكتاب مرمي جـ ٦ ص ٥٤٩.

[٢] جامع البيان جـ ١٢ ص ١١٥.

[٣] فتح البارى جـ ٦ ص ٥٥٣.

الثانية

ابن وكيع وهو سفيان ، قال الحافظ : كان صدوقا إلا أنه ابتلى بوراقة فأدخل عليه ما ليس من حديثه ، فنصح فلم يقبل ، فسقط حديثه[١]

الأمر الثانى : أن ظاهر النص القرآنى يفيد أن الشاهد كان رجلا وليس طفلا فى المهد ، إذ لو كان طفلا لكان مجرد كلامه أنها كاذبة ، كان حجة قاطعة على صدق يوسف عليه السلام لأنه من المعجزات كما يقول المفسرون[٢] ولما احتيج أن يقول من أهلها ، ولا أن يأتى بدليل حى على براءته وهو قوله : " إن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين " الآية.

وهذا – ولا ريب – منطق الكبار العقلاء الحكماء الذين يتوصلون من خلال القرائن إلى الحقيقة ، ويضعون تحت أيديهم حيثيات ما يحكمون به ، ولا سيما فى أمثال تلك القضايا حيث يحكم فيها كبار الناس وعقلاؤهم ، لا أطفالهم وصغارهم ، ورحم الله الإمام الرازى ، فقد ارتضى هذا الرأى ورجحه على غيره ، وقال بأولويته وذكر لذلك وجوها:

---

١ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة جـ ٢ ص ٢٧٢.

٢ انظر الألوسى عند تفسيره لهذه الآية جـ ١٢ ص ٢٢٢.

منها : أن الله تعالى قال : " وشهد شاهد من أهلها" وإنما قال من أهلها ليكون أولى بالقبول فـي حق المرأة ، لأن الظاهر من حال من يكون من أقرباء المرأة ومن أهلها أن لا يقصدها بالسوء والاضرار ، فالمقصود بذكر كون ذلك الرجل من أهلها ، تقوية قول ذلك الرجل ، ولو كان هذا القول صادرا عن الصبى الذى فى المهد لكان قوله حجة قاطعة ، ولا يتفاوت الحال بين أن يكون من أهلها ، أو من غير أهلها، وحينئذ لا يبقى لهذا القيد أثر.

ومنها : أن لفظ الشاهد لا يقع فـي العرف إلا على من تقدمت لـه معرفة بالواقعة وإحاطة بها) [١]

فهذه الوجوه التى ذكرها الإمام الرازى تعزز ما ذهبنا إليه من أن الشاهد كان رجلا وليس صبيا فى المهد ، وتدل دلالة واضحة على ذلك .

موقف يوسف وامرأة العزيز

إن امرأة العزيز لما رأت سيدها لدى الباب يريد الدخول ، وكان معه ابن عمها ، أرادت أن تشفى غل صدرها ، وحنقها على يوسف لما فاتها من التمتع به ، وتوقعه فى الشر جزاء إبائه عن مطاوعتها ، تقدمت نحو زوجها باكية شاكية قائلة " ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم" وأفهمته أنه راودها عن نفسها ، وأنها أبت عليه ، وأما يوسف فقد وجد نفسه فى مأزق حرج ، وأن الصدق سبيل نجاته ، وأنه اللائق بمقابلة العزيز بما

[١] تفسير الفخر الرازى جـ ١٨.

صنع معه من جميل ، وما أسدى إليه من المكرمة ، فقال هى روادتنى عن نفسى، وأنا امتنعت وأبيت حتى آل أمرها إلى أن نازعتنى ثوبى ، وهنا ظهرت فراسة ابن عمها فى تحقيق الحق من قولهما . فقال إن كان قميصه قدّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ، وإن كان قميصه قدّ من دُبر فكذبت وهو لمن الصادقين ، لأن الهاجم على المرأة وهى تدافعه إنما يظهر أثر دفاعها فى مقدمة قميصه ، والهارب من المرأة العالقة بثوبه إنما يظهر أثر ذلك من الخلف ، لأنه يكون مستدبرا لها وهى تجاذبه من خلف ، فظهر حق يوسف ، وكذب امرأة العزيز بان راؤا قميصه قد من دبر ، فعاد العزيز على امرأته باللوم ، وقال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم ، وأمر يوسف بكتمان الخبر وأمرها بالاستغفار لذنبها ، وصرح بانها مخطئة فيما صنعت اقرأوا قوله تعالى " قالت ماجزاء من أراد بأهلك سوءا إلا ان يسجن أو عذاب أليم قال هى روادتنى عن نفسى وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قدّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ، وإن كان قميصه قُدّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين ، فلما رأى قميصه قدّ من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين"

الشهادة ببراءة يوسف

للفخر الرازى كلمة طيبة أوردها فى تفسيره وهى : أن يوسف قد شهد الله تعالى ببراءته بقوله تعالى " إنه من عبادنا المخلصين " وشهد الشيطان ببراءته بقوله " فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين" وشهد

ببراءته الشاهد من أهل امرأة العزيز إذ قال " إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ، وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ، فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن ان كيدكن عظيم ، يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين" وشهد ببراءته النسوة اللاتي قطعن أيديهن بقولهن " ما علمنا عليه من سوء" وشهدت ببراءته زوجة العزيز بقولها " الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين " فالذي يريد أن يتهم يوسف بالهم عليه أن يختار أن يكون من حزب الله أو من حزب الشيطان ، وكلاهما شهد ببراءة يوسف فلا مفر له من الإقرار بالحق على أي حال وهو براءة يوسف من الهم بها .

شيوع الخبر في المدينة وتحدث النساء به

شاع نبأ حادثة امرأة العزيز وفتاها في أرجاء المدينة ، ولاكته أفواه النساء لائمات لها على هذا الغرام ، وشرعن يضللنها ويلمنها بفادح اللوم ، ودوى صدى هذا القول في أذن امرأة العزيز فأخذت في الكيد لهن ليعذرنها ولا يعذلنا ، فأرسلت إلى طائفة من نظيراتها العاذلات ، واعتدت لهن مكان أنيقا يجلسن فيه ، وقدمت إليهن طعاما يحتاج إلى القطع بالسكين ، وآتت كل واحدة منهن سكينا، وفي تلك اللحظة أمرت يوسف أن يخرج عليهن ، فبهرهن جماله ، وألهاهن عن أن يحسن قطع الفاكهة التي بأيديهن فصرن يقطعن أيديهن ، وشغلن بمطالعة محاسن خلقه ، والتأمل في جماله، واللذة في

ذلك تغمر ألم جراحهن بأيديهن ، فأعلن إكبارهن لذلك الجمال وقلن " ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم"

حينئذ باحت امرأة العزيز لهن بما يكنه فؤادها من اللوعة ، وقالت لهن كما يشكو العاشق بلواه لعاشق مثله " فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجن وليكون من الصاغرين "

فأنتم ترون أن امرأة العزيز كتمت أمرها حتى صادتهن وأوقعتهن فى شباك غرامه ، وصرن كلهن فى الهوى سواء ، ثم باحت لهن بذات نفسها آمنة النميمة عليها ومن هذا القبيل قول القائل:

لاتخف ما فعلت بك الأشواق　　　واشرح هواك فكلنا عشاق

وأنتم ترون أيضا أن عشقها فضحها فى المرة الأولى ، وكذبت لتتخلص من العار ، ولتتشفى من ذلك الرجل الذى وصل حبه إلى شغاف قلبها ، وأنضج فؤادها بنار هواه ، فلم تحسن التخلص ولم يكن كذبها منجيا لها من اللوم ، وكان من حقها أن ترتدع ، ولكن الهوى صرعها للمرة الثانية فتوعدته بأن ينصاع لأمرها ، وإلا كان مأواه السجن ، ولقاء الصغار بدخوله.

ولما فشت القالة بذلك رأى العزيز ، وحسنّ له مشيروه أمرا هو أنه لا يخلصهم من العار ، ويكف ألسنة الناس عنه ، وعن زوجته ، إلا زجه فى السجن ليخيلو الناس أنه مازج فى السجن إلا لأنه آثم كاذب فى ادعاء البراءة

، وأن زوجة العزيز بريئة مما قذفت به وهذا مصداق قوله تعالى " ثم بدا لهم من بعد ما راؤا الآيات ليسجننه حتى حين"

وإني ألفت نظركم إلى لفظ " من بعد ما رأوا الآيات " فإن رؤية الآيات الدالة على صدق يوسف وكذب امرأة العزيز فيما حاولت أن تلصقه به من عار الخيانة لسيده ، كان ظاهرا واضحاً ، وكان من حق العزيز أن يوقع بها العقاب على ما اجترحته ، ويكرم يوسف ويظهر للناس براءته " ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى " ولكن شيئا من ذلك لم يكن ، بل عمد هو وآله إلى الإساءة إلى من أحسن عمله ، وحفظه بالغيب في زوجه ، ورعى له حق السيادة والأكرام ، فقد عمد إلى المسيئة الكاذبة المستهينة بكرامتها وكرامة زوجها ، والتي عرضت عفافها بضاعة مزجاه في سوق الفسوق ، فلم يمسها بأذى ، بل قدم يوسف البرئ النقي الطاهر فدية عن سمعتها.

والآية تشير من طرف خفي إلى أن القوم استعانوا بالقوة القضائية على الكيد ليوسف ، وزجه في السجن، لأن رؤية الآيات على براءته إنما تكون أمام القضاء ، وهو إما رسمي أو عرفي ، ولعل القضاء العرفي هو الذى استعملوه ، وهو قضاء خير منه الاستبداد ، وهو شر أنواع القضاء.

يوسف في السجن

أدخل يوسف السجن على غير جريمة ، ودخل معه السجن فتيان أحدهما رئيس الخبازين عند الملك ، والثاني رئيس سقايته ، فبعد يوم آتاه

صاحب شراب الملك ، وأخبره أنه رأى فى منامه أنه يعصر فى كأس الملك الخمر ، يتناول العنقود من العنب ويعصره فى كأس الملك ، وجاء الخباز وقال له : إنى رأيت فوق رأسى طبقا من الخبز ، والطير تأكل من ذلك الخبز ، وطلبا إليه أن ينبئ كل واحد منهما بتأويل رؤياه .

انتهز يوسف هذه الفرصة ليعلن لهم دينه ، ويدعوهم إليه ، وقام فيهم خطيبا ينبئهم بمقدرته على تأويل الرؤيا ، وأنه لا يأتيهما طعام إلا نبأهما بتأويله قبل أن يأتيهما ، وأن ذلك مما علمه الله تعالى إياه ، بتركه ملة الأقوام الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، واتبع ملة آبائه إبرهيم وإسحاق ويعقوب ، وأن ذلك كله من فضل الله عليه وعلى ذويه وعلى الناس ، وسأله صاحبيه أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ، الذى أمر ألا يعبد الناس ربا سواه ، وأن ذلك هو الدين القويم ، وأن جهلة الناس لا يعلمون ، ثم قال " يا صاحبى السجن أما أحدكما (الساقى) فيسقى ربه خمرا ، وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضى الأمر الذى فيه تستفتيان " وفى تلك الحال أمل يوسف أن يجد الفرج لما هو فيه من الضيق على يد الفتى الذى ظن أنه ناج ، وقال له اذكرنى عند ربك ، فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين، وتحقق تأويل المنام كما قال [١]

---

١ قصص الأنبياء ص ١٦٠-١٦٣.

ما قيل فى المدة التى لبثها يوسف فى السجن

قال تعالى :﴿**وقال الذى ظن أنه ناج منهما اذكرنى عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين** ﴾[سورة يوسف آية ٤٢]

عندما أخذ أبو السعود يفسر هذه الآية تعرض لمدة سجن يوسف عليه السلام فقال: (وأكثر الأقاويل أنه لبث فى السجن سبع سنين ، وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم " رحم الله أخى يوسف لو لم يقل " اذكرنى عند ربك" لما لبث فى السجن سبعا بعد الخمس)[١]

أقول : ما ذكره أبو السعود من تحديد المدة التى لبثها يوسف عليه السلام فى السجن بكونها سبع سنين ، قول لا دليل عليه ، ولعل الذين قالوا بهذا الرأى استندوا فى ذلك إلى أن البضع فى اللغة يطلق على السبع.

والتحقيق :

أنه كما يطلق على السبع يطلق كذلك على ما بين الثلاث إلى التسع ،وقيل ما بين الثلاث إلى العشر.

قال الفراء : البضع ما بين الثلاث إلى ما دون العشرة ، وقال أبو عبيدة : البضع ما لم يبلغ العقد، ولا نصفه ، يريد ما بين الواحد إلى أربعة [٢]

---

١ تفسير أبى السعود جـ ٤ ص ٢٨٠.

٢ لسان العرب جـ ١ ص ٢٩٨.

وما دام الأمر كذلك ، فجائز أن يكون أى عدد من ذلك هو مدة بقاء يوسف فى السجن ، بعد أن قال للفتى : " اذكرنى عند ربك " دون أن نقطع بأى عدد كان ، بعد أن أبهمه القرآن ولم يحدده

القول الصحيح

إنا لا نجزم بمقدار معين من العدد ، قال الإمام فخر الدين الرازى فى التعقيب على ذلك : والصحيح أن هذه المقادير غير معلومة ، وإنما القدر المعلوم أنه بقى محبوسا مدة طويلة لقوله تعالى" وادكر بعد أمة "[١]

أما الحديث الذى أورده أبو السعود فى هذا الصدد ، فلم يثبت بهذا اللفظ ، وإنما الثابت ما أخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسير الآية حيث قال : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا عمرو بن محمد ، عن إبرهيم بن زيد عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم " ولو لم يقل يوسف الكلمة التى قال : ما لبث فى السجن طول ما لبث ، حيث يبتغى الفرج من عند غير الله .

وأقول : إن الإمام أبا السعود خالف فى متن الحديث ، وذكره بغير اللفظ الذى فيه، وأورده مرفوعا ، وهو ليس كما قال : بل إنه حديث مرسل لا تعلم صحة نسبته إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ولذلك قال عنه الحافظ ابن كثير : هذا الحديث ضعيف جدا ، لأن سفيان بن وكيع ضعيف ، وإبرهيم

[١] تفسير البيان جـ ١٢ ص ١٣٢.

ابن يزيد هو الخوزى أضعف منه أيضا وقد روى عن الحسن وقتادة مرسلا عن كل منهما ، وهذه المرسلات ها هنا لا تقبل حتى لو قبل المرسل من حيث هو فى غير هذا الموطن والله أعلم [١]

ويعلق صاحب تفسير المنار على هذا الحديث بما يفنده سندا ومتنا فيقول فى التعقيب على ما ذكره ابن كثير فيما نحن فيه ، إن ما قاله (يعنى ابن كثير) فى هذين الراويين للحديث هو أهون ما قيل فيهما ، ومنه أنهما كانا يكذبان ، هذا أولا ، وثانيا أنه يعنى بقوله (ها هنا) الطعن فى نبى مرسل بأنه كان يبتغى الفرج من عند غير الله ، وهو الجدير بألا تحجبه الأسباب الظاهرة عن واضعها ومسخرها وخالقها عز وجل ، يعنى بقوله (لو قبل المرسل من حيث هو) ما هو الصحيح عند علماء الأصول [٢]

قلت : وجمهور المحدثين لم يحتجوا بالمرسل أيضا وجعلوه من قسم الضعيف ، لاحتمال ان يكون المحذوف غير صحابى ، وحينئذ يحتمل أن يكون ثقة أو غير ثقة ، وعلى الثانى لا يؤمن أن يكون كذابا[٣]

ومن ذلك يتضح لنا عدم الثقة فى هذا الأثر الذى أورده أبو السعود يشرح به النص القرآنى ، ولا ينبغى أن يكون حجة على التفسير بالمأثور .

---

[١] تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣١٧.

[٢] تفسير المنار جـ ١٢ ص ٢٧٥.

[٣] نزهة النظر شرح نخبة الفكر للحافظ ص ٢٧ نقلا عن كتاب الإسرائيليات والموضوعات فى التفسير لأبى شهبة ص ٤٤٧.

الفرج ليوسف

بعد تلك السنين أراد الله أن يعجل بالفرج ليوسف فهيأ لذلك الأسباب ، وذلك أن الملك رأى سبع بقرات جميلات طالعة من النهر فارتعت البقرات فى روضة ، ثم رأى سبع بقرات أخرى قبيحة المنظر عجافا خرجت من النهر وأكلت البقرات الأولى السمينة ، ثم استيقظ من منامه ، ثم عاد فرعون إلى رقاده ، فرأى سبع سنابل خضراء حسنة طالعة فى ساق واحدة ، وإذا سبع يابسات خلفها قد لفحتهن الريح الشرقية قد غدت على السنابل الخضر فأكلتها.

أصبح فرعون منزعجا لهذين المنامين فدعا بالسحرة وكل من له علم يسألهم عن تأويل هذا المنام ، فلم يجد عند أحد منهم جوابا ، بل قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ، فى ذلك الوقت انتبه رئيس سقاة الملك إلى الأمر ، وتذكر ما قدم بما حدث ومر على خاطره منامه الذى رآه فى السجن ، ويوسف الذى عبره له تعبيرا كأنه يشاهد أمرا واقعاً ، فعرض الأمر على الملك ، وأقص عليه حلمه ، وحلم رئيس الخبازين، وأن غلاما عبرانيا فى السجن لرئيس الشرطة قد عبر لهما رؤياهم ، فكان الأمر كما قال ، وطلب أن يرسله إلى السجن ليأتى بالتعبير الذى لا مراء فيه من يوسف فارسله الملك إليه.

فلما التقى يوسف قال له أيها الصديق ، أفتنا فى سبع سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات تأكل الخضر فأخبره يوسف

بتأويل ذلك ، وهو أن مصر يأتي عليها سبع سنين مخصبات تجود فيها بالغلات الوافرة ، ثم سبع سنين مجدبة تأتي على المخزون من السنين السبع التي تقدمتها ، ثم بعد ذلك تأتي أعوام الخصب والرغد ، وأن عليهم أن يقتصدوا في سني الخصب السبع ، ويخزنوا ما فضل عن القوت في سنبله ، حتى إذا حل الجدب وجدوا في مخازنهم ما يسد الرمق إلى أن يأتي الخصب.

عاد رئيس السقاه إلى الملك بتأويل رؤياه ، فسر بها ، وعلم أنه تأويل مناسب متفق مع الرؤيا ، فقال الملك أئتوني بيوسف ، فلما أرادوه على ذلك أبى أن يخرج من السجن حتى يعرف أمره على حقيقته ، وطلب إلى الرسول أن يعود إلى الملك ، ويسأل عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن ، ولا بد أن يكون قد سماهن له بأسمائهن ، فلما أحضرهن الملك وسألهن عن شأن يوسف ، قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء ، وأنكرن ماسمعن شيئا عن شأنه وشأن امرأة العزيز وهذه الآيات المتعلقة بهذا الموقف " وقال الملك أئتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة الاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء"

في الكلام إيجاز كما هو شأن القرآن من عدم ذكر الأشياء التي تكون معلومة من المقام ، وفي الكلام شواهد تدل عليها ، والذي يفهم من الآيات ، أن يوسف كبر عليه أن يخرج من السجن ، وعليه سمة المجرمين الخائنين ليقف أمام الملك ، فأراد ألا يخرج من السجن إلا وهو ثابت البراءة مرفوعا

الرأس أبيض الصحيفة ، فذكر الحادثة على وجهها ، وأنه برئ منها وأن الجانية إنما هى زوجة العزيز التى بهتته فى وجهه وأن الإشاعة فى البلد كانت أن امرأة العزيز راودته عن نفسها، وآية ذلك النسوة اللاتى قطعن أيديهن فإنها لما سمعت أنهن لائمات لها دعتهن إلى دارها ، (وسماهن طبعا) وأنهن لما رأينه قطعن أيديهن ، وراودنه عن نفسه أيضا لها ولأنفسهن[1] وأن امرأة العزيز أقرت أما مهن قائلة فذلكن الذى لمتننى فيه ، ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكون من الصاغرين قالت ذلك على ملأ منهن ، وأنها نفذت وعيدها بإلقائه فى السجن وهو برئ مما يوجب سجنه وشهادتهن بما سمعنه من امرأة العزيز برهان براءته ، وتثبيت لقوله من أن الملك أحضرهن وسألهن عن شأنهن فى ذلك اليوم الذى راودن فيه يوسف عن نفسه فكان جوابهن " حاش لله ما علمنا عليه من سوء" وهذا يقتضى براءته ، وأنهن أتين بالشهادة على وجهها هو الذى أخرج مركز أمرأة العزيز ، وسد فى وجهها المسالك فلم تجد للإنكار سبيلا فقالت الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ،وهو مما يبرئ ساحة يوسف ، أن امرأة العزيز لما رأت أن يوسف الذى زجت به فى السجن ظلما ، قد أكرمه الله تعالى حتى صار من هم الملك أن يأتى به ليستخلصه لنفسه ، وأن تماديها فى اتهامه بما لم يقترف ، لا يجديها نفعا ، ولا يلحق بيوسف ضررا ، وطدت نفسها على الصدق فى شأن يوسف لأول مرة ، بعد أن بهتته فى وجهه ورمته بما هو منه براء وظلت مصرة على باطلها السنين الطوال ،

---

[1] والإتصرف عنى كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين".

فأقرت بما لا تقربه المرأة إلا مغلوبة على نفسها ، وباحت بما كتمته عن زوجها وآلها سنين عدة ، فقالت " الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدى كيد الخائنين ، وما أُبرئ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى إن ربى غفور رحيم"

بهذا الإقرار الصريح الدال على صدق يوسف وبراءته مما رمى به ظلما ذلك الإقرار الذى ما كان يوسف يظن أنه يصدر من امرأة العزيز الجانية عليه ، الموقعة له فى السجن ، لم يعد يؤمئذ فى حاجة إلى جمع الأدلة ، وتصيد البراهين على براءته ، وإقامة الحجج على أنه حبس ظلما وعدوانا ، وقدم فدية عن عرض امرأة العزيز ذبيحة بيد مكرها وقسوتها.

وبعض المفسرين يحمل قوله تعالى " وما أبرئ نفسى" من كلام يوسف وهو خطأ ، لأن نظم الآيات وروح الموضوع يأبيان ذلك ، وإنما هو من قول امرأة العزيز ، لأن ذلك صدر ويوسف فى السجن قبل أن يقول الملك ائتونى به استخلصه لنفسى"

يوسف بحضرة الملك

لما ظهرت براءة يوسف للملك هذا الظهور، وخرج يوسف واضح الحجة ، مستقيم المحجة ، قال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى ، وحينئذ رأى يوسف أنه لا علة ، فجاء الملك وكلمه ، فسر الملك به وأعجبه عقله ، وحسن تعبيره للرؤيا ، وسأله أى عمل يرضاه لنفسه ، ويكون فيه سروره ،

فقال يوسف اجعلني على خزائن الأرض ، وما يخرج منها من الغلات والخيرات ، إني حفيظ عليم [1]

ما قيل بشأن تمكين يوسف ودخوله على الملك وتوليه خزائن مصر

قال تعالى ﴿ **وقال الملك ائتونى به استخلصه لنفسى فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين ، قال اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم ، وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين**﴾ [سورة يوسف الآيات ٥٤-٥٥-٥٦]

عندما تعرض أبو السعود لتفسير الآية الأولى ، تحدث عن خروج يوسف من السجن ، ودخوله على الملك فقال ما نصه: (روى أنه عليه السلام لما جاءه الرسول خرج من السجن ودعا لأهله ، وأغفل ولبس ثيابا جديدا ، فلما دخل على الملك قال : اللهم إنى أسألك بخيرك من خيره ، وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره وشر غيره ، ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية ، فقال : ما هذا اللسان ؟ قال : لسان آبائى ، وكان الملك يعرف سبعين لسان ، فكلمه بها فأجابه بجميعها ، فتعجب منه فقال : أحب أن أسمع منك رؤياى ، فحكاها ، ونعت له البقرات والسنابل وأماكنها كأنه رآها ، فأجلسه على السرير ، وفوض إليه أمره ، وقيل : توفى قطفير فى تلك الليالى ، فنصبه منصبه ،

---

1 قصص الأنبياء ص ١٦٣-١٦٤.

وتزوج راعيل ، فوجدها عذراء وولدت لـه افرابيم وميشا ، ولعل ذلك إنما كان بعد تعيينه عليه السلام)

وعند تفسيره الآية الثالثة ، أعاد الكلام فيما تقدم فقال: (روى أن الملك توجه وختمه بخاتمه ، ورده بسيفه ، ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت ، فقال عليه السلام أما السرير فأسند به ملكك ، وأما الخاتم فأدبر به أمرك وأما التاج فليس من لباس ولا لباس آبائي ، فقال: قد وضعته إجلالا لك وإقرارا بفضلك ، فجلس على السرير ، ودانت له الملوك ، وفوض إليه الملك أمره ، وأقام العدل بمصر ، وأحبته الرجال والنساء ، وباع من أهل مصر في سني القحط الطعام في السنة الأولى بالدنانير والدراهم ، وفي السنة الثانية بالحلي والجواهر ، وفي الثالثة بالدواب ثم بالضياع والعقار ، ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا : ما رأينا كاليوم ملكا أجل وأعظم منه ، ثم اعتقهم ورد إليهم أموالهم [١]

أقول

١-ما ذكره أبو السعود من دخول يوسف على الملك وسلامه عليه بالعبرانية وإجابة الملك له ، وكان يعرف سبعين لغة وزواج يوسف بامرأة العزيز وإعادتها عذراء كما كانت ، دون أن يعزوه لقائل إنما هو من قول وهب بن منبه على ما ذكره الثعلبي في العرائس.[٢]

١ تفسير أبي السعود جـ ٤ ص ٢٨٦-٢٨٧.

٢ قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس ص ١١١.

وهذه الأخبار الإسرائيلية التى نقلها أو اقتبسها أبو السعود عمن سبقه كابن جرير الطبرى فى تفسيره [١] والثعلبى فى قصصه من قبيل ما يحتمل الصدق والكذب.

ولكن الأولى عدم الاشتغال بها ، فالإمساك عنها خير من روايتها لأن الاشتغال بها عبث لا فائدة فيه .

وحسبنا أن نقف عند ما قصه الله علينا من غير أن نفسد جمال تفسير القرآن الكريم بمثل هذه الإسرائيليات التى لا سند لها من كتاب أو سنة فهما المصدران اللذان يعول عليهما فى بيان مثل هذه الأمور ، ولم يثبت أنهما بينا لنا شيئا منها ، ولا أدرى من أين جاء الرواة بها ؟

والحق أنه لا مصدر لذلك إلا ما جاء فى الإصحاح الحادى والأربعين من سفر التكوين فقد جاء فيه أن الملك حين دخل يوسف عليه قال له (جعلتك على كل أرض مصر وخلع خاتمه من يده ، وجعله فى يد يوسف وألبسه ثياب بوص ووضع طوق ذهب فى عنقه ، وأركبه فى مركبته الثانية ... وأعطاه (سنات بنت فوطى فارع) زوجه وكان يوسف ابن ثلاثين [٢] سنة حين هذا الحادث.

---

[١] جامع البيان جـ ١٣ ص ٤-٥.
[٢] قصص الأنبياء ص ١٦٦-١٦٧.

ومن ذلك يتبين أن مثل هذه الروايات إنما هو مما عند أهل الكتاب، وغنى عن البيان أن ما عندهم ليس بحجة إلا إذا ورد فى شرعنا ما يؤيده.

ويعجبنى فى هذا المقام قول الشهاب العراقى ، فقد نص على أن زواج يوسف بامرأة العزيز ، وإعادتها عذراء كما كانت لا أصل له ولا يعول عليه فقال : (وشاع عند القصاص أنها عادت شابة بكرا إكراما له عليه السلام ، بعد ما كانت ثيبا غير شابة ، وهذا مما لا أصل له وخبر تزويجها أيضا مما لا يعول عليه عند المحدثين[1]

٢- أما ما ذكره أبو السعود من أن يوسف عليه السلام باع الطعام للناس فى أول سنة من سنى القحط بالنقود حتى استولى على دنانيرهم ودراهمهم ، وباعهم فى السنة الثانية بالحلى والجواهر ، وفى الثالثة بالمواشى والدواب ، وفى الرابعة بالضياع والعقار ،وفى الخامسة بالرقاب والأرواح فبعيد عن الحق والمنطق والصواب ، لأنه قول لا حجة له ولا دليل عليه ، فمثل هذه الأمور – كما ذكرنا آنفا – يكون طريق العلم بها النقل ، وما لم يكن كذلك بل كان يؤخذ من أهل الكتاب فلا يجوز تصديقه ولا تكذيبه.

وعلى فرض صحة هذه المرويات يحق لنا أن نتساءل (ألم يكن هذا الفعل بهذه الصورة من أفعال المستبدين الجاهلين بالحكم وأساليبه ؟ وهذا بالطبع لا يتفق وحكمة نبى من أنبياء الله ويوسف عليه السلام.

---

[1] تفسير الألوسى جـ ١٣ص ٥.

فماذا يكون حال دولة استولت حكومتها على جميع ما فى أيدى الناس حتى تجاوزت الممتلكات إلى النفوس والأرواح؟

وماذا يبقى للمرء فى الحياة وهو يقدم عرضه أو فلذة كبده نظير لقمة من العيش يعيش عليها لفترة قليلة من الزمن؟

أى الموت أهون عليه من أن يسلم زوجته أو ابنته أو أمه نظير تلك اللقمة قربانا يفتدى به نفسه لوقت من الأوقات

وماذا يكون حال رعية تقدم كل يوم تنازلا جديداً حتى تقدم الأهل والولد ؟

أهذا هو الحكم والعلم والحفظ الذى امتن الله به سبحانه على يوسف عليه السلام أم أنه النزق والطيش والسفه والاستمتاع بتعذيب الناس وإيلامهم والقضاء على كل أمل فى الحياة لهم ولعل المؤمنين بصحة تلك المرويات يحتجون بما جاء فيها من أن يوسف عليه السلام أراد بذلك أن يضرب للملك مثلا أعلى حتى يستن بسنته فى حكم الرعية عندما أطلق سراح الناس بعد ذلك.

ونرد على ذلك بأن هذا ليس بالأسلوب الأمثل والمناسب للوصول إلىتلك النتيجة ، بل كان أولى منه أن يظهر للناس من نفسه رقة وشفقة ورحمة وحلما حتى يخفف من آلامهم ،ويقلل ما استطاع من مخاوفهم.

ومن المفيد هنا أن ننقل رأى الإمام الحافظ ابن كثير فى تلك المرويات الإسرائيليات التى تسربت الـى تراث المسلمين ممـا هـو عنـد أهل الكتـاب ، والتى أكثر من ذكرها أبو السعود وغيره من المفسرين

يقول ما نصه : وما ذكره بعض المفسرين من أنه يعنى يوسف بـاعهم فى السنة الأولى ، وفى الثاية بالمتاع ، وفى الثالثة بكذا ،وفى الرابعـة بكـذا ، حتى باعهم بأنفسهم وأولادهم بعد ما تملك عليهم جميع ما يملكون ، ثم أعتقهـم ، ورد عليهم أموالهم كلها ، والله أعلم بصحة ذلك وهو من الإسرائيليات التى لا تصدق ولا تكذب والله أعلم [1]

إخوة يوسف فى مصر

مرت السبع المخصبة ، وأعد يوسف عدتـه فيهـا ، واتخـذ الخزائـن ، وخزن الغلات فى أغلفتها ، ثم جاءت السبع المجدبة فى جميع أنحـاء الأرض ، فأما المصريون فذهبوا إلى الملك يطلبون القوت فأحالهم على يوسف ، ففتح المخازن ، وباع لهم من الطعـام مـا يكفيهم، وأحسّ أهل فلسـطين الجـوع ، وعلمـوا أن الطعـام بمصـر ، فأرسل يعقوب أولاده ومعهم الجمـال والحمـير لحمل الطعام وأعطاهم الثمن ، فقدموا إلى مصر لشـراء قـوت لأهلهـم ، فلمـا قدموا إلى مصر رآهم يوسف ، فعرفهم ولم يعرفوه ، وذلـك طبيعـى ، ، لأنـه فارقهم وهو أمرد غض الإهاب ، وقد نـاهز اليوم الأربعين مـن عمـره وقـد

[1] تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣٢٢.

كسته أبهة الملك مهابة تغض عنه عين الناظرين إليه ، وأما هم فعلى حالهم فى ملبسهم ولغتهم ومنظرهم.

لما جهز يوسف إخوته بالطعام الذى اشتروه ، قال لهم ائتونى بأخ لكم من أبيكم أعاملكم مرة أخرى ، فإذا لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ، ولا تأتوا إلىّ ، وذلك أنه رأى أخوته جميعا إلا أخاه لأمه بنيامين ، وهو أصغر منه ، فأخذ فى استدراجهم حتى علم منهم حياته ، وأنه عند أبيه لم يسمح بمفارقته ، فأعطاهم الطعام بلا ثمن فى الواقع ليأتوه بأخيهم دون أن يعلموا أنه رد عليهم الثمن ، فقالوا له سنراود عنه أباه ، وكان يوسف قد أكرمهم وأظهر لهم السماحة ، وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم التى دفعوها ثمنا للطعام فى أوعيتهم فإنهم يعودون بها إلينا ، لأنهم لا يقبلون ما ليس لهم ، وقد جعل يوسف ذلك فخالفهم ليعودوا.

إخوة يوسف عند أبيهم

عاد إخوة يوسف إلى أبيهم وأخبروه أن المسئول عن التموين منعهم الشراء من الطعام فيما بعد حتى يأتوه بأخيهم لأبيهم ، فتذكر يعقوب قديم أمرهم بحديثه ، وعاودته لوعته على يوسف ، فقال لهم " هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل"

فتح أخوة يوسف متاعهم لاستخراج الطعام الذى أتوه به من مصر فوجدوا فضتهم بحالها لم تمس ، فكان ذلك مما شدد عزائمهم فى الكلام مع أبيهم ، وقالوا له يا أبانا ما نبغى ؟ هذه بضاعتنا ردت إلينا فإذا سمحت بأخينا

يذهب معنا فإننا نمير أهلنا ، ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ، وهو شئ يسير عند الملك الذى طلب أخانا والظاهر أن القحط كان شديدا جعل يعقوب يسمح بسفر ابنه تحت شروط اشترطها على أولاده ، فقال لهم : لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنى به إلا أن يحاط بكم ، أى الا أن تغلبوا على أمركم فأعطوه موثقهم على الوفاء بما اشترطه وحينئذ قال " الله على ما نقول وكيل " وأوصى بنيه أنهم إذا أتوا مصر لا يدخلون من باب واحد بل يدخلون من أبواب متفرقة ، ويقول المفسرون : إن ذلك لخوفه عليهم من الحسد ، ولكن الذى أميل إليه أن ذلك منه لئلا يلفتوا نظر الناس إليهم ، وذلك يدعو إلى التحدث بشأنهم ، والحدس فى مقصدهم ، فيظن بهم أنهم جواسيس ، أو رواد لمن وراءهم ممن يريد الإغارة على البلاد من الأقوام التى عضها الجوع.

وأيا ما كان من الأمر ، فقد عاد إخوة يوسف إلى مصر فى طلب الميرة ولم يبق عند أبيهم أحد منهم ، ومعهم البضاعة التى ردت إليهم[1]

حيلة يوسف فى إبقاء بنيامين عنده

أمر يوسف بتجهيز إخوته ، فملأ لهم الأعدال طعاما ، وأمر أن توضع فضة كل واحد فى عدله ، وأن توضع طاسة فى عدل الصغير وهى الطاس التى كان يشرب فيها ، فساروا غير بعيد ، وفاجأهم وكيل يوسف يناديهم ويوبخهم على ما صنعوا ، وأنهم قابلوا الإحسان بالإساءة ، وأنهم سرقوا

[1] قصص الأنبياء ص ١٦٧-١٦٨.

سقاية الملك (يوسف) فأظهروا البراءة من هذا العمل ، وقالوا : من وجدت سقاية الملك فى رحله يؤخذ عبداً للملك ، ففتش أعدالهم مبتدئا بالكبير ، منتهيا بالصغير ، فوجد السقاية فى عدل بنيامين فرجعوا إلى المدينة ودخلوا على يوسف مستعطفين مسترحمين ، ولامهم يوسف على ما صنعوا ، فراودوه على أن يأخذ أحدهم عبدا مكان أخيهم فأبى وقال إن الذى وجد الطاس فى رحله يستعبد لى ، وأما أنتم فاذهبوا إلى بلادكم ، وأبى يوسف بعد الاستعطاف ، وبينوا له أن أباه متعلق به ، وأنه سلوته عن أخيه المفقود أن يطلقه ، فقالوا بحضرة يوسف ، وقد ملئوا غيظا على بنيامين لما أوقعهم فيه من الورطة إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم وقال لهم : أنتم شر مكانا من هذا السارق والله أعلم بما تصفون ، وكانوا يعنون يوسف ذلك أن أمه ماتت وهو صغير فكفلته عمته ، وتعلقت نفسها به ، فلما اشتد قليلا أراد أبوه أن يأخذه منها ، فضنت به ، وألبسته منطقة إبرهيم كانت عندها وجعلتها تحت ثياب ، ثم أظهرت أنها سرقت منها ، وبحثت عنها حتى أخرجتها من تحت ثيابه يوسف ، وطلبت بقاءه عندها يخدمها مدة جزاء له بما صنع ، وبهذه الحيلة استبقته عندها ، وكف أبوه عن مطالبتها به .

يئس إخوة يوسف من أخذ أخيهم بطريق المبادلة فقال كبيرهم (روبين) إن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله برد أخيكم ، ومن قبل ذلك كان تفريطكم فى يوسف ، وعلى ذلك لن أبرح الأرض (مصر) حتى يأذن لى أبى فى القدوم ، أو يحكم الله فى شأنى ، وهو خير الحاكمين ، وأشار عليهم بالرجوع إلى أبيهم وإخباره بما كان من أمر أخيهم ومن الملك يوسف ، وأن ابنه صار

عبدا للملك بسبب سرقه طاسه ، وأن ظهور السرقة كان عن ملأ منهم ، ومن أهل العير التى كانوا فيها ، وأنهم صادقون فيما أخبروا به عاد أخوة يوسف عدا أكبرهم وأصغرهم إلى أبيهم ، وأخبروه بالأمر على جليته ، فلم يدخل عليه هذا القول ، وأحاله على أمر دبروه له ، كما دبروا لأخيه من قبل ، زاد به الحزن حتى ابيضت عيناه ، وعاوده من الوجد على يوسف ما عاوده فقال يا أسفا على يوسف ، فلامه أولاده على ذكر يوسف وقد انقضى أمره ، ثم إن يعقوب رد أولاده الذين وردوا عليه إلى مصر ليشتروا طعاما ، وليتحسسوا له شأن يوسف وأخيه ، وأمرهم بعدم اليأس من روح الله فإن ذلك شأن الكفار ، فذهبوا كما أمرهم أبوهم.

مقارنة بين القرآن والتوراة في تلك النقطة

إن القرآن يجعل أخذ الموثق على جميع أولاد إسرائييل العشرة ، والتوراة تجعله على يهوذا خاصة ، ولعله كان متكلما عنهم ، وكلمته كلمتهم ، وعهده عهدهم،

والقرآن يذكر أن يوسف آوى إليه أخاه ، وقال إني أنا أخوك ، والتوراة تجعل يوسف مجهولا من بنيامين إلى أن أخبرهم جميعا بأنه أخوهم بعد ذكر قصة الطاس.

والقرآن ذكر قولهم " إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل" والتوراة لم تذكرها

والقرآن يذكر عودة إخوه يوسف إلى أبيهم وإخباره بأن ابنه قد سرق واستعبد فى مصر .

والتوراة لم تذكره، ومعلوم أن القرآن مهيمن على ما تقدمه [١]

يوسف يتعرف إلى إخوته

جاء إخوة يوسف وقالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر (من الجوع) وجئنا ببضاعة مزجاة (قلتها) فأوف لنا الكيل (وإن الثمن لا يوجب ذلك) وتصدق علينا (بإطلاق أخينا من عبوديتك) إن الله يجزى المتصدقين ، فقال لهم يوسف مذكرا بما كان منهم من الإساءة ، هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتـ جاهلون ، إذ فرقتم بينهما ، وألهبتم صدورهما بنار البعد ، ولعله إنما كلمهم بلغتهم لأول مرة ، فعرفوا أنه يوسف ، لذلك " أئنك لأنت يوسف ؟ قال أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ، قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين ، قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، اذهبوا بقميصى هذا فألوقه على وجه أبى يأت بصيرا ، وأتونى بأهلكم أجمعين"

فلما فصلت عيرهم من مصر كانت نفس يعقوب مستشرفة لتغيير مابه من حال ، ولم يدب اليأس إلى نفسه ، بل هو يتوقع الفرج بلقاء يوسف الذى طال حزنه عليه فقال لمن حوله من جماعته إنى لأجد ريح يوسف لولا أن

---

[١] قصص الأنبياء ص ١٧٠-١٧١.

تفندون أى لأخبرتكم بأنى أتوقع لقاءه ، فقالوا له تالله إنك لفى ضلالك القديم أى خطئك القديم فى اعتقادك أن يوسف باق إلى اليوم، ولم يطل به الانتظار حتى جاء البشير إلى يعقوب بسلامة يوسف وأخيه ، وألقى قميص يوسف على وجه يعقوب فارتد بصيرا ، وقرت عينه ، وبشر نفسه بالآلاء لمن حوله ألم أقل لكم إنى أعلم من الله ما لاتعلمون ، ولا بد أن يعقوب لم يقل هذا القول إلا وقد أعلمه الله بحياة يوسف وأنه سيلاقيه.

شد يعقوب وآله أجمعون رحلهم إلى مصر ، فلما جاءوا إليها دخلوا على يوسف فآوى إليه أبويه أى يعقوب وزوجه خالة يوسف، لأن أمه كانت قد ماتت وهو صغير ، وسجد له أبوه وأمه وإخوته الأحد عشر، وقال لأبيه يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا ، وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن وجعلنى على خزائن الأرض ، بيدى الحل والعقد ، وإلى الأمر والنهى ، وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين إخوتى ، وهذا كله من لطف الله بى وبكم إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم[1]

[1] قصص الأنبياء ص ١٧٢-١٧٣.

داود عليه السلام

هو داود بن يس بن عويد بن بوعز بن سلمون بن نحشون بن عمينا داب بن أرام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن إسحاق بن إبرهيم عليه السلام [١]

مهمة الأنبياء فى ذلك الوقت

لما دخل بنو إسرائيل بلاد فلسطين مع يوشع بن نون عليه السلام ، وقسم لهم الأرضين ، قام يوشع بأمرهم إلى وفاته ، وأقاموا على ذلك يقيم لهم أمرهم قضاة منهم وليس فيهم ملك ، وكان ذلك سنة ست وخمسين وثلاثمائة بعد موسى عليه السلام .

وكان بنو إسرائيل فى تلك الأثناء عرضة لغزوات الأمم القريبة منهم كالعمالقة من العرب ، والمدائنين والفلسطينين والأراميين وغيرهم ، وكانت الأيام دولابين الفريقين تارة يغلبهم اليهود ، وتارة يغلبون اليهود وكان الأنبياء فى ذلك العهد مرشدين لأولئك القضاة والحكام من اليهود وواسطة بينهم وبين الله تعالى ، وفى بعض الأحيان يكون النبى قاضيا

[١] كما ورد فى إنجيل متى انظر قصص الأنبياء للشيخ النجار ص ٣٦١.

تابوت العهد وطلب بنى إسرائيل من صمويل تعيين ملك عليهم

إن العبرانين دخلوا فى حرب مع الفلسطينين من سكان أشدود بالقرب من غزة ، و قد أخذ بنو إسرائيل معهم تابوت العهد ، وهو التابوت الذى فيه التوراة أى الشريعة ليستنصروا به فغلبهم الفلسطينيون وأخذوا تابوت العهد ، ودخلوا به إلى بيت داجون [١] وكانت هزيمة بنى إسرائيل عظيمة ، وذلهم شديدا.

وكان من قضاة بنى إسرائيل نبى اسمه صمويل ، قضى لبنى اسرائيل زمنا ، وألح بنو إسرائيل على صمويل أن يقيم عليهم ملكا منهم يأتمرون بأمره ويقودهم إلى قتال أعدائهم الذين أذلوهم دهرا طويلا ، ويدفع عنهم من يريد الإغارة عليهم ، وكان صمويل عالما بعقلية بنى إسرائيل وعاداتهم ، وما انطوت عليه أنفسهم ، فقال لهم " هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا " والمعنى : أتوقع جبنكم عن القتال إن كتب عليكم فأجابوه قائلين : " وما لنا ألا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا ، والمعنى إن دواعى القتال موجودة وهى أن الأعداء أخرجونا من ديارنا وأسروا أبناءنا ، فلا يأتى منا النكول ونحن على هذه الحال وقد جاء فى الكتاب الكريم أنهم لما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم عرفهم صمويل بعد ذلك أن الله قد جعل طالوت ملكا عليهم.

[١] قرية قرب الرملة من بلاد فلسطين ، وكان تابوت العهد الذى لبنى إسرائيل ورد أيام طالوت.

وفى القرآن الكريم أن نبيهم لما أخبر بنى إسرائيل أن الله قد بعث لهم طالوت ملكا تذمروا وقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال ، فقال لهم نبيهم إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء.

وكان مما أخبر به صمويل بنى إسرائيل أن آية ملك طالوت أن يأتيهم التابوت الذى أخذ منهم و" فيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون" " أى موسى وهارون ، على حد قول عمر : لو ضاع عقال بشط العراق لخشيت أن يسأل الله عنه آل عمر ، يريد نفسه " تحمله الملائكة إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين"

وصعود التابوت من عند الفلسطينين هو الذى أقامه صمويل على ملك طالوت.

جمع بعد ذلك طالوت الجنود لقتال الفلسطينين ، وكان شجاعهم وعظيمهم رجل يقال له جالوت ، قد هابه الناس، وتحاموا حربه لشجاعته وقوته.

وكان فى ذهاب طالوت إليه أن قال لجنوده " إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فإنه منى إلا من اغترف غرفة بيده " فأصاب القوم فلما أشرفوا على النهر لم يملكوا أنفسهم أن شربوا منه إلا قليلا منهم امتنعوا وصبروا على الماء وآثروا طاعة الله وكانوا قليلا ، فلما جاوز النهر هو والذين آمنوا معه على قلتهم قالوا: لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده

، لأنهم نظروا إلى قلتهم ، وكثرة أعدائهم ، فقال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله أى المؤمنون بأنهم ملاقوا الله ، وإنما عبر بالظن للإشارة إلى أن مجرد الظن كاف للعاقل فى العمل لما ينجيه لأنه أخذ بالأحوط " كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين "

وقد كان من حاضرى الحرب داود بن يسى ، وكان صغيرا يرعى الغنم لا معرفة له بالحرب ، ولكن أباه أرسله إلى إخوته الثلاثة الذين مع طالوت ليأتيه عنهم بما يطمئنه عليهم ، فرأى جالوت وهو يطب المبارزة والناس قد تحامته لما ملأ أنفسهم من هيبته ، وتيقن كل مبارز له أنه هالك ، فسأل داود عما يصير لقاتل هذا الفلسطينى ، فأجيب بأن الملك يغنيه غنى جزيلا ، ويعطيه ابنته ويجعل بيت أبيه حرا فى إسرائيل.

كان داود فى ذهابه إلى إخوته المحاربين لا يعلم أنه سيحارب ، ولم يكن قد جرب نفسه فى الحرب ، ولكنه ذهب إلى طالوت وطلب الإذن بمبارزة جالوت ، فحذره من ذلك فقال إنى قتلت أسدا أخذ شاة من غنم أبى ، وكان معه دب فقتلته ، وألبسه طالوت لأمة الحرب ، فلم يعرف داود أن يمشى فيها فخلعها وتقدم بعصاه وخمسة أحجار ومعه مقلاعه ، وبعد كلام مع جالوت رماه داود بحجر فثبت فى جبهته وأخذ منه السيف وفصل به رأسه عن بدنه ، وهزم الفلسطينيون ، ووعده الملك أن يزوجه ابنته وجعله رئيس الجند.

نعم الله على داود عليه السلام

١- إن الله سخر الجبال مع داود يسبحن بكرة وعشيا وقد دل على ذلك بقوله ﴿**ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبى معه والطير**﴾ [سورة سبأ آية ١٠]

ويقول﴿**إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق**﴾[سورة ص آية ١٩.]

قال البيضاوى فى قوله أوِّبِى :(رجعى فى التسبيح كلما رجع فيه) وهذا أمر يدل على عظم شأنه ، وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال كالعقلاء المنقادين لأمره فى نفاذ مشيئته.

٢- تسبيح الطير معه كما تفعل الجبال أيضا قد ذكر فى سورة سبأ وفى سورة ص " والطير محشورة كل له أواب"

٣- عُلم منطق الطير ﴿**وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ** ﴾ [سورة النمل آية ١٦].

قال البيضاوى : الضمير فى أوتينا ، وعلمنا ، له ولأبيه ، أو له وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة ، ويؤيده فى نظرى أنه يتكلم عنه وعن أبيه قوله تعالى " يا جبال أوبى معه والطير " ثانيا قوله تعالى " والطير محشورة كل له أواب " ثالثا قوله "وورث سليمان داود " إذ الظاهر أنه ورثه فى العلم والحكمة.

٤- إلانة الحديد له كما فى قوله تعالى فى سورة سبأ " وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر فى السَّرد" (النسيج)

قال البيضاوى : ألنا له الحديد : جعلناه فى يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير إحماء وطرق بآلاته أو بقوته أهـ.

فكان يعمل الدروع المسرودة أى ذات الحلق من الحديد بيده معجزة له وأمرا خارقا للعادة ، ولو كان يعمل الدروع بواسطة النار لم يكن فى ذلك امتنانا من الله عليه ، إذ كل الناس يعملون كذلك ،اللهم إلا أن يدعى مدع أن الإنة الحديد لم تكن معروفة قبل داود ، وأن الله هداه إلى هذا الأمر الذى لم يكن معروفا قبله ، وهذا مالا سبيل إلى تحقيقه.

٥- عمله الدروع المركبة من حلق الحديد ، وكانت تعمل صفائح فكان هو الذى نسجها من حلق الحديد ، تناط الحلقة بأمثالها إلى أن يكمل الدرع ، وهى أخف من الدروع الأخرى وأبعد من مضايقة لابسها ، وهى تقى لابسها من أن تعمل فيه الأسلحة ،فهى على لابسها حصن متنقل بتنقله كما قال تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم له شاكرون"

٦- تشديد ملكه ، ذلك أن الله تعالى قواه فى الملك وجعله منصورا على أعدائه فقد انتصر على جميع مناوئيه قبل الملك وبعده ، وقام دهرا لا يقوم له معارض إلا غلبه ، ولا يتعدى على ملكه معتد من خارج مملكته فى أواخر ملكه.

قال البيضاوى : شددنا ملكه قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود .قيل إن رجلا ادعى بقرة على آخر وعجز عن البيان فأوحى الله إليه أن اقتل المدعى عليه ، فأعلمه ، فقال صدقت إنى قتلت أباه وأخذت البقرة ، فعظمت بذلك هيبته.

٧- آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب والمراد بالحكمة النبوة وأصل معناها اللغوى وضع كل شئ فى محله أى أن يقول الإنسان القول لاخلل فيه ويفعل الصواب الذى لا إعتراض لأحد عليه بل يأتى به الإنسان على وجه الكمال ولكن الحكمة بمعنى النبوة :تكون هبة من الله تعالى دون أن تكون نتيجة بحث أودرس ، فالنبوة طريق إلىالحكمة يختص الله به من اصطفاهم من عباده وهو الفاعل المختار قال البيضاوى فى تفسير : فصل الخطاب بتمييز الحق عن الباطل ، أو الكلام الملخص من غير التباس يراعى فيه بيان الفصل والوصل والعطف والاستئناف ، والإضمار ، والحذف ، والتكرار ، ولكن الأول أولى.

٨- أن الله أعطاه الزبور كما فى قوله تعالى " وآتينا داود زبورا "وهو عبارة عن قصائد وأناشيد تتضمن تسبيح الله وحمده والثناء عليه والتضرع له ، وبعض أخبار مستقبلة كما قال تعالى ﴿ **ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون** ﴾ [سورة الأنبياء آية ١٠٥.] أى أنه تضمن الأخبار بشأن النبى الآتى وهو محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وكان داود حسن الصوت، فيقال للحسن الصوت أنه أعطى

مزمارا من مزامير دادود عليه السلام ، وليس فى الزبور أحكام ولا أوامر ولا نواه [1]

موقفان لداود عليه السلام

ا **الأول** لا يختص بداود وحده بل يشترك معه ابنه سليمان عليهما السلام قال المفسرون : إن حرثا أى زرعا أو كرما تدلت عناقيده ، نفشت فيه غنم لغير أهله أى أكلته ليلا ، فجاء المتحاكمون إلى داود وعنده سليمان ، فحكم داود بالغنم لصاحب الحرث عوضا عن حرثه الذى أتلفته الغنم برعيها إياه ليلا ، فقال سليمان (وهو ابن إحدى عشرة سنة) غير هذا أرفق فأمر بدفع الغنم إلى أهل الحرث فينتفعون بألبانها وأولادها وأشعارها، والحرث إلى أهل الغنم يقومون عليه حتى يعود إلى ما كان ، ثم يترادان .

قال البيضاوى : والأول نظير قول أبى حنيفة فى العبد الجانى ، والثانى مثل قول الشافعى الحيلولة للعبد المغصوب إذا أبق ، وحكمه فى شرعنا عند الشافعى وجوب ضمان المتلف بالليل إذ المعتاد ضبط الدواب ليلا، وكذلك قضى النبى صلى الله عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء حائطا وأفسدته ، فقال على أهل الأموال حفظها بالنهار، وعلى أهل الدواب حفظها بالليل ، وعند أبى حنيفة لاضمان إلا أن يكون معها حافظ

[1] قصص الأنبياء ص ٣٦٨-٣٧٠.

الثانى قالوا إن داود جزأ أزمانه يوما للعبادة ، ويوما للقضاء ، ويوما للوعظ ، ويوما لخاصة نفسه ، فتسور عليه ملائكة فى صورة الناس فى يوم الخلوة والاحتجاب ، والحرس على الباب لايتركون من يدخل عليه ففزع منهم ، فقالوا لا تخف نحن فوجان مختصمان بغى بعضنا على بعض ، فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط (تجرْ فى الحكم) واهدنا إلى سواء الصراط (وهو العدل) إن هذا أخى (فى الدين والصحبة) له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة (وهى الأنثى من الضأن) فقال أكفلنيها (أى ملكنيها) وعزنى فى الخطاب (أى غلبنى فى الحجة) فأجاب داود قائلا : لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه (منكرا فعل خليطه ، ومهجنا طمعه) وإن كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم (أى قليل وجودهم وكأنه يتعجب لقلتهم) وظن داود أنما فتناه (ابتليناه بالذنب وامتحناه بتلك الحكومة ليتنبه) فاستغفر ربه (لذنبه) وخر راكعا وأناب (إلى الله بالتوبة) ، ولعل داود رأى أنه أسرع بالحكم قبل سؤالى المدعى عليه ، وعلم أنه تجاوز الحق بذلك فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب ، وهو أحد الآراء التى تحمل عليها الآية وهو حسن هذا هو الذى ينبغى المصير إليه وهو اللائق بمقام داود الذى يقول الله تعالى فيه " نعم العبد إنه أواب" ويقول أيضا " وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب " ويقول " وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب"

بيان الدخيل

قال البيضاوى : وأقصى ما فى هذه القصة الإشعار بأنه عليه السلام ود أن يكون له ما لغيره ، وكان له أمثاله فنبهه الله بهذه القصة فاستغفر وأناب .ولكن أولى من هذا ما قدمناه ومن الدخيل ما روى أن بصره وقع على أمرأة فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمان ، إن صح فلعله خطب مخطوبته أو استنزله عن زوجته ، وكان ذلك معتادا فيما بينهم ، وقد واسى الأنصار المهاجرين بمثل هذا

وما قيل من أنه أرسل أوريا مرارا إلى الحرب ، وأمر أن يتقدم حتى قتل فتزوجها ، فهزؤ وافتراء ، ولذلك قال على رضى الله عنه من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين ، أقول إن المائة والستين حد القذف ، وكأنه رضى الله عنه أراد أن حد القذف ، والثانى تغليظ لأن المقذوف نبى.

أما مواساة الأنصار للمهاجرين بنحو هذا فمبلغ علمى أن سعد بن الربيع عرض على عبد الرحمن بن عوف أن يطلق إحدى زوجتيه ليتزوجها عبد الرحمن فأبى.

إن ما نقل عن البيضاوى وفرض صحته وهو احتمال أنه خطب على خطبة رجل آخر ، أو طلب إليه أن ينزل له عن زوجته ، وأن ذلك كان سائغا

عندهم إنما هو قول تلطف به المسلمون ، وأما أهل الكتاب فإنهم يقولون : إن داود نظر وهو يمشى على سطح داره إلى أمرأة تستحم فأعجبته ، وأغرم بها وأتى بها واضطجع معها فحملت منه وأعلمته وكان زوجها أوريا الحثى فى الحرب ، فأتى به ليسأله عن أمر الحرب فى الظاهر وليحدث الرجل بامرأته عهدا حتى لا يرتاب بأمرها إذا علم فيما بعد أنها حامل ولكن الرجل كان تقيا جدا فبات بباب داود ولم يزر امرأته لأنه رأى من عدم التقوى أن يتمتع بزوجه وإخوانه فى الحرب بعيدون عن أزواجهم ، فلما علم داود بأمره لم يـر وسيلة لعدم افتضاح أمره إلا تعريض أوريا لجبهة القتال حاملا الراية ، وأن يتأخر عنه الجند بعد التقدم ، وبهذه الوسيلة قتل الرجل ، وأتت أمرأته بولد من تلك الزنية ، وتزوجها داود ، ثم مرض الولد فحزن داود لمرضه حزنا شديدا حتى لا يقدر أحد على تسرية همه، ثم مات الولد ،ومن هذه المرأة كان سليمان ، وكل هذا منهم كذب وافتراء[1]

الحكم المستفادة من قصة داود

١- إن داود عليه السلام اختاره الله تعالى ليفعل العجائب بيده ، ولم يكن من أهل تلك الأفعال ، لأنه كان غلاما راعيا للغنم ، فقتل الله تعالى بيده جالوت الجبار الذى تحامته الأبطال ، ولم يقاتله بسيف ولا رمح ، ولم ينزل إليه بدرع ولا ترس، وإنما قتله بحجر أرسله من المقلاع فكان ذلك أدل على قهر الله تعالى للجبابرة بأحقر الأشياء على يد أضعف العباد.

[1] قصص الأنبياء للشيخ النجار ص ٣٧٠-٣٧٢.

٢- إن الشخص الضعيف لا ينبغى له أن ييأس من النجاح وإحراز أسباب الفلاح ما دام معتصما بأسباب التقوى والشكر لنعم الله تعالى .

٣- إن انتصار داود على جالوت لم يغير من طباع داود ، ولم يذهب به مذهب أهل الكبرياء بل لم يزده هذا الأمر إلا تواضعا وكان الله تعالى يرفعه درجات كلما تواضع وشكر .

٤- إن طاعة الله تعالى وشكر نعمه مما يوجب المزيد منها ، فإن الله تعالى لما رأى طاعة داود وشكره زاده من نعمه ، فألان له الحديد ، وعلمه صنعة الدروع المسرودة لتحصن الناس من البأس ، وأنعم عليه بولده سليمان الذى ورثه ملكه وعلمه وحكمته.

سليمان عليه السلام

هو سليمان بن داود وقد ذكر إنجيل متى ، ابن يسىّ بن عويد بن بوعز بن سلمون بن نحشون بن عمينا داب بن أرام بن حصرون بن فارص ابن يهوذا بن إسحاق بن إبرهيم عليه السلام .

المواقف التى أنعم الله بها على سليمان

الأول أن الله منحه الذكاء وإصابة الحكم منذ صباه ، يدل على ذلك قصة الحرث الذى نفشت فيه غنم القوم ، فقد وفق إلى الحكم الأقوم ، قال تعالى ﴿ **وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ، ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال**﴾ [سورة الأنبياء آية ٧٨، ٧٩] وهذه القصة لم تذكر فى كتب أهل الكتاب .

الثانى أن الله تعالى علمه منطق الطير ، كان من جواب سليمان عن معانى صيحات حيوانات متعددة ، والنملة التى سمع كلامها ، قال تعالى﴿**ورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ إن هذا لهو الفضل المبين ، وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون ، حتى إذا أتوا على واد النمل ، قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون**﴾

[سورة النمل الآيات ١٦-١٧-١٨] وعند تفسير هذه الآيات روى الإمام أبو السعود خبرا طويلا تحدث فيه عن معانى ما تقوله بعض الطيور ، وما كان من جواب سليمان عن ذلك :

فقال : (ويحكى أنه - أى سليمان - مر على بلبل فى شجرة يحرك رأسه ، ويميل ذنبه ، فقال لأصحابه أتدرون ما يقول ؟ قالوا الله ونبيه أعلم ، قال : يقول : إذا أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء ، وصاحت فاختة ، فأخبر أنها تقول : ليت الخلق لم يخلقوا ، وصاح طاووس فقال : يقول : كما تدين تدان ، وصاح هدهد فقال : يقول : استغفروا لله يا مذنبين ، وصاح طيطوى فقال يقول : كل حى ميت ، وكل جديد بال ، وصاح خطاف فقال : يقول : قدموا خيرا تجدوه ، وصاح قمرى فأخبر أنه يقول سبحان ربى الأعلى، وصاحت رخية فقال ، تقول : سبحان ربى الأعلى ملء سمائه وأرضه ، وقال : الحدأة تقول : كل شئ هالك إلا وجهه إلا الله ، والقطاة تقول : من سكت سلم ، والببغاء تقول : ويل لمن الدنيا همه، والديك يقول : اذكروا الله يا غافلين ، والنسر يقول : يا ابن آدم عش آخرك الموت ، العقاب تقول : فى البعد عن الناس أنس ، والضفدع يقول : : سبحان ربى القدوس ، وعن معسكر سليمان وبساطه قال أبو السعود : روى أن معسكره عليه السلام كان مائة فرسخ فى مائة ، خمسة وعشرون للجن ، وخمسة وعشرون للإنس ، وخمسة للطير ، وخمسة وعشرون للوحش ، وكان له عليه الصلاة والسلام ألف بيت من قوارير على الخشب ، فيها ثلاثمائة منكوحة ، وسبعمائة سرية ، وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وإبرسيم فرسخا فى فرسخ ، وكان

يوضع منبره فى وسطه وهو من ذهب ، فيقعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسى من ذهب وفضة ، ومقعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة ، وحولهم الناس ، وحول الناس الجن والشياطين ، وتظله بأجنحتها ، حتى لا تقع عليه الشمس ، ثم ترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر.

ويروى أنه كان يأمر الريح العاصف تحمله ، ويأمر الرخاء تسيره فأوحى الله تعالى إليه وهو يسير بين السماء والأرض إنى قد زدت فى ملكك ، لا يتكلم أحد بشئ إلا ألقته الريح فى سمعك ، فيحكى أنه مر بحراث فقال : لقد أوتى آل داود ملكا عظيما فألقته الريح فى أذنه ، فنزل ومشى إلى الحراث وقال : إنما مشيت إليك لئلا تتمنى ما لاتقدر عليه ، ثم قال : لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أوتى آل داود.

وعن تحديد مكان وادى النمل قال : ووادى النمل واد الشام كثير النمل على ما قاله مقاتل رضى الله عنه ، وبالطائف على ماقاله كعب رضى الله عنه ، وقيل هو واد تسكنه الجن ، والنمل مراكبهم وعن وصف النملة ، وبأى الأسماء كانت تسمى قال : كانت نملة عرجاء ، تمشى وهى تتكاوس ، فنادت بما قالت ، فسمع سليمان عليه السلام كلامها من ثلاثة أميال ، وقيل كان اسم النملة طاخية)[١]

[١] تفسير أبى السعود جـ ٦ ص ٢٧٧ -٢٧٨.

بيان الدخيل

عندما أخذ أبو السعود يفسر هذه الآيات تعرض لعدة نقاط ، ما كنا نود له ولغيره من المفسرين أن يتعرضوا لها ، وأن يسودوا كتبهم بها ، إذ لا نفع فيها ، ولا جدوى تذكر من ورائها ، وكان عليهم أن يلتزموا بما أجمله القرآن دون تزيدات ما أنزل الله بها من سلطان.

من هذه النقاط ما يلى

١- القصة التى أوردها أبو السعود بشأن ما تقوله بعض الطيور وجـواب سيدنا سليمان عن ذلك ، قصة فى منتهى الغرابة والبعد ،مع ذلك فإن إمامنا يرويها لنا ، وبعد الفراغ منها لا يتعقبها بتصحيح أو تضعيف ، ونحن نؤمن بأن سليمان عليه السلام علمه الله منطق الطير – وهو كما يقول البيضاوى – ولعل سليمان مهما صوت حيوان علم بقوته الحدسية الذى صوته ، والغرض الذى توخاه به ، والنطق والمنطق فى التعارف : كل لفظ يعبر به عما فى الضمير مفردا كان أو مركبا مفيدا كان أو غير مفيد ، وقد يطلق على كل ما يصوت به على التشبيه أو التبع[1]

[1] تفسير البيضاوى ص ٥٠١.

وقد دلت الأبحاث الحديثة على أن لكل جماعة من الطير طريقة خاصة يتفاهم بها أفراده ،منها اللمس ، ومنها الصوت ، ومنها الإشارة[١]

أقول : نحن نؤمن بأن الله تعالى اختص سليمان بمعرفة لغة الطير ، ولكن أى دليل على ما ذكره أبو السعود من أن سليمان مر على بلبل فى شجرة يحرك رأسه ، فقال لأصحابه أتدرون ما يقول؟ قالوا الله ونبيه أعلم ، قال : يقول : إذا أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء ، وصاحت فاختة . فأخبر أنها تقول كذا ، وصاح طاووس فأخبر عن قوله، وصاح خطاف ..وصاحت رخية ، والحدأة ... والديك ...يقول : اذكروا الله يا غافلين إلى آخر ما هنالك من غرائب وحكايات لم يجئ فيها خبر صحيح والواقع أن كل هذه الزيادات أدرجها أبو السعود فى تفسيره تأثرا بمن سبقه من المفسرين، كالزمخشرى فى تفسيره ، والبيضاوى كذلك ، والقرطبى [٢]

وفى مقدمة هؤلاء جميعا الثعلبى ، فهو المصدر الحقيقى لهذه الأخبار ، فقد ذكر فى قصصه ما ذكره أبوالسعود هنا ونسبه إلى كعب وغيره ممن عرفوا بالأخذ عن بنى إسرائيل [٣]

---

[١] المنتخب فى تفسير القرآن الكريم ص ٥٦٤ طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

[٢] تفسير الزمخشرى جـ ٣ ص ١٣٦ والبيضاوى ص ٥٠١ والقرطبى جـ ٣ ص ٤٨١.

[٣] قصص الأنبياء للثعلبى ص ٢٦١.

وعليه فما ذكر من أخبار إنما هو متلقى من علماء أهل الكتاب ولا يصدق منه إلا ما وافق الحق ، ولا يكذب إلا ما خالف الحق ، والباقى ما لا يصدق ولا يكذب.

٢- من نقاط الدخيل أيضا ما ذكره أبو السعود من أن معسكر سليمان كان مائة فرسخ فى مائة مقسمة بالسوية بين الإنس والجن ، والطير ، والوحوش ، كذلك ما ذكره عن البساط ، وكيف نسج من ذهب وإبرسم ، وكيف أن للبساط ألف ركن ، فى كل ركن ألف بيت من قوارير ، يكون فيها جند سليمان من كل صنف إلى غير ما هنالك من روايات لا يقبلها عقل ولا يصدقها نقل.

وما ذكره أبو السعود من روايات فى هذا الصدد دون أن يعزوها لمصدر أو راو ، إنما هو من رواية محمد بن كعب ، ومقاتل ، ووهب بن منبه ، على ما ذكره ابن جرير فى التفسير ، والثعلبى فى العرائس والسيوطى فى الدر [١]

وبهذا نقف على من كان المصدر الحقيقى لهذه الروايات ، وأنه وهب وأمثاله من مسلمى أهل الكتاب.

وأقول إن مثل هذه الروايات لا معنى لها ، ولا فائدة من ذكرها ، وآثار الوضع عليها ظاهرة ، وللإمام الشوكانى ملحظ طيب فى استبعاد ما

[١] جامع البيان جـ ١٩ ص ٥٨٧ وقصص الأنبياء للثعالبى ص ٢٦١ والدر المنثور جـ ٥ ص ١٠٣-١٠٤.

ذكره المفسرون فى مقدار جند سليمان فيقول : وقد أطال المفسرون فـى ذكـر مقدار جنده ، وبالغ كثير منهم مبالغة تستبعدها العقـول ، ولا تصـح مـن جهـة النقل ، ولو صحت لكان فى القدرة الربانية ما هو أعظم من ذلك وأكثر [1]

كذلك تستبعد العقول المبالغات التى قيلت عن بساط سليمان، ورحم الله الجـلال السيوطى فقد أورد مـا قالـه المفسـرون عنـه مـن روايـة أبـى بكـر الإسماعيلى عن أنس بـاختلاف فـى الألفـاظ وزيـادة ثم عقب عليـه بقولـه : (موضوع ، وأكثر رواته مجهولون ، وعبد الرحمن بن قيس ، مـتروك يضـع الحديث)[2]

ويأتى لنا الألوسى بصفوة القول فى هذا الموضوع ، حيث يذكر هذه الروايات التى قيلت فى هذا الصدد ، ثم يكر عليها مفندا فيقول : (وأكثر الأخبار فى هذا الشأن لا يعول عليهـا فعليك بالإيمـان بمـا نطـق بـه القرآن ، ودلت عليه الأخبـار الصحيحـة ، وإيـاك مـن الانتصـار لمـا لا صحـة لـه ممـا يذكره كثير من القصاص والمؤرخين مما فيه مبالغـات شـنيعة ، بمجـرد أنهـا أمور ممكنة يصح تعلق قدرته عز وجل بها ، فتفتح بذلك باب السخرية بالدين ، والعياذ بالله تعالى ، ولا يبعد أن يكون أكثر ما تضمن بمثل ذلك من وضـع الزنادقة (يريدون به التنفير عن دين الإسلام)[3]

---

[1] فتح القدير جـ ٤ ص ١٣٠ ص دار الفكر.
[2] الآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة جـ ١ ص ١٧٢.
[3] تفسير الألوسى جـ ١٩ ص ١٧٥.

ومن العلماء الذين تناولوا موضوع البساط بالإنكار فضيلة الشيخ عبد الوهاب النجار فقال بصدد ما جاء فيه ، (وأقول : تحريك الريح لأى شئ عظيم ليس ببعيد ، ومسير الريح هذه المسافة شئ ضئيل فى قدرة الله تعالى ، ولكن الذى أريد الحصول عليه هو وقوع ذلك بالفعل والدليل عليه ، فإنى لم أجد ذلك فى القرآن) قلت ولا فى السنة لم أجد ذلك فى خبر صحيح عن المعصوم صلى الله عليه وسلم وعلى كل حال فهذا البساط بهذا المقدار يعنى أن مساحته أكبر من مائة كيلو متر مربع – كما وصفته الروايات بذلك – إنما هو أسطورة تكفل برواجها تبرع الناس بحمل كل ما للأنبياء صلوات الله عليهم على الغرابة ، وعدم السير على السنن الطبيعى ، وحبهم للتزيد على ما منحهم الله إياه من غرائب المعجزات والعجائب التى منحها الله لأنبيائه مما جاء به نص قطعى الثبوت والدلالة ، ولكنا لا نبذر فيها ولا نسرف..)[١]

والذى أراه فى هذا المقام : الوقوف على ما أجمله القرآن ودل عليه ، وهو أن سليمان عليه السلام سخر الله له الريح تجرى بأمره حيث شاء وأراد ، وتحمله غدوها مسيرة شهر ورواحها مسيرة شهر ، كما قال تعالى **﴿ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر﴾** [سورة سبأ آية ١٢.]

وما عدا ذلك من تفصيلات حول بساط سليمان الذى كان يركبه ، وتحمله الجن إلى غير ذلك من الروايات ، فلا يعنينا الخوض فيها.

[١] قصص الأنبياء للشيخ النجار ص ٣٧٨-٣٨٠.

٣- نأتى بعد ذلك إلى نقطة أخرى أدرجها أبو السعود فى تفسيره حينما حكى اختلاف العلماء فى شئ أبهمه القرآن لعدم فائدة فى ذكره ألا وهو تحديد مكان وادى النمل فهل هو بالشام كما قال مقاتل ، أو هو بالطائف كما قال كعب ،أو هو واد تسكنه الجن كما قال غيرهما ، أو هو بالبحر، أو هو فيما وراء الهند كما قال بعض المفسرين؟ وكل ذلك لا ينبغى التعويل عليه.

ومثل ذلك يقال فيما هو مروى عن وصف النملة بكونها ذكرا أو أنثى، عرجاء أم سليمة ، وبأى الأسماء كانت تسمى فكل ذلك قد سكت عنه القرآن ، وحكى لنا خبره عاما مبهما فوجب علينا أن لا نبحث فى تفصيلاته ، أو ننقب عن مبهماته إذ أنه لا يتعلق بشأنه كبير فائدة ، ونرى فى موقفنا هذا سبقا وتأييدا من العلماء المحققين من أئمة الدين .

يقول الحافظ ابن كثير : ومن قال من المفسرين: إن هذا الوادى كان بأرض الشام أو بغيره وأن هذه النملة كانت ذات جناحين كالذباب أو غير ذلك من الأقوال فلا حاصل لها [١]

وأيضا نجد الإمام الشوكانى : يتعرض فى تفسيره لما جاء عن اسم الهدهد واسم النملة فيقول مفندا هذا الكلام : (روى ابن أبى حاتم عن الحسن قال : كان اسم هدهد سليمان غبر) .

[١] تفسير ابن كثير جـ ٦ ص ١٩٤.

وأقول : من أين جاء علم هذا للحسن رحمه الله ، وهكذا ما رواه عنه ابن عساكر أن اسم النملة حرس ، وأنها من قبيلة يقال لها بنو الشيطان ،وأنها كانت عرجاء ، وكانت بقدر الذئب ، وهو رحمه الله أورع الناس عن نقل الكذب، ونحن نعلم أنه لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك شئ ، ونحن نعلم أنه ليس للحسن إسناد متصل بسليمان أو بأحد من الصحابة فهذا العلم مأخوذ من أهل الكتاب ، وقد أمرنا أن لا نصدقهم ولا نكذبهم ، فإن ترخص مترخص بالرواية عنه لمثل ما روى " حدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج" [١] فليس ذلك فيما يتعلق بتفسير كتاب الله سبحانه بلا شك ، بل فيما يذكر عنه من القصص الواقعة لهم [٢] ثم نرى الألوسى يقر هذا المعنى فى تفسيره ، ويعتبر ما أورده المفسرون فى هذا الصدد من مبالغات القصاص التى لايصح لها مستند فيقول : (وبالغ بعض القصاص فى كبرها – يعنى النملة – ولا يصح لها مستند ، وفى بعض الآثار أنها كانت عرجاء ، واسمها طاخية ، وقيل : جرمى ، وفى البحر اختلف فى اسمها العلم ما لفظه وليت شعرى من الذى وضع لها لفظ يخصها أبنو آدم أم النمل. انتهى [٣] وهكذا نرى أنه لا دليل على تعيين مكان وادى النمل ، ولا على اسم النملة ، ولا حاجة لنا فى هذا التعيين

---

١ جزء من حديث سبق تخريجه.
٢ فتح القدير للشوكانى جـ ٤ ص ١٣٥.
٣ تفسير الألوسى جـ ١٩.

فائدة بساط الريح لسليمان

قال الله تعالى ﴿ **فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث اصاب**﴾ [سورة ص آية ٣٦]

وفى آية أخرى ﴿ **ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره إلى الأرض التى باركنا فيها** ﴾ [سورة الأنبياء آية ٨١] أى أن الريح العاصفة تجرى بأمره رخاء فهى فى هذه الحالة تقطع مثل ما تقطعه وهى عاصفة ، وبعد هذا فهل من لوم على من يقول أن الريح كانت مسخرة لسليمان يصرفها تجرى بأمره رخاء فيأمرها بأن تهب فى هذه الناحية لاحتياج أهلها إلى الريح الرخاء للانتفاع بها فى زرعهم ومعاشهم ، أو فى تزجية السفن تصل إلى المرافئ سالمة ، وبذلك يندفع ما قد يقال ، وما فائدة تسخير الريح إذا لم تحمله وجنوده إلى مسافات بعيدة .

بيان الدخيل

ولا أدرى لم ذهب سليمان إلى اصطخر ثم إلى خراسان ؟ وليستا من ملكه ، وإذا ذهب زائرا لملوك تلك البلاد ، فأى داع إلى أخذ الجند الذين لا يقل عددهم عن مليونين؟ وكيف يسمح الملوك لملك زائر بإدخال الآلاف المؤلفة من الجند إلى ممالكهم؟

وإذا كان سليمان لم يعلم بمملكة سبأ وملكتها حتى هداه الهدهد إلى ذلك، فكيف يترك اليمن التى فى متناول يده ويذهب إلى اصطخر ثم إلى خراسان ؟ ولم لمّ يكن ذلك إلى مصر ، ومصر أقرب البلاد إليه ؟

هذا وبعض المفسرين يقدر مسير الريح بشهر أى بمسير الذاهب للتنزه بحيث يكون سيره فى اليوم فرسخا أو تسعين ميلا فى الشهر ولما كان الفرسخ البرئ ٤٤٤٤ مترا كان مدى غدوة الريح فى الشهر ٣٢٠ /١٣٣ ك وهو مقدار ضئيل.

ولو أن القائلين ببساط سليمان الذى تحمله الريح اقتصروا به على عشرة أذرع فى مثلها أو عشرين ذراعا فى مثلها أو مائة ذراع فى مثلها لكان الأمر معقولا مقبولا ، أما وهم يقولون إن فيه ألف ركن ، وفى كل ركن ألف بيت فإنهم يحملون له من السعة وترامى الأطراف مالا يقبله تصور ، بل لم يكن فى ملك سليمان كله ما يكفى لشغله من الجند إذ جعلوا به مليونا من البيوت للجند ، فإذا كان بالبيت الواحد جنديان فقط كان به مليونان من الجند ، ولا يصح أن يكون قد خلف من الجند أقل منهم لحماية البلاد ، فتلك أربعة ملايين ، فإذا كان عشر السكان وجب أن يكون السكان أربعين مليونا ، وهو عدد لا يمكن أن تكون فلسطين ولبنان وسوريا بنصفه أو بربعه.

ويكون البساط فى مساحة أكبر من مائة كيلو متر مربع ، ومحال أن نجد فى فلسطين مكانا مستويا يستقر عليه هذا البساط فضلا عن البلاد التى

ينتقل إليها على غير استعداد ، وهذه مدينة بيت المقدس ليس فيها مكان مستو أصلا فأين كان سليمان يبسط بساطه؟

على أن سليمان كانت أسفاره مع جنوده على الأرض لا على متن الريح كما يقولون ، وهذا القرآن الكريم يقص علينا قول النملة حين مرّ على وادى النمل إذ قالت نملة يأيها ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون" وما كان سليمان وجنوده ليحطموا النمل وهم على بساط الريح الذى يزعمون.

إن مملكة سليمان وداود لم تمتد إلى أكثر من خليج أيلة وفلسطين وشرق الأردن ولبنان وسوريا إلى شط الفرات فقط.

وهذا المقدار لا يحتاج فى السفر إلى الشهور بل يحتاج إلى أيام فما كان فى حاجة إلى بساط تحمله الريح ، ولم يكن له من الجند ما يتلاءم مع مقدار البساط ، فهذا ابن خلدون يقول : إن مبلغ خيله لم يزد على اثنى عشر ألف فرس ، ومثل ذلك فى كتب الأنبياء وعلى كل فهذا البساط بهذا المقدار إنما هو أسطورة تكفل برواجها تبرع الناس بحمل كل ما للأنبياء صلوات الله عليهم علىالغرابة ، وعدم السير على السنن الطبيعى ، وحبهم للتزيد على ما منحهم الله إياه من غرائب المعجزات ، ونحن نقر بالمعجزات والعجائب التى منحها الله لأنبيائه مما جاء به نص قطعى الثبوت والدلالة ، ولكنا لا نبذر فيها ولا نسرف[1]

[1] قصص الأنبياء للشيخ النجار ص ٣٧٨- ٣٨٠.

الموقف الرابع من النعم التى أنعم الله بها على سليمان

الصافنات الجياد قال تعالى ﴿ **ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب ، إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد فقال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ، ردوها علىّ فطفق مسحا بالسوق والأعناق**﴾[سورة ص آية ٣٠-٣٣.]

أقوال بعض المفسرين فى هذه الآية ، وهو أن سليمان عرض عليه خيل فى وقت العصر ، فألهاه ذلك عن صلاة العصر ، فغضب لذلك وطلب من الله أن يرد عليه الشمس بعد غروبها ليصلى العصر حاضرا، فردت ثم غضب على الخيل التى كانت سببا فى فوت الصلاة فقطع أعناقها وسوقها ، وأن الضمير فى قوله حتى توارت ، وفى قوله تعالى "ردوها " للشمس المفهومة من قوله بالعشى ومعنى " أحببت حب الخير عن ذكر ربى " أنه أحب هذا الخيل معرضا عن ذكر ربه وهو الصلاة ، وهذا التأويل وما تضمنه آراه بعيدا بل أراه بعيدا بعد المشرقين .

وإنى أترك الفخر الرازى يرد عليه فى تفسيره ، قال : إن هذه القصص إنما ذكرها الله تعالى عقب قوله تعالى " وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب" وإن الكفار لما بلغوا من السفاهة إلى هذا الحد قال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم " اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود " وذكر قصة داود ثم ذكر عقبها قصة سليمان ، وهذا الكلام لا يكون لائقا إلا بقولنا أن سليمان عليه السلام أتى فى هذه القصة بالأعمال الفاضلة والأخلاق

الحميدة وصبر على طاعة الله ، وأعرض عن الشهوات واللذات ، فلو كان المقصود من قصة سليمان عليه السلام فى هذه المواضع أنه أقدم عل الكبائر العظيمة ، والذنوب الجسيمة لم يكن ذكر القصة لائقا بهذا الموضع فثبت أن كتاب الله تعالى ينادى على هذه الأقوال بالرد والإفساد والإبطال.

التفسير الصحيح

إن رباط الخيل كان مندوبا إليه فى دينهم ، كما أنه مندوب إليه فى دين محمد صلى الله عليه وسلم ، فاحتاج إلى الغزو ، فجلس وأمر بإحضار الخيل ، وأمر بإجرائها وذكر أنه لا يحبها لأمر الدنيا ونصيب النفس، وإنما يحبها لأمر الله تعالى ، وطلب تقوية دينه ، وهو المراد من قوله " عن ذكر ربى " ثم إنه عليه السلام أمر بإعدائها وتسييرها حتى توارت بالحجاب أى غابت عن بصره ، ثم أمر الرائضين أن يردوا تلك الخيل إليه ، فلما عادت إليه طفق يمسح سوقها وأعناقها **والغرض من ذلك المسح أمور:**

الأول تشريفا لها ، وإبانة لعزتها لكونها من أعظم الأعوان لدفع العدو

الثانى أراد أن يظهر أنه فى ضبط السياسة والملك متمتع إلى حيث يباشر أكثر الأمور بنفسه.

الثالث أنه كان أعلم بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها ، فكان يمتحنها ويمسح سوقها وأعناقها ، حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض ، فهذا التفسير الذى ذكرناه هو التفسير الصحيح ثم إن الرازى يقول : وأنا شديد التعجب من الناس ! كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة مع أن النقل والعقل يردانهما وليس لهم فيها شبهة فضلا عن حجة ، وقد أطال الفخر الرازى فى الرد على من يقول خلاف هذا.

وهذا الموقف ليس فيه عند أهل الكتاب كلام أصلا [1]

فتنة سليمان وإلقاء الجسد على كرسيه

يقول الله تعالى ﴿ **ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب قال رب أغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب**﴾[سورة ص ٣٤- ٣٥]

الآراء المقبولة والمرفوضة فى تفسير هذه الآية :

١- ذكر الفخر الرازى أن سليمان ابتلى بمرض شديد ضنى منه حتى صار لشدة المرض ، كأنه جسد أو جسم بلا روح ، ثم أناب أى رجع إلى حالة الصحة.

---

[1] قصص الأنبياء ص ٣٨٠- ٣٨١.

٢- قال أبو السعود وتبعه الآلوسى ما ورد فى الحديث الصحيح ، وعبارة أبى السعود فى تفسيره " ولقد فتنا سليمان" أظهر ما قيل فى فتنته عليه الصلاة والسلام ما روى مرفوعا أنه قال " لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتى كل واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله تعالى ولم يقل إن شاء الله تعالى فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل ، والذى نفسى بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون" اهـ.

وهذا الحديث ثابت فى الصحيحين رواه البخارى سبع مرات رواه مسندا ست مرات ، ومرة واحدة معلقا ، ورواه مسلم فى كتاب الإيمان بطرق متعددة .

وقد قال الشيخ عبد الوهاب النجار : إن هذا الحديث يقرر أمرا خارقا للعادة إنما تثبت بنص قطعى الثبوت والدلالة لذلك لم أتعرض لهذا الحديث.

ولكن عند التحقيق يرجع الطواف على سبعين امرأة من باب الطاعات والقربات مما يعود على رسالتهم بالمصالح.

وهذا القول هو الصحيح فى الآراء المقبولة.

القول الثالث: وهو موجود فى كتب أهل الكتاب ، وهو من الأقوال التى لا يجب تصديقها ، ولا يجب تكذيبها ، وهو أن كرسى داود هو كرسى سليمان ، لأن داود كان يرشح سليمان للملك ،والجلوس على كرسيه وقد أصدر مرسوما بذلك كما ذكر القرآن ﴿**وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث**

إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين"﴾[سورة الأنبياء آية ٧٨-٧٩]

فالآية شاهدة بأن داود عليه السلام كان يحضر ابنه سليمان مجلسه ويشركه في نظر الدعاوى ، والفصل فى الخصومات ، أو الحوادث التى تعرض عليه ، وأن سليمان كان يبدى رأيه فى الحكم ، وأنه فى هذه الحادثة كان أبرع رأيا من أبيه داود مع شدة التفاوت فى السن بينهما ، وأن الله فهمه الوجه الأصوب فرجع داود إلى الحكم الذى أبداه سليمان .

وقد قام إبشالوم بن داود ، وثار على والده ، وانتزع الملك من داود وجلس على الكرسى الذى هو فى الواقع كرسى سليمان ، وهرب منه داود إلى شرق الأردن ، وسرح الجيوش لمقاتلته ، وباشر إبشالوم الحرب بنفسه ، وقتل إبشالوم حيث أتى رئيس الجند وقتله وعاد سليمان إلى كرسيه ، بعد أن تزعزع بقتل أخيه إبشالوم ، وتضرع إلى الله وسأله ملكا لا ينبغى لأحد من بعده ، لاشك فى أن سليمان فى تلك البرهة كان يعتقد أن الكرسى الملكى أفلت من يده ، ولا راد له سوى الله تعالى فاستغفره تعالى لما قد أسلف من هواجس نفسية لا يخلو منها من كان مثله فى سن الصبا ، من زهو بذلك الكرسى الذى ينتظره ، والملك العريض الذى سيكون بيده صولجانه ، فامتحنه الله تعالى بمن اغتصب ذلك الكرسى ، وتسرب إلى نفسه دبيب اليأس فاستغفر سليمان ربه لتلك الهواجس التى تعد على المقربين ذنوبا.وهى غير

ذنوب ، وأناب إليه ضارعا أن يهب له ملكا لا ينبغـي لأحد مـن بعده ، فأتاه الله ذلك الملك بعد وفاة أبيه داود الذى كان قد بلـغ مـن الكبر عتيا ، وسخر لسليمان ما سخر من الجن والأنس والطير والرياح التى تجرى بأمره[1]

وهذا الرأى مما لا يصدق ولا يكذب ، لأنـه مـن روايـة أهل الكتاب ولا نعلم مدى صحتها.

الموقف الخامس من النعم إسالة عين القطر لسليمان

أسال الله عين القطر لسليمان فى معرض تعداد النعم التى أنعم الله بها عليه والقطر : هو النحاس المذاب – ونحن نعلم أن سليمان كان رجل عمارة وبناء للمصانع العظيمة ، ويكفيه فخرا أنه بنى الهيكل وما حوله من المبانى العظيمة الضخمة بالحجارة العظيمة التى لا يفوقها سوى حجارة قليلة فى البناء المعروف اليوم بقلعة بعلبك ، وبعض المبانى المصرية ، فهو يحتاج إلى القطر فى معالجة توثيق المبانى ، فأسال الله له عين نحـاس تقذفه مذابا، وسبب ذوبانه ، أن الأرض التى فتحت فيها العين مصطهرة بالنار ، فالنحاس المختلط بصخور تلك الأرض يصهر ويقذف من فوهة تلك العين سائلا ، فيأتى عمال سليمان ويأخذونه للانتفاع به فى الصناعات ونحوها مما يحتاج إليه سليمان ، وقد منّ تعالى عليه وهداه إلى مالم يهتد إليه أحد قبله ، والتوراة خالية من هذا .

---

[1] قصص الأنبياء ص ٣٩٢.

الموقف السادس تسخير الجن لسليمان

أخبر الله أنه سخر الجن لسليمان فقال ﴿ **ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ، ويعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات** ﴾ [سورة سبأ آية ١٢-١٣]

وقال بعد أن ذكر تسخير الريح ﴿ **تجرى بأمره رخاء حيث أصاب، والشياطين كل بناء وغواص**﴾ [سورة ص آية ٣٦-٣٧] وقال ايضا ﴿**وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون**﴾ [سورة النمل آية ١٧].

فهذا كله دل على أن الله تعالى سخر لسليمان الجن تطيعه وتنفذ أمره فيهم يعملون له ما يشاء من أضخم العمائر والمباني ، والتماثيل [1] والقدور الراسيات ، والجفان التى كأنها الحياض لسعتها.

ما كان من أمر سليمان والهدهد وما يتصل به

قال تعالى : ﴿ **وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين ، فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين إنى وجدت**

[1] وكانت التماثيل يجوز صنعها عندهم.

أمرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم﴾ [سورة النمل الآيات ٢٠-٢٣]

عند تفسير أبى السعود لهذه الآيات ذكر أن سليمان ذهب بجمعه إلى مكة للحج شكرا على ما وفق له من بناء بيت المقدس فقال ما نصه: قيل إنه عليه السلام لما أتم بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشرة فوافى الحرم وأقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرون ألف شاة ، ثم عزم على السير إلى اليمن، فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء وقت الزوال ، وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء أعجبته خضرتها ، فنزل ليتغذى ويصلى فلم يجد الماء ، وكان الهدهد قنات ، وكان يرى الماء من تحت الأرض كما يرى الماء فى الزجاجة ، فيجئ الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الإهاب ويستخروجون الماء فتفقده لذلك ، وقد كان حين نزل سليمان عليه السلام حلق الهدهد ، فرأى هدهدا واقعا ، فانحط إليه فوصف له ملك سليمان عليه السلام وما سخر له من كل شئ ،وذكر له صاحب ملك بلقيس ، وأن تحت يدها اثنى عشر ألف قائد ، تحت يد كل قائد مائة ألف ، وذهب معه لينظر فما رجع إلا بعد العصر ، وذلك قوله تعالى " فمكث غير بعيد" أى زمانا غير مديد ، كما ذكر أبو السعود أنه وقعت لفحة الشمس على رأس سليمان عليه السلام فنظر فإذا موضع الهدهد خال ، فدعا عريف الطير – وهو النسر – فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ، ثم قال لسيد الطير – وهو العقاب – علىّ به فارتفعت فنظرت فإذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله تعالى وقال : سبحان الله الذى قواك وأقدرك علىّ إلا رحمتنى ،

فتركته ، وقالت ثكلتك أمك إن نبى الله قد حلف ليعذبنك ، قال وما استثنى ، قالت بلى ، قال : أو ليأتينى بعذر مبين ، فلما قرب من سليمان عليه السلام أرخى ذنبه وجناحيه يجرها على الأرض تواضعا له ، فلما دنا منه أخذ عليه السلام برأسه فمده إليه ، فقال يا نبى الله أذكر وقوفك بين يدى الله تعالى ، فارتعد سليمان عليه السلام عفا عنه وعن وصف عرش بلقيس قال : قيل كان ثلاثين ذراعا فى ثلاثين عرضا وسمكا، وقيل ثمانين فى ثمانين من ذهب ، وفضه مكللا بالجواهر وكانت قوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ، ودروزمرد ، وعليه سبعة أبواب على كل بيت باب مغلق [١]

بيان الدخيل

أقول ما ذكره أبو السعود من أن سليمان عليه السلام تجهز للحج بحشره ووافى الحرم وأقام به ما شاء شكرا على إتمامه بناء بيت المقدس ، بعيد ، بل إنه خلاف الظاهر كما قال العلامة الألوسى رحمه الله.

والظاهر أن هذا الحشر ليس إلا جمع العساكر ليذهب بهم إلى محاربة من لم يدخل فى ربقة طاعته عليه السلام وكونه ليذهب بهم إلى مكة شكرا على ما وفق له من بناء بيت المقدس ، خلاف الظاهر لكن إذا صح فيه خبر قبل [٢]

١ تفسير أبى السعود جـ ٦ ص ٢٧٩- ٢٨١.
٢ تفسير الألوسى جـ ١٩ ص ١٧٣.

قلت : ولم يصح عن المعصوم صلى الله عليه وسلم فى ذلك شئ ، وإذن فلا يعول على ما قيل.

أماما أورده أبو السعود من أن سليمان حين افتقد الهدهد، دعا عريف الطير – وهو النسر – فسأله عنه فلم يجد عنه علمه ثم قال لسيد الطير عليّ به .... الخ الحوار الذى دار (بين العقاب والهدهد) فذلك أمر يثير الدهشة والتساؤل فمن الذى نقل لنا حوار الطير؟ ومن الذى ترجم لنا منطقه ؟ ومن الذى عرفنا أن الهدهد بارا بأبويه ؟ كما جاء فى رواية الألوسى عن عكرمة ، والواقع أن القصة موضوعة – ولا ريب – ودخيلة على التفسير ، وما كان أغنى إمامنا تضمين كتابه مثل هذه الغرائب التى لايقبلها عقل ، ولا يقرها نقل والله أعلم.

ومثل ذلك أو قريب منه يقال فيما هو مروى عن وصف عرش بلقيس فقد ذكر أبو السعود أن سمك العرش وعرضه ثلاثون ذراعا فى ثلاثين ، أو ثمانين فى ثمانين من ذهب وفضة مكللة بالجواهر ، وكانت قوائمه من ياقوت أحمر وأخضر وزمرد ، وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق ..الخ.

ما هنالك من روايات تعوزها الأدلة والبراهين .

ولذلك لم يرتض الإمام الألوسى هذا التفسير فقال بعد ذكره هذه الأقوال التى قيلت فى وصف العرش (وقيل غير ذلك والله أعلم بحقيقة الحال ، وبالجملة فالظاهر هو أن المراد بالعرش السرير[1]

قلت : وهو اللائق بالقبول المعول عليه ، وهو غاية ما يدل عليه (النص القرآنى " ولها عرش عظيم") فالمراد بالعراش العظيم السرير الكريم حسن الصنعة ، قاله ابن عباس، وأخرجه عنه ابن جرير [2]

أما ما قيل من تزيدات ومبالغات فى وصف العرش فبعيد عن روح الآية إذ ليس المراد بالعظيم – فيما اعتقد – عظم فى كبره وسعته وإنما المارد – والله أعلم – عظم القدر والهيئة ، ويؤيد ما قلنا إن الإمام الطبرى رحجه قال فى هذا المقام ، عنى بالعظيم فى هذا الموضع ، العظيم فى قدره ، عظم خطره ، لا عظمته فى الكبر والسعة [3]

وأيضا يقول الإمام القرطبى عند تفسير قوله تعالى " ولها عرش كريم " أى سرير ووصفه بالعظيم فى الهيئة ، ورتبة السلطان.

والحاصل اللازم من الآية هو ماقاله القرطبى نقلا عن ابن عطية : (إنها يعنى ملكة سبأ ، امرأة ملكت على مدائن ذات ملك عظيم ، وسرير

[1] تفسير الألووسى جـ ١٩ ص ١٩٠.
[2] جامع البيان جـ ١٩ ص ٩٢.
[3] جامع البيان جـ ١٩ ص ٩٢.

عظيم ، وكانت كافرة من قوم كفار ، هذا هو اللازم من الآية وكل ما يقال فيها [١]

ما قيل فى بيان نوع هدية بلقيس

قال تعالى : ﴿ **وإنى مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون** ﴾ [سورة النمل آية ٣٥] عند تفسير أبى السعود لهذه الآية نجده يقص لنا قصة طويلة وغريبة فيها بيان نوع هدية بلقيس لسليمان فيقول ما نصه : (روى أنها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجوارى وحليهن الأساور والأطواق والقرطة ركبى خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر ، وخمسمائة جارية على رماك فى زى الغلمان ، وألف لبنة من ذهب وفضة ، وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع ، والمسك والعنبر ، وحقا فيه درة عذراء ، وجزعة معوقة الثقب ،وبعثت رجلا من أشراف قومها المنذرين عمرو ، وأخر ذا رأى وعقل ، وقالت : إن كان نبيا ميز بين الغلمان والجوارى ، وثقب الدرة ثقبا مستويا ، وسلك فى الخرزة خيطا ، ثم قالت للمنذر : إن نظر إليك غضبانا ، فهو ملك ، فلا يهولنك ، وإن رأيته بشا لطيفا فهو نبى ، فأقبل الهدهد ، فأخبر سليمان عليه السلام بذلك، فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة ، وفرشوه فى ميلان بين يديه ، طوله سبعة فراسخ ، وجعلوا حول الميدان حائطا شرفاته من الذهب والفضة وأمر باحسن الدواب فى البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على

[١] انظر القرطبى جـ ٦ ث ٤١٠.

اللبن ، وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير ، فأقيموا على اليمين واليسار، ثم قعد على سريره ، والكراسى من جانبيه ، واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ ، والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ، ونظروا بهتوا ، ورأوا الدواب تروث على اللبن ، فتقاصرت إليهم نفوسهم ورموا بما معهم ، ولما وقفوا بين يديه نظر إليه بوجه طلق ، وقال : ما وراءكم ، وقال : أين الحق؟ وأخبره جبريل عليه السلام بما فيه ، فقال لهم : إن فيه كذا وكذا ، ثم أمر بالأرضة فأخذت شعره ونفذت في الدرة ، فجعل رزقها فى الشجرة ، وأخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ، ونفذت فى الجزعة فجعل رزقها فى الفواكة ، ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله فى الأخرى ، ثم تضرب به وجهها ، والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ، ثم رد الهدية ، وذلك قوله تعالى " فلما جاء سليمان" [١]

بيان الدخيل

وأقول : ما ذكره أبو السعود من روايات متباينة فى بيان نوع الهدية التى أرسلتها ملكة سبأ إلى نبى الله سليمان عليه السلام سبقه إليه ابن جرير الطبرى فى تفسيره حيث روى فى ذلك روايات متعددة منسوبة للضحاك وابن جريج ، ووهب بن منبه [٢] والثعلبى فى قصصه عن وهب أيضا [٣]

١ تفسير أبى السعود جـ ٦ ص ٢٨٤-٢٨٥.
٢ جامع البيان جـ ١٩ ص ٩٩-١٠٠.
٣ الثعلبى قصص الأنبياء ص ٢٨١.

والسيوطى فى الدر المنثور عن السدى [1] وفى ذلك دلالة واضحة على أنه من الإسرائيليات التى يذكرها الرواة عن أهل الكتاب .

وها هو الحافظ ابن كثير يصرح بهذا فيقول فى التعقيب على ما ذكر بشأن الهدية : (والله أعلم أكان ذلك أم لا ؟ وأثره مأخوذ عن الإسرائيليات ، والظاهر أن سليمان عليه السلام لم ينظر إلى ما جاءوا به بالكلية) [2] ولا اعتنى به بل أعرض عنه وأيضا يذكر الإمام الألوسى الروايات التى قيلت فى بيان نوع الهدية التى بعثت بها الملكة إلى سليمان ثم يعقب عليها ببيان بطلانها وكذبها فيقول : (وكل ذلك أخبار لا يدرى صحتها ولا كذبها ، ولعل فى بعضها ما يميل القلب إلى القول بكذبه والله أعلم)[3]

كما يعتبر الإمام الشوكانى رحمه الله كل ما ذكره المفسرون فى هذا الصدد ، مما لا فائدة فيه فيقول (وقد طول المفسرون فى ذكر الهدية مما لا فائدة فى التطويل بذكره)

نعم لا فائدة فيه ، ولا ثمرة مرجوة منه ، فالإمساك عن ذكره أولى ، وقصارى ما يقال فى هذا المقام ، الوقوف على ما أجمله النص القرءنى فى ذلك – وهو – أن الهدية التى أرسلتها الملكة إلى نبى الله سليمان كانت

1 الدر المنثور جـ ٥ ص ١٠٨.
2 تفسير ابن كثير جـ ٦ ص ٢٠٠ ٢٠١.
3 تفسير الألوسى جـ ١٩ ص ٢٠٠.

مشتملة على أمور عظيمة ، والله أعلم بها ، دون التخرص بأمور لا تقوم عليها بينة ، ولا يهدى إليه دليل.

ما قيل عن ملكة سبأ ، والقصر الذى أعده سليمان

لقدومها وزوجه منها

أو : ماقيل عن بلقيس وما جرى بينها وبين سليمان

قال تعالى : ﴿ **قيل لها ادخلى الصرح ، فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها ، قال إنه صرح ممرد من قوارير ، قالت رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين**﴾ [سورة النمل آية ٤٤]

عندما فسر أبو السعود هذه الآية قال ما نصه : (الصرح : القصر ، وقيل : صحن الدار ، وروى أن سليمان أمر قبل قدومها فبنى لها على طريقها قصر من زجاج أبيض ،وأجرى من تحته الماء ، وألقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ، ووضع سريره فى صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والإنس ، وإنما فعل ذلك ليستزيدها استعظاما لأمره ، تحققاً لنبوته ، وثباتا على الدين وزعموا أن الجن كرهوا أن يتزوجها فتفضى إليه بأسرارهم ، لأنها كانت بنت جنية ، وقيل خافوا أن يولد منها ولد يجتمع له فطن الجن والإنس فيخرجون من ملك سليمان إلى ملك هو أشد وأفظع ، فقالووا إن فى عقلها شيئا ، وهى شعراء الساقين رجلها كحافر الحمار ، فاختبر عقلها بتنكر العرش ، واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها " فلما رأته " وهو

حاضر بين يديها كما يعرب عنه الأمر بدخولها ، وأحاطت بتفاصيل أحوال خره " حسبته لجة وكشفت عن ساقيها " وتشمرت لئلا تبتل أذيا لها ، فإذا هي أحسن ساقا وقدما خلا أنها شعراء ، قيل هي السبب في اتخاذ النورة ، فأمر بها الشياطين فاتخوها ، واستنكحها عليه السلام ، وأمر الجن فبنوا لها سياجين وغمدين ، وكن يزورها في الشهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام .

وقيل : بل زوجه ذا تبع ملك همدان ، وسلطه على اليمن ، وأمر زوبعة أمير جن اليمن أن يطيعه ، فبنى له المصانع ..)[1]

بيان الدخيل

أقول ما ذكره أبو السعود من أن ملكة سبأ جاءت إلى سليمان ، وبنى لها صرحا ممردا من قوارير احتفاء بها ، فذلك أمر سائغ ومقبول ، لاخلاف فيه ، لا اعتراض عليه ، إذ أن القرآن الكريم وصفه ودل عليه .

أما ماروى عن ذلك فأن الجن كرهوا لو تزوجها سليمان ، وجاءت بولد أن يظلوا في عبودتيه ، فصنعوا هذا الصرح الممرد ، فظنته ماء ، فكشفت عن ساقيها لتعبره ، فإذا هي شعراء رجلها كحافر الحمار ، فاستشارهم سليمان ما يذهبه فجعلت له النورة ، وما روى من أن أحد أبوى بلقيس كان جنيا ، كما رووا أيضا أن سليمان تزوج منها ، وقيل : بل زوجها ذا تبع ...الخ.

[1] تفسير أبى السعود جـ ٦ ص ٢٨٩.

فكل هذه المرويات أمر زائد عما تدل عليه الآية الكريمة ، بل إنها من أكاذيب بنى إسرائيل وتحريفاتهم التى ذكرها المفسرون فى كتبهم ، نقلا عن محمد بن كعب القرظى ، والسدى ، والكلبى ، وابن جريج ، ووهب بن منبه وغيرهم [١] وهى لم تصح سندا ولا مخبرا وحينئذ فلا يسوغ نقلها وروايتها . كيف لا؟ وهى مرويات تظهر نبى الله سليمان عليه السلام بمظهر المتهالك على النساء ومحسنهن كأن النورة الحمام لم يكونا إلا لملكة سبأ ، وكأن سليمان لم يكن له هم إلا إزالة شعر ساقيها بالموس أو بالنوره كما قيل.

. وهذا تجن صارخ على مقام النبوة الرفيع ، وإفك محض عن اليهود ، وافتراء بين منهم ، ألا قاتل الله اليهود وقبحهم ، فهم مصدر هذه الإسرائيليات التى لا يخفى أنها بطالة ، ولذلك قال الحافظ ابن كثير بعد أن ساق ما رواه ابن أبى شيبة عن عطاء مستحسنا له ما مثاله : قلت بل هو منكر غريب جدا ، ولعله من أوهام عطاء بن السائب على ابن عباس ، والله أعلم.

ثم حكم على هذه المرويات بأنها من أخبار بنى إسرائيل المتلقاه عن أهل الكتاب مما وجد فى صحفهم ، كروايات كعب سامحهما الله تعالى ، فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بنى إسرائيل من الأوابد [٢] والغرائب مما كان

١ انظر جامع البيان جـ ١٩ ص ١٠٦ ، ١٠٧ وقصص الأنبياء للثعلبى ص ٢٨٥ إلى ٢٨٦ والدر المنثور جـ ٥ ص ١١٠ وغيرهم من المفسرين.

٢ جمع أبده ، وهى الأمور المشكلة البعيدة المعانى ، وأصل الأبدة النافرة من الوحش التى يستعصى أخذها ثم شبه بها الكلام المشكل العويص المعانى.

وما لم يكن ، ومما حرف وبدل ونسخ، وقد أغنانا الله سبحانه عن ذلك ما هو اصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ ولله الحمد والمنة[١]

ومن الدخيل فى تفسير الآية ما ذكره أبو السعود من أن أحد أبوى بلقيس كان جنيا ، هذا الخبر ذكره ابن كثير من رواية الثعلبى من طريق سعيد بن بشير عن أبى هريرة مرفوعا ، ثم قال : وهذا حديث غريب وفى سنده ضعف[٢]

قلت : وسعيد بن بشير لا يحتج به ، كما قال ابن أبى حاتم قاله الذهبى[٣]

وقد عقب العلامة الألوسى على هذا الخبر بقوله " (والذى ينبغى أن يعول عليه عدم صحة هذا الخبر ، وفى البحر قد طولوا فى قصصها يعنى بلقيس بما لم يثبت فى القرآن ولا الحديث الصحيح ، وأن ما ذكر من الحكايات أشبه شئ بالخرافات [٤] ومن الدخيل كذلك ما أورده أبو السعود من أن سليمان عليه السلام تزوجها ن فهذا كلام لم نجد له دليلا يشد من أزره ، أو سندا يقوى من أمره ، وكان جريا بأبى السعود وغيره من الفسرين أن يسكتوا عما أجمله القرآن فى هذا المقام

١ تفسير ابن كثير جـ ٦ ص ٢٠٦.

٢ البداية والنهاية جـ ١ ص ٢١.

٣ ميزان الأعتدال للذهبى جـ ١ ص ٣٣٠.

٤ تفسير الألوسى جـ ١٩ ص ١٨٩.

قال الفخر الرازى : (واختلفوا فى أنــه هـل تزوجهـا أولا ؟ والأظهـر فـى النـاس أنـه تزوجهـا ، وليـس لذلـك ذكـر فـى الكتــاب ولا خـبر مقطـوع بصحته)[1]

وعن خبر زواج سليمان بملكة سبأ قال عون بن عبد الله : جاء رجـل إلى عبد الله بن عتبة فسأله هل تزوجها سليمان؟ قال لا، عهدى لها أن قالت : ﴿ **أسلمت مع سليمان لله رب العالمين** ﴾ [سورة النمل آية ٤٤] بمعنى أنـه لاعلم لنا وراء ذلك ، وأن أمرها انتهى إلى هذا القول [2]

القول السليم فى هذا الموضوع

وهذا فيما اعتقد هو الصواب إذ لاينبغى لنا أن نزيـد علـى ماقالـه فهـو حق اليقين ، والذى تطمئن إليه النفس فى تفسر الآيـة ماقالـه ابـن كثـير ، فقد فسرها تفسيرا جديرا بالقبول حيـث قـال (والغـرض أن سـليمان عليـه السـلام اتخذ قصرا عظيما منيفا من زجاج لهذه الملكة ليريها عظمـة سـلطانه وتمكنـه ،فلما رأت ما أتاه الله ، وجلالة مـا هـو فيـه ، وتبصـرت فـى أمـره ، انقـادت لأمر الله تعالى ، وعرفت أنه نبى كريم ، وملك عظيم ،وأسلمت لله عز وجل ، وقالت " رب إنى ظلمت نفسى أى بما سلف مـن كفرهـا وشـركها وعبادتهـا وقومهـا للشـمس مـن ديـن اللـه " وأسـلمت مـع سـليمان للـه رب العـالمين" أى

[1] تفسير الفخر الرازى جـ ٢٤ ص ٢٠١.
[2] انظر مجمع البيان للطبرسى جـ ٧ ص ٤١٣ وتفسير الألوسى جـ ١٩ ص ٢١٠.

متابعة لدين سليمان فى عبادته لله وحده لاشريك له الذى خلق كل شئ فقدره تقديرا) [1]

موت سليمان عليه السلام

يقول الله تعالى ﴿ **فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين**﴾ [سورة سبأ آية ١٤.]

بيان الدخيل

إن المفسرين يذكرون فى موته عجائب ، ويستدلون بالآية الكريمة ويؤولونها على الوجه الذى يدعو إلى الغرابة ، وكل ما جاء فى هذا الباب أحاديث منكرة ، ويظن ابن كثير أنها مما يقوله أهل الكتاب ، وإليكم نص ما قاله فى تفسير هذه الآية بعد أن ذكرها قال : يذكر تعالى: كيفية موت سليمان عليه السلام ، وكيف عمىّ الله موته على العمال المسخرين له فى الأعمال الشاقة فإنه مكث متوكئا علىعصاه وهى منسأته كما قال ابن عباس رضى الله عنهما ، ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد ، مدة طويلة نحوا من سنة ، فلما أكلتها دابة الأرض ، وهى الأرضة ضعفت وسقط إلى الأرض ، وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة ، وتبينت الجن والأنس أيضا أن الجن لا

[1] تفسير ابن كثير جـ ٦ ص ٢٠٦.

يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك ، وقد ورد في ذلك حديث مرفوع غريب وفي صحته نظر .

قال ابن جرير : حدثنا أحمد بن منصور حدثنا موسى بن مسعود حدثنا أبو حذيفة حدثنا إبرهيم بن طهمان عن عطاء عن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " كان نبي الله سليمان عليه السلام إذا صلى رأى شجرة بين يديه فيقول لها ما اسمك ؟ فتقول كذا فيقول لأي شيء أنت ؟ فإن كانت تغرس غرست ، وإن كانت لدواء كتبت ، فبينما هو يصلي ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه ، فقال لها ما اسمك ؟ قالت الخروب . قال لأي شئ أنت؟

قالت لخراب هذا البيت ، فقال سليمان عليه السلام : اللهم عم على الجن موتى حتى يعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب ، فنحتها عصا فتوكأ عليها حولا ميتا ، والجن تعمل ، فأكلتها الأرضة ، فتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا في العذاب المهين.

قال : وكان ابن عباس يقرؤها كذلك قال فشكرت الجن للأرضة فكانت تأتيها بالماء، وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث إبرهيم بن طهمان به ، وفي رفعه غرابة ونكارة والأقرب أن يكون موقوفا ، وعطاء بن أبي مسلم الخراساني له غرابات ، وفي بعض حديثه نكارة ، وقال السدي في حديثه نكارة ، وقال السدي في حديث ذكره عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود رضي الله عنه وعن ناس

من أصحاب رسول الله صلى الله لعيه سولم يتحرر فى بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين واقل من ذلك وأكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه ، فأدخله فى المرة التى توفى فيها ، فكان بدء ذلك ، ألا ينبت الله ببيت المقدس شجرة فيأتيها فيسألها فيقول ما اسمك ؟ فتقول الشجرة اسمى كذا وكذا ، فإن كانت لغرس غرسها ، وإن كانت تنبت دواء كذا وكذا فيجعلها كذلك ، حتى نبتت شجرة يقال لها الخروبة فسألها ما اسمك ؟ فقالت أنا الخروبة ، قال لأى شئ نبت ؟ قالت نبت لخراب هذا المسجد ، قال سليمان عليه السملام ما كان الله ليخربه وأنا حى ، أنت التى على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس ، فنزعها وغرسها فى حائط له ، ثم دخل المحراب فقام يصلى متكئا على عصاه ، فمات ولم تعلم به الشياطين وهم فى ذلك يعملون له يخافون أن يخرج عليهم فيعاقبهم ، وكانت الشايطين تجتمع حول المحراب ، وكان المحراب له كوى بين يديه وخلفه ، فكان الشيطان الذى يريد أن يخلع يقول ألبس جلدا إن دخلت ، فخرجت من ذلك الجانب ؟ فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر ، فدخل شيطان من أولئك ، فمر ، ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان عليه السلام فى المراحب إلا احترق ، فمر ولم يسمع صوت سليمان عليه السلام قد سقط ميتا ، فخرج فأخبر الناس أن سليمان قدمات ففتحوا عليه فأخرجوه ، ووجدوه منسأته وهى العصا بلسان الحبشة قد أكلتها الأرضة ، ولم يعلموا منذ كم مات ، فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قدمات منذ سنة ، وهى فى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه، فمكثوا يدينون له من بعد

موته حولا كاملا ، فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبونهم ، ولو أنهم يطلعون على الغيب لعلموا بموت سليمان ، ولم يلبثوا فى العذاب سنة يعملون له ، وذلك قول الله عز وجل " ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين" يقول تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم ، ثم إن الشياطين قالوا للأرضة لو كنت تأكلين أتيناك بأطيب الطعام ، ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب.

ولكنا سننقل إليك الماء والطين قال فهم ينقلون إليها ذلك حيث كانت ، قال ألم تر إلى الطين الذى يكون فى جوف الخشب فهو ما تأتيها الشياطين به شكرا لها.

وهذا الأثر والله أعلم إنما هو مما تلقى من علماء أهل الكتاب وهى وقف لا يصدق منه إلا ما وافق الحق ولا يكذب منها إلا ما خالف الحق ، والباقى لا يصدق ولا يكذب .

وقال ابن وهب ، وأصبغ بن الفرج عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فىقوله تبارك وتعالى ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته " قال سليمان عليه السلام لملك الموت إذا أمرت بى فأعلمنى فأتاه فقال يا سليمان قد أمرت بك قد بقيت لك سويعة فدعا الشيطان فبنوا عليه صرحا من قوارير وليس له باب ، فقام يصلى فاتكأ على عصاه ولم يصنع ذلك فرارا من ملك الموت . قال : والجن تعمل بين يديه وينظرون إليه يحسبون أنه حى ، قال

فبعث الله عز وجل دابة الأرض، قال والدابة تأكل العيدان يقال لها القادح ، فدخلت فيها وأكلتها حتى إذا أكلت جوف العصا ، ضعفت وثقل عليها ، فخر ميتا فلما رأى ذلك الجن انفضوا وذهبوا ، قال : فذلك قوله تعالى : ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته"

قال أصبغ : بلغنى عن غيره أنها قامت سنة تأكل منها قبل أن يخر ، وذكر غير واحد من السلف نحوا من هذا والله أعلم.

هذا ما أورده الحافظ ابن كثير فى تفسيره . ونحن إذا نظرنا إلى من وجدناه مضطربا ومخالفا لسنة الأنبياء وخصوصا فى عهد بنى إسرائيل أن يأتى فى العبد ، ويقرب القرابين ويقوم بالطقوس الدينية ، وسليمان شريعته التى يتبعها هى التوراة التى جاء بها موسى ، وليس له شريعة سواها ، وغير معقول أن يكون سليمان النبى الكريم هو الذى يخالف الشريعة ويمكث فى محرابه دون أن يقوم بالمراسم التى أوجبتها التوراة على كل إسرائيلى فيغيب عنها فى وقت يقوم بها فيه الرؤساء والسوقة . وإذا فعل يكون قد سنّ سنة لبنى إسرائيل سنة سيئة تجرى سواه على مخالفة الشريعة التى أمر الله بنى إسرائيل بحفظها وعدم الإخلال بها ، ورفع فوقهم الطور للعمل بها .

ومعلوم أن اليهود فى عيد الفصح يجب عليهم أن يأكلوا الفطير سبعة أيام وأن لا يرى الخمير فى جميع تخومهم . فإذا كان سليما قد مكث سنة ميتا ، أفما كان له زوجة تسأل عنه وتبعث له بالفطير الواجب فى الفصح ، فتعلم أنه ميت وعنده ألف امرأة .

ثم إن سليمان بمقتضى مركز الملك الذى يشغله عليه مسئولية إقامة العدل بين الناس كما كان يفعل داود وقد رأينا داود فى فصل خصومة الحرث الذى نفشت الغنم فيه ، وفى سماعه الخصومة فى نعجة ، فما كان سليمان بالذى يغيب عن خصومات قومه ونوازلهم ، ويكل فض الخصومات لقوم هم أقل منه فهما وعلما.

وهو أيضا بمقتضى منصبه الملكى تأتيه الوفود من الملوك . ويطالعه العرفاء والرؤساء بمشكلات نواحيهم ، فليس من المعقول أن يكون قد مات وبقى سنة كاملة لا يعلم بموته أحد ، ويهمل إهمالا لا يهمله أحد من السوقة

القول الصحيح

القول الصحيح :أن يكون قد مات كما يموت سائر الناس وبقى موته معمىً على الجن دون سواهم من الإنس ، ودفن وانتهى أمره وقام فى الملك ابنه والجن فى أمكنة نائية كتدمر ، لا يفترون عن العمل دائبين عليه خشية أن يعاقبهم سليمان . وبعد مدة لم يحددها القرآن علم أحد الجن بموته إذ رأى عصاه ملقاة على الأرض فرفعها فإذا الأرضة قد أكلتها فاستدل من أكل الأرضة إياها أن سليمان قد تركها على الأرض مدة طويلة ، وما كان ليتركها إلا لحدث من موت أو مرض ، فتقصى الأمر فإذا هو قد مات فأعلم الجن بالأمر ، وكانوا لا يعلمونه كما كانوا يوهمون الناس ، ويتوهم الناس لهم أنهم يعرفون الغيب ..أيقنوا أنهم لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين.

وعلى هذا الوضع يكون قوله تعالى" فلما خر " أي مات لا خرّ بمعنى وقع على الأرض لعجز العصا عن حفظ توازنه.

قال في القاموس : والحز السقوط كالخرور من علو الى أسفل ، ويخر الشق من مكان لا يعرف الموت.

وفي لسان العرب [١] وخر أيضا مات ، وذلك أن الرجل إذا مات خر ، ومن ذلك قول حكيم بن حزام : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أخر إلا قائما معناه أن لا أمت ، لأنه إذا مات فقد خر وسقط

هذا هو الراى الصحيح ، وما عدا ذلك فهو من التخرص الذى لا تقوم عليه بينة ، ولا يهدى إليه دليل ، وما المانع من أن تكون دابة الأرض التي أكلت عصا سليمان هي بعض من الحيوان القراض كالفار ونحوه من الحيوان الذى يقرض الخشب، وهو من دواب الأرض ، يتخذ مسكنه فيها ، وعلى كل حال فمكث سليمان سنة أو نحوها أمر زائد عما تدل عليه الآية الكريمة ، ولا يوجد نص صريح في تلك المدة [٢]

[١] جـ ٥ ص ٣١٧.
[٢] انظر قصص الأنبياء للشيخ النجار ص ٣٩٩- ٤١٤ .بتصرف.

المراجع المساعدة

١- تفسير المنار للشيخ رشيد رضا.

٢- تفسير أبى السعود.

٣- الموضوعات لابن الجوزى.

٤- ميزان الاعتدال.

٥- قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس.

٦- تفسير الألوسى.

٧- تفسير الفخر الرازى.

أسئلة التقويم الذاتي

س١ : ما هى الأقوال المقبولة والمرفوضة فى الهم الذى حدث؟

س٢ : ما هو القول الصحيح فى الشاهد؟

س٣ : ما هو القول الصحيح فى المدة التى لبثها يوسف فى السجن؟

س٤ : قارن بين القرآن والتوراة فى أخذ الميثاق على أولاد إسرائيل؟

س٥ : ما مهمة الأنبياء فى عهد داود عليه السلام؟

س٦ : بيّن نعم الله على داود عليه السلام ؟

س٧ : ما هى الحكم المستفادة من قصة داود؟

س٨ : ما هى المواقف التى أنعم الله بها على سليمان؟

س٩ : ما هو القول الصحيح فى قوله " فطفق مسحا بالسوق والأعناق؟ وما الغرض من المسح؟

س١٠ : ما هى الأقوال المقبولة والمرفوضة فى إلقاء الجسد على كرسيه؟



الوحدة السابعة

المحتويات

١- الدخيل فى قصة يونس عليه السلام.

٢- الدخيل فى قصة أيوب عليه السلام.

٣- الدخيل فى قصة موسى عليه السلام.

الأهداف الخاصة

يجدر بك أيها القارئ لهذه الوحدة أن تصبح قادرا على معرفة ما يلى :-

١- القول الصحيح فى العذاب الذى نزل بقوم يونس عليه السلام.

٢- الأمور التى نسبها الله إلى يونس عليه السلام؟

٣- القول الصحيح فى المرض الذى ابتلى به أيوب عليه السلام.

٤- من هو صهر موسى عليه السلام؟

٥- القول الصحيح فى عصا موسى عليه السلام.

٦- بيان ما قيل بشأن العجل والسامرى.

٧- بيان ما قيل بشأن لقاء الخضر بموسى عليه السلام.

٨- بيان ما قيل فى سبب الخسف بقارون.

يونس عليه السلام

وقد ذكر باسمه فى القرآن الكريم فى سورة النساء آية ١٦٣ ، والأنعام آية ٨٦ ، ويونس آية ٩٨ ، والصافات آية ١٣٩ ، وذكر بوصفه فى سورة الأنبياء فى قوله " وذا النون إذ ذهب مغاضبا" وذكر بوصفه فى سورة القلم فى قوله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم " فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم" ، ولم يعلم من نسبه فى كتب التفسير والحديث إلا أنه يونس بن متى.

وقد ذكر المفسرون لقصته حكايات ، ووجوها كلها من الإسرائيليات ، وبعضها يخالف ظاهر القرآن الكريم.

قال العلامة الألوسى : زعم اليهود أن الله أمر يونس أن يذهب إلى أهل نينوى ، وينذر أهلها فهرب إلى ترشيش من ذلك وانحدر إلى يافا ونزل فى السفينة فعظمت الأمواج، وأشرفت السفينة على الغرق فاقترع أهلها ، فوقعت القرعة عليه ، فرمى بنفسه إلى البحر فالتقمه الحوت ثم ألقاه وذهب إلى نينوى فكان ما كان ، ولا يخفى أن مثل هذا الهرب مما يجل عنه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، واليهود قوم بهت أهـ الألوسى.

قال تعالى ﴿ **فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين**﴾ [سورة يونس آية ٨٩]

ذكر الإمام أبو السعود فى تفسيره لهذه الآية ، ما جاء بشأن قوم يونس عليه السلام فقال : روى أن يونس عليه السلام بعث إلى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا ، فلما فقدوه خافوا نزول العذاب ، فلبسوا المسوح ، وعجوا أربعين ليلة ، وقيل : قال : لهم يونس عليه السلام أجلكم أربعين ليلة ، فقالوا إن رأينا أسباب الهلاك آمنا بك ، فلما مضت خمسا وثلاثين أغامت السماء غيما أسودا هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ، ويسود سطوحهم ، فلبسوا المسوح ، وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ، وبين الدواب وأولادها فحن بعضها إلى بعض ، وعلت الأصوات والعجيج ، وأظهروا الإيمان والتوبة ، وتضرعوا إلى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم ، وكان ذلك يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود رضى الله عنه بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى أن الرجل كان يقلع الحجر ، وقد وضع عليه أساس بنائه فيرده إلى صاحبه ، وقيل خرجوا إلى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حى حين لا حى ، ويا حى يحيى الموت ، ويا حى لا إله إلا أنت ، فقالوها فكشف عنهم.

وعن الفضيل بن عياض فقالوا إن ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعلم بها وأجل ، وإفعل بنا ما أنت أهله ، ولا تفعل بنا ما نحن أهله)[١]

أقول ما ذكره الإمام أبو السعود من أن العذاب الذى نزل بقوم يونس كان دخانا شديدا أسودا غشى مدينتهم ، واسودت منه أسطح منازلهم دون أن يعين قائله إنما هو من قول وهب [٢] بن منبه على ما ذكره الثعلبى فى كتابه المسمى بعرائس المجالس فهذا القول من الإسرائيليات المروية عن وهب التى لا فائدة من ذكرها ، دع عنك أننا لا نثق بها ، ولا نطمئن إليها.

ذلك أن القرآن الكريم لم يبين لنا نوع العذاب الذى كاد أن يعذب به القوم ، كما هو الشأن بالنسبة لأمم أخرى حيث بين نوع العذاب الذى نزل بها ، سواء كان بالريح العاتية ، أو بالصيحة ، قال تعالى **﴿فكلا أخذنا بذنبه ، فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ، ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا ، وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾** [سورة العنكبوت آية ٤٠]

والذى أود أن ألفت النظر إليه هنا أن معظم المفسرين ضمنوا كتبهم هذا الذى ذكره أبو السعود فى تفسيره من أن القوم شاهدوا العذاب وتدلى عليهم..الخ ولست أدرى على أى شئ كان استنادهم فى إيرادهم هذه الأخبار

---

١ تفسير أبى السعود جـ ٤ ص ١٧٦-١٧٧.

٢ العرائس للثعلبى ص ٣٦٧.

التى لا أساس لها من الصحة (وكأن من زعمها منهم من لفظ كشفنا) ولا صراحة فيه [١]

كما قال القاسمى :ليروى بعض المفسرين هنا أن العذاب تدلى عليهم وغشيهم وجعل يدور على رؤوسهم ،وغامت السماء غيماً أسوداً ونحو هذا ،وليس فى التنزيل بيان لهذا، ولا فى صحيح السنة وكأن من زعمهم فهمه من لفظ "كشفنا"ولا صراحة فيه.

قال الإمام القرطبى : (معنى كشفنا عنهم عذاب الخزى أى العذاب الذى وعدهم به يونس أنه ينزل بهم لا أنهم رأوه عيانا ولا مخايلة) [٢]

أما ما أورده الإمام أبو السعود منسوبا لابن مسعود رضى الله عنه من أن الرجل من قوم يونس ، كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه أساس بنيانه فيرده إلى صاحبه ، تخلصا من المظالم فغير مسلم ، لأنه بهذا الوضع وبتلك الكيفية يصعب التعرف على تلك الأحجار التى قد تكون طال عليها الدهور ، وأصبح من العسير التعرف عليها . إذ كان من الأنسب والحال هذه أن يعود على صاحب الحجر بقيمته ، أو يستسمحه فيه بدلا من تهديم منازلهم بتلك الكيفية والله تعالى أعلم.

---

[١] تفسير القاسمى ٩ ص ٩٨.

[٢] تفسير القرطبى جـ ٤ ص٣٢٢٤.

التفسير الصحيح لهذه الآية

هذه الآية تفيد بصريح العبارة أن الأمم الغابرة كانوا يعاندون ويصرون على ما هم عليه من الكفر والإباء عن الإيمان ، ولم ينج من هذا إلا القوم الذين أرسل إليهم يونس فإنهم أجابوه إلى الإيمان ، فكشف الله عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعهم إلى حين[1]

لقول الصحيح فى أمر يونس عليه السلام

أن يونس عليه السلام أمره الله بالذهاب إلى قوم ليسوا من عشيرته ولا من بلده ، ويقول بعض المفسرين أنهم أهل نينوى فخشى أن ينالوه بالأذى ، لأنه ليس بذى عصبية بينهم تقوم بنصره ومنعه ، وتأولوا الأمر على أنه أمر إرشاد ، وظن أن الله تعالى لن يضيق عليه ، ولن يلزمه بالذهاب إليهم ، وأنه تعالى ليس بمسبوق على أن يرسل إليهم من هو أشد منه قوة وأنفذ قولا بينهم ، فذهب ليبتعد عن ناحيتهم ، فأوى إلى الفلك المشحون ، فكان ما كان من اضطراب الفلك حتى اضطر أهله إلى أن يساهموا على من يلقى فى البحر من الركاب ، فخرج سهمه إلى أن كان من المدحضين ، وقيض الله حوتا لالتهامه ، فمكث فى بطنه ما شاء الله أن يمكث مما لا أتعرض لتحديده فأقول لفظه كما ابتلعه ، فنبذه بالعراء وهو سقيم ، وأن الله أنبت عليه شجرة من يقطين ، فلما فرح بها ، وارتفق بفيئها ، سلط الله عليها حيوانا قارضا ،

---

[1] قصص الأنبياء للشيخ النجار ص ٤٢٣.

فأكل أصلها ، ولفحتها ريح السموم ، فذوت ، وشق ذلك على نفسه ، فأفهمه الله أنه قد ناله الأسف على يقطينة ليس لها شأن ، وقد اهتم بها ، أفلا يهتم الله تعالى ويوجه عنايته إلى قرية فيها أكثر من مائة ألف ، يريد إنقاذهم من ضلالهم، ويقيهم نزول الغضب بهم ، ثم أرسله إليهم فآمنوا.

وقد كلف يونس بالذهاب إلى أولئك القوم عقب نبوته ولم يكن قد مرن على النبوة وواجباتهم ، وآداب أهلها ، لأن العلم بذلك يستدعى مده ، وتكرر الوحى ، والازدياد من معرفة الله تعالى ، والارتياض على الوحى وتلقيه ، فحداثته فى النبوة هى التى خيلت إليه ما قلنا من أنه خيل إليه أنه بابتعاده وتغربه فى البلاد ربما استتبع اعفاءه من تلك المأمورية ، أضف إلى ذلك أنه كان حدث السن فقد أورد الألوسى فى تفسيره أن سنة كان ثمانيا وعشرين سنة ، ومن كان حديث العهد بالنبوة وفى مثل سن يونس يغفر الله تعالى لهم بعض ما عملوه عن غير تمرد وقصد جازم إلى المعصية[1]

لأمور التى نسبها الله إلى يونس عليه السلام.

لقد نسب الله إليه أمورا ثلاثة.

١- أنه أبق إلى الفلك المشحون.

٢- أنه ذهب مغاضبا

٣- أنه ظن أن لن يقدر الله عليه.

---

[1] قصص الأنبياء ص ٤٣١.

وهذه الأمور إذا لم تصرف عن ظاهرها كانت ذنوبا إذا صدرت من الآحاد ، فكيف بنبي كريم ، لذلك تأويل قوله تعالى ﴿ **إذ أبق إلى الفلك المشحون**﴾ أنه ذهب إليها ذهاب الآبق ولم يكن آبقا يرجو أن يختفي عن عين سيده حتى يتعذر عليه رجعه إلى قبضته ، حاشا وكلا أن يكون هذا **أولاً** .

ثانياً يجب تأويل قوله تعالى ﴿ **إذ ذهب مغاضبا**﴾ بأنه لم يكن مغاضبا لله ، ولكنه أشفق من القوم الذين أمر بالذهاب إليهم ، وهم ليسوا له بأهل ولا عشيرة ، وقد خشي أن يفرطوا عليه ، أو يطغوا ، أو ينالوه بالأذى ، فذهب على وجهه يريد الابتعاد عن الجهة التي هم فيها عالما أن الله تعالى لن يعجزه أن يرسل إليهم نبيا آخر يكون أقدر على التلطف بهم ، وإقناعهم ، وفي ذلك راحته من عنتهم ، وأمنه على نفسه منهم ، وهو في ذلك يظن أنه لا يغضب الله تعالى ، وإن كان ذهابه على هيئة الغاضب ، وغرضي من ذلك صرف لفظ مغاضبا عن معناه ، لأن مغاضبة الله لا يليق صدورها من نبي ، فأولت ذلك إلى أن ذهابه على هيئة الغاضب وهو غير مغاضب.

وقد فسرت قوله تعالى : " أن لن نقدر عليه " تفسيرا يتفق مع موقف الأنبياء من ربهم ، فصرفته عن المعنى المتبادر منه وهو أنه ظن أن يعجز الله ويفلت من قبضة قدرته إلى تفسير يتفق مع عقيدة الأنبياء في الله تعالى وهو أنه تعالى لن يعجزه شئ من الممكنات ، وصرفت ظاهر اللفظ إلى معنى التضييق كما في قوله تعالى " وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي

أهانن" أى ضيق عليه رزقه، وبينت أن هذا المعنى تساعد عليه رواية " نقدّر " بتشديد الدال المكسورة.

وقد ألزم الله يونس عليه السلام بالذهاب إلى القوم الذين أرسل إليهم رغم تخوفه منهم.

وقد قال ابن عباس إن إرسال يونس ونبوته إنما كان بعد نبذ الحوت له قال القاضى عياض [١] وقد روى ابن عباس أن إرسال يونس ونبوته إنما كان بعد أن نبذه الحوت ، واستدل من الآية بقوله" فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون" ويستدل أيضا بقوله " ولا تكن كصاحب الحوت" ثم ذكر القصة ثم قال " فاجتباه ربه فجعله من الصالحين" فتكون القصة إذاً قبل نبوته ، وأن يونس عليه السلام كان يظن أن الله تعالى لا يحتم الرجوع إليهم ، ومعناه أنه تأول الأمر على أنه أمر إرشاد لا إثم فى مخالفته ، وأن التقام الحوت له كان قبل ذهابه إليهم[٢]

---

١ الشفاء جـ ٢ ص ٩٧.

٢ قصص الأنبياء ص ٤٢٦-٤٢٩ بتصرف.

أيوب عليه السلام

إن أيوب عبد صالح من عباد الله امتحنه الله فى مالـه وأهلـه وبدنـه ، فصبر صبراً جميلا ، فوهبه الله العافية وأعطاه أكثر مما فقد من أهل ومـال، وأثنى عليه ثناء جميلا فى قرآنه الكريم وجعله نبيا.

وقد أكثر الناس فيما يروونه فى بلاء أيوب أقوالا يوردونها تـدل علـى أنه مرض مرضا مشوها ومنفرا للناس من قربانه ، والدنومنه وهذا يتنافى مع منصب النبوة ، وقد قرر علماء التوحيـد أن الأنبيـاء مـنزهون عن الأمـراض المنفرة فكيف يتفق ذلك مع منصب النبوة؟

ونقول إن الابتلاء على الوجه الذى يقولون بـه كـان قبـل النبـوة ، وأن منحة النبوة إنما كانت لما بدا منه من الصبر والرضا بما أصابه من مكروه ، وملازمته جانب الرضا عن الله تعالى.

كما أن المبالغين فى ضر أيوب إنما اعتمدوا فيما يقولون علـى ماجـاء عند أهل الكتاب فى السفر المسمى سفر أيوب.

قال تعالى ﴿ **وأيوب إذ نادى ربه رب إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما بـه مـن ضـر وآتينـاه أهلـه ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين**﴾ [سورة الأنبياء آية ٨٣، ٨٤]

وقال أيضا ﴿ **واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب ، اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ، ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولى الألباب ، وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب**﴾ [سورة ص آيه ١١-١٤]

عند تفسير هذه الآيات ذكر أبو السعود قصة طويلة فى حق أيوب فقال ما نصه : (وكان عليه السلام روميا من ولد عيص بن إسحاق اجتباه الله تعالى وكثر أهله وماله ، فابتلاه الله تعالى بهلاك أولاده بهدم بيت عليهم ، وذهاب امواله ، والمرض فى بدنه ثمانى عشرة سنة أوثلاث عشر سنة ، أو سبعا وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات.

ورى أن امرأته ما خير بنت ميشا بن يوسف عليه السلام أو رحمة بنت افرايم بن يوسف قالت له يوما : لو دعوت الله تعالى ، فقال كم كانت مدة الرخاء؟ فقالت ثمانين سنة ، فقال : استحى من الله تعالى أن ادعوه وما بلغت مدة بلائى مدة رخائى ، وروى إن إبليس أتاها على هيئة عظيمة ، فقال : أنا إله الأرض ، فعلت بزوجك ما فعلت لأنه تركنى وعبدا له السماء ، فلو سجد لى سجدة لرددت عليه وعليك جميع ما أخذت منكما ، وفى رواية لو سجد لى سجدة لرجعت لك المال والولد، وعافيت زوجك ، فرجعت إلى أيوب ، وكان ملقى فى الكناسة لم يقرب منه أحد ، فأخبرته بالقصة ، فقال عليه السلام كأنك افتتنت بقول اللعين ئن عافانى الله عز وجل لأضربنّك مائة سوط ، وحرام علىّ أن أذوق بعد هذا شيئا من طعامك وشرابك فطردها ،

فبقى طريحا على الكناسة لا يحوم حوله أحد من الناس ، فعند ذلك خر ساجدا ، فقال : رب إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ، فقيل له ارفع رأسك فقد استجبت لك ، أركض برجلك ، فركض ، فنبعت من تحته عين ماء فاغتسل منها ، فلم يبق فى ظاهر بدنه دابة إلا سقطت ولا جراحة إلا برئت ، ثم ركض مرة أخرى ، فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق فى جوفه داء إلا خرج ، وعاد صحيحا ، ورجع إليه شبابه وجماله ثم كسى حلة ، وذلك قوله تعالى " **فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر**" فلما قام جعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان له من الأهل والمال إلا وقد ضاعفه الله تعالى ﴿ **وآتيناه أهله ومثلهم معهم**﴾

وقيل كان ذلك بأن ولد له ضعف ما كان ، ثم إن امرأته قالت فى نفسها : هب أنه طردنى ، أفأتركه حتى يموت جوعا ويأكله السباع . لأرجعن إليه ، فلما رجعت ما رأت تلك الكناسة ولا تلك الحال ، وقد تغيرت الأمور ، فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكى ، وهابت صاحب الحلة أن تأتيه وتسأل عنه ، فأرسل إليها أيوب ودعاها فقال : ما تريدين يا أمة الله؟

فبكت وقالت أريد ذلك المبتلى الذى كان ملقى على الكناسة، قال لها : ما كان منك فبكت وقالت بعلى ، قال : أتعرفينه إذا رأيته؟ قالت : وهل يخفى على ، فتبسم ، فقال أنا ذلك فعرفته بضحكة فاعتنقته [1]

[1] تفسير أبى السعود جـ ٦ ص ٨١-٨٢.

أقول يذكر أبو السعود فى حق سيدنا أيوب عليه السلام قصته طويلة فيها غرابة ونكارة شديدة ، لا يقرها شرع ، ولا يصدقها عقل ، لما فيها من المنافاة لمقام النبوة الرفيع والإخلال بعصمة الأنبياء الأجلاء.

والعجيب أن أبا السعود ينتهى منها ثم لا يعقب عليها بكلمة نقد واحدة تشعر بتكذيبها ، أو الشك فيها ، وكان الأولى به أن ينبه عليها أو ينزه كتابه عن ذكرها.

وهذا الذى ذكره أبو السعود ، لايخرج كثيرا عن ما ذكره وهب بن منبه وغيره من الروايات ، فهو مأخوذ من رواية طويلة ذكرها ابن جرير الطبرى فى تفسيره [١] عن وهب ، وذكر الثعلبى فى قصصه من رواية وهب فى أيوب معنى ما ذكره ابن جرير[٢] وأيضا بنحو ما ذكر، ذكر الزمخشرى فى الكشاف [٣] والبيضاوى فى تفسيره[٤] والقرطبى كذلك [٥] ولطول هذه الروايات تركناها، ولا نحب أن ننقلها هنا بنصها ، فإن فى ذلك تسويدا للصفحات ، ولكنا أردنا فقط أن نقف على المصدر الذى استمد منه أبو السعود هذه الروايات التى حكاها لنا آنفا ، فإذا ما جئنا بعد ذلك لتبيان ما تضمنه من دخيل وجدناه يتنوع إلى:

---

١ جامع البيان جـ ١٧ ص ٥٢.
٢ قصص الأنبياء لثعلبى ص ١٤٢.
٣ تفسير الزمخشرى جـ ٣ ص ١٨.
٤ تفسير البيضاوى ص ٤٣٥.
٥ تفسير القرطبى جـ ٥ ص ٤٣٦٥– ٤٣٦٦.

١- نسب أيوب عليه السلام وقد اختلف العلماء فيه ، حتى قال أبـو البقـاء لم يصح فى نسبه شئ ولكن الحافظ ابن كثير رجح فى البداية والنهاية أنه مـن نسل إسحاق ، فقال بعد أن حكى أقوال العلماء فيه ، والمشهور الأول ، يعنـى ما ذكره من أن أيوب هو ابن أمـوص بـن زارح بـن العيـص بـن إسـحاق بـن إبرهيم الخليل كما قررنا عند قوله تعالى ﴿**ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون**﴾[سورة الأنعام آيـة ٨٤] الآيـات مـن الصحيـح أن الضمـير عـائد علـى إبرهيـم دون نـوح عليهمـا السـلام ، وهـو مـن الأنبيـاء المنصوص على الإيحاء إليهم فى سورة النساء فى قوله تعـالى ﴿ **إنـا أوحينـا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا إلى إبرهيم وإسـماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب**﴾ **[سورة النساء آية ١٦٣]**

فالصحيح أنـه مـن سـلالة العيـص بـن إسـحاق [١] وهـو مـا ذكـره أبـو السعود.

٢ - والنسبة لمدة بلاء أيوب ذكر أبو السعود أنها كانت ثمان عشرة سنة أو ثلاث عشرة سنة أو سبعا وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات.

وأقول : هذه الروايات تتبـاين مـع روايـة وهـب التـى تقـول " إن مـدة بلائه كانت ثلاث سنين ، لا تزيد ولا تنقص يوما واحدا[٢] وعـن هـذا التباين والاختلاف فى بلاء أيوب يقول الحافظ بن حجر.

---

١ البداية والنهاية جـ ١ ص ٢٢٠- ٢٢١.

٢ انظر تفسير ابن كثير جـ ٥ ص ٥٣٤ والبداية والنهاية جـ ١ ص ٢٢٢.

(واختلف فى مدة بلائه ، فقيل : ثلاث عشرة سنة ، ونسبه إلى أنس وقال وهو الصحيح ، وقيل ثمان عشرة سنة ، وقيل ثلاث سنين ، وهو قول وهب ، وقيل : سبع سنين وهو عن الحسن وقتادة [١]

ومن هذا يتبين التعارض الكبير الذى وقع بين الروايات والذى بسببه لا يطمئن القلب لصحة أى منها.

فهل مكث أيوب فى بلائه ثلاث سنين كما زعم وهب ، أو سبع سنين كما جزم كعب [٢] أو ثمان عشرة سنة كما قال غيرهما ،الله أعلم بحقيقة الحال وبما كان من ذلك.

أما القول بأن مدة بلاء أيوب كانت ثلاث عشرة سنة ، وهو ما صححه ابن حجر وعزاه إلى أنس فلعل سنده فى ذلك الحديث الذى هو على شرط البخارى المروى عن أبى حاتم وابن جريج وصححه ابن حبان والحاكم من طريق نافع بن يزيد ، عن عقيل عن الزهرى، عن أنس (أن أيوب ابتلى فلبث فى بلائه ثلاث عشرة سنة ، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه ، فكانا يغدوان إليه ويروحان..) الحديث [٣]

---

[١] فتح البارى كتاب الأنبياء جـ ٦ ص ٤٧٦.

[٢] فتح البارى كتاب الأنبياء جـ ٦ ص ٤٧٦.

[٣] فتح البارى جـ ٦ ص ٤٨٥.

قال عنه الحافظ ابن كثير رفع هذا الحديث غريب جدا والأشبه أن يكون موقوفا[١]

ولئن كان الحافظ ابن حجر قد صحح هذا الحديث الآنف ذكره ، واعتبره أصح ما ورد فى قصة أيوب كما جاء ذلك فى فتح البارى بشرح صحيح البخارى [٢] فجوابنا عليه بما قاله العلماء المحققون : أن نسبة هذا الحديث إلى المعصوم صلى الله عليه وسلم إما من عمل بعض الوضاعين الذين يركبون الأسانيد للمتون ، أو من غلط بعض الرواة ، وأن ذلك من إسرائيليات بنى اسرائيل وافتراءاتهم على الأنبياء ، والأصحية هنا نسبية على أن صحة السند لا تنافى أن أصله من الإسرائيليات ، والإمام الحافظ ابن حجر ربما يوافق على تصحيح ما يخالف الأدلة الفعلية والنقلية كما فعل فى قصة الغرانيق ، وهاروت وماروت ، ، وكل ما روى موقوفا لا يخرج كما ذكره وهب بن منبه فى قصة أيوب[٣]

٣- وفى مدة الرخاء التى تسبق البلاء قال أبو السعود ، فقال : كم كانت مدة الرخاء؟ فقالت ثمانين سنة فقال أستحى من الله تعالى أن أدعوه وما بلغت مدة بلائى مدة رخائى... بينما الرواية التى ذكرها

---

[١] تفسير ابن كثير جـ ٥ ص ٣٥٦ والبداية والنهاية جـ ١ ص ٢٢٢.

[٢] جـ ٦ ص ٤٨٥.

[٣] الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير للأستاذ الدكتور محمد أبو شهبة ص ٣٩٠-٣٩١.

الحافظ ابن حجر فى هذا الصدد تقول: (وقيل إن امرأته قالت له ألا تدعو الله ليعافيك؟ فقال: قد عشت ء حيحا سبعين سنة أفلا أصبر سبع سنين[1] ومعلوم أن هناك فرقا بين السبعين والثمانين من السنين.

٤- أن ما أورده أبو السعود من أن إبليس أتى زوجه أيوب على هيئه عظيمة أو تمثل لها فى صورة طبيب كما جاء فى بعض الروايات، وطلب منها أن تسجد له ليرد لهما ما أخذه منهما بحجة أنه إله الأرض ، وما قيل من أنها جاءت إلى زوجها فوجدته ملقى فى الكناسة لا يقرب منه أحد فأخبرته بالقصة.

وما روى أيضا فى كيفية ذهاب ماله وولده وبلائه فى جسده ...الخ فكل ذلك منكر من القول وزوره وافتراء محض على نبى الله أيوب ، ولاعبرة بمن نقل ذلك إلينا حيث أن هذه الروايات لم ترد فى كتاب الله ولا فى سنة رسول الله ، حتى ولا من طريق ضعيف ولا واه ، بل هو مجرد نقل بغير أصل ولا سند.

والحق أن كل ما يروى فى هذا الشأن مدسوس على تفسير كتاب الله تعالى ، وكتاب الله لا يحتاج فى تفسيره إليه.

---

[1] فتح البارى جـ ٦ ص ٤٨٦.

ومن ثم تشكك الحافظ ابن كثير فى صحة هذه الروايات فقال : (وقد روى عن وهب بن منبه وغيره من علماء بنى اسرائيل فى قصة أيوب خبر طويل فى كيفية ذهاب ماله وولده وبلائه فى جسده والله أعلم بصحته)[١]

وكذلك تنبه الحافظ ابن حجر إلى مثل هذا فقال : لم يثبت عند البخارى فى قصة أيوب شئ ، فاكتفى بهذا الحديث الذى على شرطه [٢] وقد سبق ما قاله ابن كثير فى هذا الحديث منذ قليل.

وكل ما صح فى هذا الموضوع هو ما رواه البخارى فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (بينا أيوب يغتسل عريانا خرَّ عليه رجْل جراد [٣]من ذهب ، فجعل يحثى فى ثوبه فنادى ربه : يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى ؟ قال : بلى يارب ولكن لاغنى لى عن بركتك)[٤]

وواضح كل الوضوح من هذا الحديث أنه لم يذكر كلمة واحدة من هذه الإسرائيليات التى قيلت فى قصة أيوب.

ومن هنا انبرى العلماء المحققون للرد على هذه الروايات الباطلة بما هى أهل له ، وإليك بعض ما قالوه فى هذا الصدد.

[١] البداية والنهاية جـ ١ ص ٢٢٢.
[٢] فتح البارى كتاب الأنبياء جـ ٦ ص ٤٨٥.
[٣] جامعة جراد .
[٤] فتح البارى جـ ٦ ص ٤٨٤.

أولاً

فى البداية أشار الحافظ ابن كثير فى تفسيره إلى تلك الرواية الهابطة التى قيلت فى بلاء أيوب ، وذكر أن فيها غرابة ، ولذلك أعرض عنها فقال (وقد ذكر عن وهب بن منبه فى خبره قصة طويلة ساقها ابن جرير وابن أبى حاتم بالسند عنه ، وذكرها غير واحد من متأخرى المفسرين ، وفيها غرابة تركناها لحال الطول[1]

ثانيا

كما فند القاسمى ما ذكره المفسرون من روايات مختلفة فى محنة أيوب، وبين أن أسانيدها واهية ، لا يقام لها عند أئمة الحديث وزن، إذ أن فيها غرابة ومن ثم لاثقة بها جميعها فقال وقد روى المفسرون هاهنا فى بلاء أيوب روايات مختلفات بأسانيد واهيات ،لا يقام لها عند أئمة الأثر وزن ، ولاتعار من الثقة أدنى نظر ، نعم يوجد فى التوراة سفر لأيوب فيه من شرح ضرب ، بفقد كل مقتنيات ومواشيه وآل بيته ، وبنزول مرض شديد به ،عدم معه الراحة ولذة الحياة ، غرائب ، إلا أنها مما لا يوثق بها جميعا،لما داخلها من المزيج ، وتوسع بها فى الدخيل ، حتى اختلط الحابل بالنابل وإن كان يؤخذ من مجموعها بلاء فادح وغير مدهش ولو علم الله خيرا فى أكثر

---

[1] تفسير ابن كثير جـ ٥ ص ٣٥٤.

مما أجمله فى تنزيله الحليم ،لتفضل علينا بتفصيله ولذا يوقف عند اجماله فيما أجمل،وتفصيله فيما فصل [١]

ثالثا

كذلك أضرب القاضي أبو بكر بن العربي من إيراد هذا القصص المشين فقال : ولم يصح عن أيوب فى أمره إلا ما أخبرنا الله عنه فى كتابه فى آيتين الأولي في قوله تعالى ﴿ **وأيوب إذنادى ربه أنى مسنى الضر** ﴾ والتاريخ والثانية فى سورة ص ﴿**إنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب** ﴾ [سورة ص أية ٤١] وأما النبى صلى الله عليه وسلم فلم يصح عنه أنه ذكره بحرف واحد إلآ قوله :" بينما أيوب يغتسل إذ خر عليه رجل جراد من ذهب .... "الحديث واذا لم يصح فيه قرآن ولاسنه إلاما ذكرناه فمن الذي يوصل السامع إلي أيوب خبره ؟ أم على أى لسان سمعه ؟ والإسرائيليات مرفوضه عند العلماء على البتات ، فأعرض عن سطورها بصرك ،وأصم عن سماعها أذنيك ، فإنها لا تعطى فكرك إلا خيالا ولاتزيد فؤدك إلا خبالا..)

رابعا

من المسلم به أن الأنبياء معصومون ومنزهون عن الأمراض المنفرة والمعدية ، كما هو مقرر عند علماء التوحيد وعليه فإن المرض الذى أصاب أيوب لم يكن مرضا منفرا أو معديا ، وليس فيه

[١] تفسير القاسمى جـ ١١ ص ٤٢٩٨.

شئ من هذه المرديات التى ذكرت أنه أصيب بمرض نفر الناس منه إلى الحد الذى استقذروه ، وألقوه على كناسة بنى إسرائيل يرعى فى جسده الدود إلى آخر ما هنا لك من حكايات ، وأكاذيب تلقفها بعض القصاص ،وأدخلت إلى كتب التفسير ، وهى مما تنافى عصمة الأنبياء ، نعم تجوز عليهم الأحوال العادية ، من الفقر والأمراض العادية غير المنفرة والمعدية قال الأمام الطبرسى قال أهل التحقيق : إ نه لا يجوز أن يكون بصفة يستقذرة الناس عليها ، لأن فى ذلك تنفيرا ، فأما المرض والفقر وذهاب الأهل فيجوز أن يمتحنه الله تعالى بذلك) [1]

خامسا

وأيضا يقول العلامة الألوسى فى التعليق على ما نحن بصدده : وفى هداية المريد للقاضى : أنه يجوز على الأنبياء عليهم السلام كل عرض بشرى ليس محرما ولامكروها ولامباحا مزريا ولامزمنا ، ولامما تعافه الأنفس ، ولامما يؤدى إلى النفرة ، ثم قال بعد ورقتين : واحترزنا بقولنا : ولا مزمنا ، ولا مما تعافه الأنفس مما كان من ذلك كالإقعاء ، والبرص والجزام ، والعمى، والجنون ، وأما الإغماء : فقال النووى : لا شك فى جوازه عليهم لأنه مرض بخلاف الجنون ، فإنه نقص ، وقيد أبو حامد الإغماء بغير الطويل وجزم به البلقيني ، قال السبكى : وليس كإغماء غيرهم لأنه إنما يستر

[1] مجمع البيان لعلوم القرآن للإمام السعيد أبى الفضل الطبر سى جـ ٨ ص ٤٠٢- ٤٠٣ طبع دار القرآن للطباعة والنشر.

حواسهم الظاهرة دون قلوبهم لأنها معصومة من سوم الأخف ، قال : ويمتنع عليهم الجنون وإن قل لأنه نقص ويلحق به العمى ، ولم يعم نبى قط ، وما ذكر عن شعيب من أنه كان ضريرا لم يثبت ،وأما يعقوب فحصلت له غشاوة وزالت أ هـ.

وفرق بعضهم فى عروض ذلك بين أن يكون بعد التبليغ وحصول الغرض من النبوة ، فيجوز ، وبين أن يكون قبل فلا يجوز ،ولعلك تختار القول بحفظهم مما تعافه النفوس ، ويؤدى إلى الاستقذار والنفرة مطلقا، وحينئذ فلا بد من القول بأن ما ابتلى به أيوب لم يصل إلى حد الاستقذار والنفرة.

كما يشعر ما روى عن قتادة ، ونقلها القصاص فى كتبهم ، وذكره بعضهم أن داءه كان الجدرى ، لا اعتقد صحة ذلك والله تعالى أعلم) [1]

القول الصحيح

والذى يجب أن يعتقدة المسلم ويقتصر عليه ، أن أيوب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، قد ابتلى بمرض شديد ، ولكنه غير منفر ، وأنه غضب على زوجه لأمر – ما – ربما يكون غيابها عنه وحاله لايحتمل ، فحلف أن يضربها مائة جلدة ، فجعل الله له من أمره مخرجا ، فجمع له مائه عود ، فضربها ضربه واحدة ، ولم يحنث فى يمينه ، وبلاء أيوب لم يكن فى جسده

---

[1] تفسير الألوسى جـ ٢٣ص ٢٠٨.

فحسب ، بل شمل المال والأهل والولد ، وقد نادى ربه فاستجاب له ، وكشف عنه كل ضر ، ووهبه أهله، ومثلهم معهم ، وهكذا عوضه الله أضعاف ما فقد ، رحمة منه وذكرى للعابدين.

ثم إن القرآن بذكره قصة أيوب ، إنما يشير بذلك إلى ما وقع له وما أصابه من البلاء ، ودعاءه ربه فى كشف ما نزل به ، واستجابته تعالى دعاءه ، وما امتن عليه به فى رفع البلاء ، وما ضاعف له بعد صبره من النعماء ، إنما كان ذلك ليعلمنا أن عاقبة العسر اليسر ، وإن النصر مع الصبر ، ولا غرو فقد امتدح الله نبيه أيوب على صبره الذى صار مضرب الأمثال فقال ﴿**إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب**﴾ [سورة ص آية ٤٤] وليكون لنا الأسوة والقدوة بمثل هذا النبى الصبور ، فيما ينزل أحيانا بالانسان من ضر ، فالبلاء ينج من الأنبياء بل هم أشد الناس ابتلاء ، كما ورد فى الحديث الشريف " أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل" [١]

وبالجملة فالسر هو تثبيت قلوب المؤمنين وحملهم على الصبر فى المجاهدة فى سبيل الحق [٢]

---

[١] من حديث أخرجه الترمذى عن مصعب بن سعد عن أبيه- بلفظ- قلت يا رسول الله : أى الناس أشد بلاء؟ قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان دينه صلبا أشتد بلاءه ..الخ الحديث ، وقال هذا حديث حسن صحيح ، كتاب الزهد باب ما جاء فى الصبر على البلاء جـ ٤ ص ٦٠١-٦٠٢.

[٢] تفسير القاسمي جـ ١١ ص ٤٢٩٧- ٤٢٩٨.

وهذا الذى ذكرناه ، وهو غاية مادل عليه القرآن الكريم الواجب على المسلم أن يقف عنده ، ولا يتزيد فيه ، كما تزيد أهل الكتاب وألصقوا بالانبياء مما هم منه براء ، والله تعالى أعلى وأعلم.

موسى عليه السلام

ولادته وإرضاعه

موسى بن عمران بن قاهت بن لاوى بن يعقوب عليه السلام ، وكان عمران قد تزوج من عمته يوكابد بنت لاوى [١] ومعلوم أن زواج العمات لم يكن قد نزل الأمر بتحريمه ، لأن ذلك كان على يد موسى بعد خروج بنى إسرائيل من مصر ، ولما ولدته خبأته عن عيون من يطلبون أطفال بنى إسرائيل لقتل ذكرانهم ، فمكث عندها ثلاثة أشهر ، فلما خافت افتضاح أمرها وأعلمها الله تعالى ، أن تصنع له ما يشبه الصندوق وتطليه بالخُمَّرَ [٢] والزفت ، وتلقيه فى اليم ففعلت ، وناطت بأخته أن تتبع أثره وتعلم علمه ، وكان الله تعالى قد أعلمها أنه راده إليها وجاعله من المرسلين ، فلم تزل أخته تراقبه حتى علمت أنه التقط وأدخل دار فرعون ، وأن عين زوجه فرعون وقعت عليه ، فألقى الله عليه محبتها ، فاستحيته وأبقته ليكون قرة عينها وعين فرعون راجية أن ينفعها ، أو يتخذاه ولدا ، وهذا تدبير من الله لموسي وأمه ، لأنه سيرد إليها لتكون ظئرا له ، وتتقاضى على إرضاعه أجرا ، وهى آمنة كيد الكائدين ، وسعى الساعين وكيفية إعطائها إياه لترضعه ، أن

---

[١] الأصحاح الثانى من سفر الخروج الآية ٢٠ وأخذ عمران يوكابد زوجة له فولدت له هارون وموسى.

[٢] الحمر بضم الخاء وتشديد الميم المفتوحة القطران.

الله تعالى زهده فى المراضع فلم يقبل علـى ثدى إحداهن رحمـة منـه تعـالى بأمه ، وكانت أخته تقص أثره ، وتتبعه أينما سير بـه ، حتـى رأت إعراضـه عن الثدى ، فعرضت على آل فرعون أن تدعو لهم امـرأة عبرانيـة ترضعـه وتكفله ، وأن تكون له ناصحـة مشـفقة تقـوم لـه مقـام الأم ، وكـان اسـم أختـه مريم.

صادف قول مريم من آل فرعـون أذنـا مصغيـة ، وبعثوهـا فـى طلـب الظئر فجاءت بأمها وأمه ، فأقبل على ثديها فالقوا إليها بموسى لترضعه وهـو موضع عنايتهم [١]

تربية موسى فى بيت فرعون

من الطبيعي أن تكون أم موسى بعد أن أتمت رضاعتها قد أتت به إلى بيت فرعون وتولى البلاط الفرعونى تربيته كما كانوا يربون أبناء الملوك فـى ذلك العهد بواسطة الكهنة ورجال الدين بحسب التقاليد التى كانت لذلك البيـت فى تلك الأيام وأن يكون موسى قد تعلم تعليما راقيا ، وأن الكهنـة كـانوا كـل شـيء ، وأنهم كـانوا الأطبـاء ومعلمـى الحسـاب والهيئـة والتـاريخ والصيدلـة والفلسفة ، ومعلمى القراءة والكتابـة، وفـى يدهـم علـوم الثقافـة ، وأنهم كـانوا متمكنين فى توحيد الله الحق ، وكان ذلك سرا يكتمونه عن العامة لا عن مثل

١ قصص الأنبياء ص ١٨٩- ١٩٠.

موسى ، ولا يبوحون به إلا للخاصة ، ومن يريدون الدخول فى زمرتهم ، وأما العامة فإنهم يلهونهم بهذه الأوثان والتماثيل.

قال ابن كثير [1] إن أهل مصر كانوا يعبدون أصناما إلاأنهم يعلمون أن الذى يغفر الذنوب ويؤاخذ بها هو الله وحده لا شريك له فى ذلك وأن موسى تلقى الإيمان والتوحيد من امة وأبيه ، وأن مستقر اعتقاده لم يتلوث بشيء من وثنية المصرين قال تعالى " رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين " فإنه لم يضرع إمون رع ، ولا أزوريس ، ولا إيزيس ولا إلى أبيس وغيرهن .

وبذلك فالقرآن الكريم يشهد بصريح عباراته أن موسى لم ينقطع عن البلاط الفرعونى بمجرد فطامه ، ففرعون يقول له " ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين " قال البيضاوى : قيل مكث فيهم ثلاثين سنة أى قبل أن يذهب إلى مدين[2]

ما قيل فى تحديد القتلى الذين ذبحوا فى طلب موسى

قال تعالى ﴿ **إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيى نساءهم إنه كان من المفسدين " إلى قوله تعالى " وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى**

---

[1] البداية والنهاية جـ ١ ص ٢٠٤.

[2] قصص الأنبياء للشيخ ص ١٩٣– ١٩٥.

اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ، فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ﴾ [سورة القصص الآيات ٤-٨]

عند تفسير هذه الآيات ذكر أبوالسعود رواية تحدد عددالقتلى الذين ذبحوا فى طلب موسى عليه السلام فقال ما نصه : (روى أنه ذبح فى طلبه عليه الصلاة والسلام تسعون ألف وليد) [١]

أقول : ما ذكره أبو السعود من تحديد القتلى الذين ذبحوا فى طلب موسى عليه السلام ، لا يعول عليه لما فيه من التناقض بين مروياته ، فرواية أبى السعود تتباين مع العدد الذى ذكره الثعلبى فى قصصه من رواية وهب ابن منبه ، حيث قال : بلغنى أنه ذبح فى طلب موسى سبعون ألف وليد [٢]

ويذكر أبو حيان رواية ثالثة تختلف عن الروايتين السابقتين فيقول : يقال : إنه قتل أربعين ألف صبى [٣]

ومما سبق يتضح بجلاء أن الروايات التى جاءت فى هذا الصدد متناقضة مما من شأنه أن يذهب الثقة بها جميعا ، فإذا جئنا إلى ابن جرير الطبرى لنتعرف على بعض ما ذكره فى معانى هذه الآيات وجدناه يقول: (حدثنا القاسم قال حدثنى أبو سفيان عن معمر ، عن قتادة : " ونجعلهم الوارثين

---

١ تفسير أبى السعود جـ ٧ ص ٤.
٢ قصص الأنبياء للثعلبى ص ١٤٩.
٣ البحر المحيط جـ ١ ص ١٩٤.

" يقول : ***يرثون الأرض بعد فرعون*** ، وقوله " ونمكن لهم فى الأرض " يقول : ونوطىء لهم فى أرض الشام ومصر ، ونرى فرعون وهامان وجنودهما كانوا قد ***أخبروا أن هلاكهم على يد رجل من بنى إسرائيل على يد موسى بن عمران نبيه*** ما كانوا يحذرونه منهم من هلاكهم وخراب منازلهم ودورهم ، كما حدثنا سعيد عن قتادة : " ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون " شيئا ما حذر القوم ، قال : وذكر لنا أن حازيا [١] حزا لعدو الله فرعون فقال : يولد فى هذا العام غلام من بنى إسرائيل يسلبك ، ويجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم ، حذار مما قاله الحازى[٢]

فهذا الذى قاله الطبرى هو ***الأولى بالقبول، والأوفق*** فى هذه المسألة

أما ما ذكره أبو السعود ومن وافقه فى تحديد عدد القتلى بـ (تسعين ألف وليد) أو بـ (سبعين ألف ولد) كما روى عن وهب بن منبه أو بأربعين ألف ولد) كما ذكره أبو حيان ، وما كل ذلك إلا روايات إسرائيلية فيها ما فيها من المبالغات والتزايدات ، وما أغنى كتاب الله تعالى عن إيرادها تفسير لآياته ، ذلك أن المقصود من تلك الآيات إنما هو المنّ على بنى إسرائيل وتذكيرهم بنعم الله جل فى علاه ، ومن تلك النعم إنجاؤهم من بأس فرعون وطغيانه الذى كان يسومهم سوء العذاب من تذبيح الذكور واستبقاء الإناث ،

---

[١] الحازى الكاهن.

[٢] جامع البيان جـ ٢.

ومن تلك النعم أيضا أن الحق سبحانه تفضل على الذين استضعفهم فرعون فى الأرض وجعلهم هداة إلى الخير ، وأورثهم ملك الأرض والسلطان.

وإذن فالقول بتحديد العدد من الدخيل، وأن نغض النظر عنه ، خاصة وأن القرآن الكريم لم يتعرض لبيان عدد القتلى ، ولكنه حكى لنا الخبر عاما مبهما.

وعليه فإنه يجب أن نتوقف عند توقف النص القرآنى فى إخباره فى مثل هذه الأمور.

قال صاحب تفسير المنار تعقيبا على مثل هذا الموقف : وقال مفسرنا الجلال كغيره أن الذين قتلوا سبعون ألفا والقرآن الكريم لم يبين العدد ، والعبرة المقصودة من القصة لا تتوقف على تعيينه فلنمسك عنه هكذا .

قال الأستاذ الإمام : وهذا مذهبه فى جميع مبهمات القرآن ، يقف عند النص القطعى ، لا يتعداه ، ويثبت أن الفائدة لا تتوقف على سواه[1]

ما جاء بشأن صهر موسى عليه السلام مَن هو ؟

قال تعالى ﴿ **فجاءته إحداهما تمشى على استحياء ، قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ، فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا**

---

[1] تفسير المنار جـ ١ ص ٢٦٦.

تخف نجوت من القوم الظالمين ، قالت إحداهما يا أبت استأجره ، إن خير من استأجرت القوى الأمين﴾ [سورة القصص آية ٢٥-٢٦]

ذهب الإمام أبو السعود في تفسيره لهذه الآيات إلى أن صهر موسى هو نبي الله شعيب عليهما السلام فقال: (روى أنها لما قالت : " إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا" أجابها فانطلقا وهي أمامه فألزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته ، فقال لها أمشي خلفي وانعتي لي الطريق ففعلت ، حتى أتيا دار شعيب عليهما السلام " فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين " الذي يلوح من ظاهر النظم الكريم أن موسى عليه السلام إنما أجاب المستدعية من غير تلعثم ليتبرك برؤية شعيب عليه السلام ويستظهر برأيه لا ليأخذ بمعرفته أجرا حسبما صرحت به ، ألا ترى أن شعيبا لما قدم إليه طعاما قال : إنا أهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الأرض ذهبا ، ولا نأخذ على المعروف ثمنا، ولم يتناول حتى قال شعيب عليه السلام هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فتناول بعد ذلك على سبيل التقبل)[1]

ردا على ما ذهب إليه أبو السعود من أن صهر موسى هو نبي الله شعيب عليهما السلام.

أقول : لقد أختلف المفسرون في تعيينه من هو ؟ على أقوال :

---

[1] تفسير أبي السعود جـ ٧ ص ٩.

١- فمن قائل بأنه شعيب النبى عليه السلام ، وهذا الرأى هو المشهور عند كثير من العلماء ، وممن نص عليه الحسن البصرى ، ومالك ابن أنس وفى ذلك روى الإمام الطبرى بسنده إلى قرة بن خالد ، قال : سمعت الحسن يقول : يقولون شعيب صاحب موسى ولكنه سيد أهل الماء يومئذ) [١] وروى ابن أبى حاتم بسنده إلى مالك ابن أنس أنه بلغه أن شعيبا هو الذى قص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين" [٢] ويلاحظ على هاتين الروايتين أن الأولى جاءت بلفظ (يقولون) والثانية بلفظ (أنه بلغه) ومعلوم أن هذين اللفظين لا يفيدان الجزم القاطع.

ويذكر الحافظ ابن كثير هذا الرأى ثم يتعقبه بالنقد أن هناك فاصلا زمنيا كبيرا بين نبى الله شعيب وموسى عليهما السلام فيقول :(كان شعيب قبل زمان موسى عليه السلام بمدة طويلة، لأنه قال لقومه" وما قوم لوط منكم ببعيد"

وقد كان هلاك قوم لوط فى زمن الخليل إبرهيم عليه السلام بنص القرآن ، وقد علم أنه كان بين موسى والخليل عليهما السلام مدة طويلة تزيد على أربعمائة سنة كما ذكره غير واحد.

وما قيل من أن شعيبا عاش مدة طويلة ، إنما هو - والله أعلم- احتراز من هذا الإشكال.

---

[١] جامع البيان جـ ٢٠ ص ٤٠.

[٢] تفسير ابن كثير جـ ٦ ص ٢٣٨.

ثم من المقوى لكونه ليس بشعيب ، أنه لو كان إياه لما كان هناك ما نع أن ينص عليه اسمه فى القرآن هاهنا ، وما جاء فى بعض الأحاديث من التصريح بذكره فى قصة موسى لم يصح إسناده)[1]

٢- ومن قائل بأن صهر موسى هو يثرون بن أخى شعيب عليه السلام وفى ذلك روى الإمام الطبرى بسنده إلى أبى عبيد قال : كان الذى استأجر موسى ابن أخى شعيب (يثرون) [2]

٣- ومن قائل بأن اسمه (يثرى) وهذا الرأى معزو لابن عباس رضى الله عنهما ، حدث بذلك ابن جرير الطبرى بسنده إلى ابن عباس قال : الذى استأجر موسى (يثرى) صاحب مدين [3]

٤- ومن قائل بأنه رجل مؤمن من قوم شعيب ، ذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره حيث قال ما نصه (وقيل رجل مؤمن من قوم شعيب)[4]

وهذه الأقوال بعضها محتمل ، وبعضها بعيد ، وليس أحدهما أولى بالقبول من الآخر ، لأنه لم يؤيد بنص قطعى الثبوت والدلالة، ولا بخبر صحيح عن المعصوم يرجحه على غيره.

---

[1] تفسير ابن كثير جـ ٦ ص ٢٣٨.

[2] جامع اليان جـ ٢٠ ص ٤٠.

[3] جامع البيان جـ ٢٠ ص ٤٠.

[4] تفسير ابن كثير جـ ٦ ص ٢٣٨.

ولذلك كان رأى الإمام الطبرى صائبا وموفقا حين توقف فى أمر ذلك الشيخ الكبير، وها هو ذا يقول بعد ذكره الاختلاف فى تعيين صهر موسى ، وهذا مما لايدرك علمه إلا بخبر ، ولا خبر بذلك تجب حجته ، فلا قول فى ذلك أولى بالصواب ما قاله الله جل ثناؤه وتبعه فى ذلك الإمام الرازى فقال : قلنا ليس فى القرآن ما يدل على أن أباهم - يعنى المرأتين - كان شعيبا) [١]

ويذكر الإمام شهاب الدين العراقى الروايات التى جاءت بشأن تعيين اسم أبى هاتين المرأتين ، ويعقب عليها بما يفندها فيقول: (إن هذا وأمثاله مما تقدم مما لا يقال من قبيل الرأى ، فالمدار فى قبول شئ من ذلك خبر يعول عليه ، والأخبار التى وقفنا عليها فى هذا المطلب مختلفة ولم يتميز عندنا ما هو الأرجح فيما بينها [٢]

ومما تقدم نخلص إلى أن التوقف أسلم الآراء جميعا ما دامت أخبار تعيينه غير صحيحة ، وهذا ما أميل إليه مادام القرآن لم يعين ، والسنة الصحيحة لم تبين.

على أن الجزم بأن صهر موسى هو نبى الله شعيب قول على الله بغير علم وهذا مما نهى عنه القرآن فى قوله " ولا تقف ما ليس لك به علم"

---

١ تفسير الفخر الرازى جـ ٢٤ ص ٢٤٠.
٢ تفسير الألوسى جـ ٢٠ ص ٦١.

فالصواب إذن **عدم التعيين** ، إذ من المحتمل أن يكون صهر موسى هو شعيب ، ومن المحتمل أن يكون ابن أخيه ، كما يحتمل أن يكون رجلا صالحا من أهل مدين ، المهم أنه شيخ كبير كما صرح بذلك التنزيل ، قال صاحب الظلال : وأنا أميل إلى ترجيح أنه ليس شعيبا ، وإنما هو شيخ آخر من مدين ، والذى يحملنى على هذا الترجيح أن هذا الرجل شيخ كبير ، وشعيب شهد مهلك قومه المكذبين له ، ولم يبق معه إلا المؤمنون به ، فلو كان هو شعيب النبى بين بقية قومه المؤمنين ما سقوا قبل بنتى نبيهم الشيخ الكبير ، فليس هذا سلوك قوم مؤمنين ، ولا معاملتهم لنبيهم وبناته من أول جيل ، يضاف إلى هذا أن القرآن لم يذكر شيئا عن تعليمه لموسى صهره ، ولو كان شعيبا النبى لسمعنا صوت النبوة فى شئ من هذا مع موسى وقد عاش معه عشر سنوات[١]

وما رواه الإمام أبو السعود من تعيين اسم المرأة التى جاءت سيدنا موسى عليه السلام حيث قال : (قيل هى كبراهما واسمها صفراء أو صفوراء ، وقيل صغراهما واسمها صفيراء) [٢] ينافى ما رواه الإمام الطبرى من طريق ابن جريج عن شعيب الجبائى قال : اسم الجاريتن ليا ، وصفورا ، وامرأة موسى صفورا ابنة يثرون كاهن مدين ، والكاهن حبر وروى الطبرى عن ابن إسحاق بنحوه ، وقال اسم الثانية شرفا ، ويقال ليا [٣] وهكذا يبدو

---

١ فى ظلال القرآن لسيد قطب المجلد الخامس ٢٦٨٧ دار الشروق .

٢ تفسير أبى السعود جـ ٧ ص ٩.

٣ انظر جامع البيان جـ ٢٠ ص ٣٩-٤٠.

واضحا أن أخبار تعيين اسم الجاريتين غير صحيح ، فابن جريج وابن إسحاق ممن يرويان الأخبار عن أهل الكتاب ، ولذلك يذكر الفخر الرازى الروايات التى جاءت بشأن تعيين اسم هاتين الجاريتين ثم يعقب عليها بقوله (وليس فى القرآن دلالة على شئ من هذا التفصيل) [1]

ما ذكر فى شأن عصا موسى عليه السلام

قال تعالى ﴿ **إنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتى هاتين على أن تأجرنى ثمانى حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدنى إن شاء الله من الصالحين ، قال ذلك بينى وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علىّ والله على ما نقول وكيل**﴾ [سورة القصص آية ٢٧- ٢٨]

فمن الروايات الإسرائيلية ما ذكره أبو السعود عند تفسيره لهاتين الآيتين ، فقد ذكر كيفية حصول سيدنا موسى عليه السلام على العصا فقال : (روى أنهما - أى موسى وشعيب - لما أتما العقد ، قال شعيب لموسى عليه السلام أدخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصى ، وكانت عنده عصى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فأخذ عصا هبط بها آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة ولم يزل الأنبياء يتوارثونها حتى وقعت إلى شعيب عليه السلام فمسها وكان مكفوفا فضن بها ، فقال : خذ غيرها ، فما وقع فى يده إلا هى سبع مرات فعلم أن له شأنا ، وقيل أخذها جبريل بعد موت آدم عليه السلام

---

[1] تفسير الفخر الرازى جـ ٢٤ ص ٢٤١.

فكانت معه حتى لقى بها موسى عليه السلام ليلا ، وقيل أودعها شعيبا ملك في صورة رجل فأمر بنته أن تأتيه بعصا ، فأتته بها ، فردها سبع مرات ، فلم يقع فى يدها غيرها فدفعها إليه ثم ندم لأنها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع ، فأتاهما الملك، فقال ألقياها ، فمن رفعها فهى له فعالجها الشيخ فلم يطقها ، ورفعها موسى عليه السلام وعن الحسن رضى اله عنه ما كانت الإ عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبى رحمه الله الشجرة التى منها نودى شجرة العوسج ، ومنها كانت عصاه ، ولما أصبح قال له شعيب صلوات الله وسلامه عليهما إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فإن الكلأ وإن كان بها أكثر إلا أن فيها تنينا أخشاه عليك وعلى الغنم ، فأخذت الغنم ذات اليمين ، فلم يقدر على كفها ، ومشى على أثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله فنام ، فإذا بالتنين قد أقبل ، فحاربته العصا حتى قتلته ، وعادت إلى جنب موسى عليه السلام دامية ، فلما أبصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك.

فلما رجع إلى شعيب عليهما السلام مس الغنم فوجدها ملأى البطون ، غزيرة اللبن فأخبره موسى عليه السلام بالشأن ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنا....) [1]

---

[1] تفسير أبي السعود جـ ٧ ص ١١.

أقول:ما ذكره أبو السعود من روايات تتعلق بشأن عصا موسى عليه السلام لا يصح منها شئ،إذ أنها مبالغات وتهويلات إسرائيلية لا يمكن الوثوق بها ولا الاطمئنان إليها.

وآية ذلك أن هناك روايات أخرى أوردها بعض المفسرين فى هذا الشأن تتناقض معها تناقضا واضحا.

فالإمام أبو السعود ينص فى روايته على أن التوقيت الذى أخذ فيه موسى العصا كان فى بداية حياته عند صهره فيقول : روى أنهما لما أتما العقد قال شعيب لموسى عليه السلام أدخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصى ، وكانت عند الأنبياء جميعا...الخ.

بينما تنص رواية الثعلبى على أن ذلك كان أثناء خروج موسى عليه السلام متوجها بالليل إلى مدين.

قال مقاتل : بل كان جبريل هو الذى دفع العصا إلى موسى وهو متوجه إلى مدين بالليل [1]

وتأتى رواية ثالثة تقول : إن ذلك كان بعد أن أمضى موسى الأجل عند صهره يقول الثعلبى فى قصصه ، وفى رواية أخرى أن موسى لبث عند شعيب ما شاء الله ، ثم استأذنه فى الانصراف فأذن له وقال له : أدخل هذا

---

[1] قصص الأنبياء للثعلبى ص ١٥٦.

البيت ، وخذ عصا من العصى تكن معك تدرأ بها السباع عنك وعن غنمك..الخ[1]

وبالنسبة للكيفية التى حصل بها موسى علىهذه العصا نجد الروايات أيضا تتناقض وتتعارض.

فأبو السعود يقول فى روايته : أخذ موسى عصا هبط بها آدم من الجنة ، ولم يزل الأنبياء يتوارثونها حتى وقعت إلى شعيب عليه السلام..الخ.

بينما يقول ابن جرير الطبرى : إن آدم خرج بها من الجنة ثم أخذها جبريل بعد ذلك فدفعها إلى موسى ليلا.

وفى ذلك يروى ابن جرير بسنده إلى أبى بكر قال : سألت عكرمة قال : أما عصا موسى فإنها خرج بها آدم من الجنة ثم قبضها بعد ذلك جبرائيل فلقى موسى بها ليلا فدفعها إليه [2]

ويذكر الثعلبى رواية ثالثة عن عبد الله بن عمرو بن العاص تخالف هاتين الروايتين فى كيفية حصول موسى على العصا، وينص فيها على أن موسى هو الذى اقتطع العصا من شجرة العوسج فيقول وأما أول شجرة

---

[1] قصص الأنبياء للثعلبى ص ١٥٦.

[2] جامع الأنبياء ص ١٥٦.

وضعها الله فى الأرض فالعوسجة التى اقتطع منهـا موسى عصـاه[١] وهكذا يبدو بوضوح أن الروايات كلها متعارضة متضاربة يرد بعضها بعضا.

وكما هو مقرر فى علم الأصول : الروايات إذا تضاربت تساقطت إذ أنه لم يوجد فيها ما هى أصح من الأخرى.

وما أعدل ما قاله الإمـام الـرازى فـى هذا المقـام بعد ذكره اختلاف العلماء فى العصا ونعتهم لها : (ولا مطمـع فـى ترجيح بعض هـذه الوجوه على بعض لأنه ليس فى القرآن ما يدل عليها والأخبار متعارضة والله أعلم بها) [٢]

وعليـه فإننـا نستطيع القول بـأن مـا ذكره أبـو السـعود وغـيره مـن المفسرين فى شأن العصا من الدخيل الذى لا حاجة للنـاس إلـى معرفتـه ، ولا يتوقف عليـه تفسير ولا تـأويل ، وغايـة مـا يقـال فيـه أنـه مـن المبالغـات والتهويلات الإسرائيلية التى لا سند لها ، ولا يوثق فيها بشئ .

الرأى الصحيح

والذى يجب الإيمان به فى هـذه المسـألة ، والوقوف عند القدر الذى أخبر به القرآن ، وقد أخبر القرآن عن هذه العصا فى سورة طه فقال: " ومـا تلك بيمينك يا موسى ، قال هى عصاى أتوكأ عليها ، وأهش بها على غنمى ،

---

١ قصص لظلتبيلء ص ١٥٦,

٢ تفسير الفخر الرازى جـ ٣ ص ٩٥.

ولى فيها مآرب أخرى ، قال ألقها يا موسى ، فألقاها فإذا هى حية تسعى ، قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى ، واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى ، لنريك من آياتنا الكبرى" [1] ذلك أقصى ما يعرفه موسى عن تلك العصا، فالآيات تدل بوضوح على أن موسى عليه السلام (لم يكن يعرف ما فى العصا من أسرار وإنما عرف ذلك بعد ما ألقاها بأمر ربه ، ولما تحولت إلى حية تسعى خاف ، فأمنه الله ، وكون العصا آية من آيات الله الكبرى يبطل كل ما ذكر فيها من روايات ، فإن العصا عصا عادية تماما، وليست كما صوروا ،وهم قد صوروها ووصفوها بكل أوصافها الكاذبة قبل أن يوحى إلى موسى عليه السلام ، وكانت العصا آية ومعجزة لموسى بعد الوحى ، وهناك فرق بين المقامين ، كما جاء فى حال موسى والعصا فى سورتى النمل والقصص [2]

أما أن يبحث عن جنس العصا وما هيتها ، ومن أى الأشجار كانت ؟ وكيف كانت ميراثا يتوارثها الأنبياء؟ وكيف أن جبريل أخذها بعد موت آدم فكانت معه حتى لقى بها موسى عليه السلام دفعها إليه فتلك أمور لا يجب علينا بحثها ولا معرفتها.

ثم أى فائدة تعود على الإسلام والمسلمين من البحث فى مثل هذه الأمور؟ إن البحث فيها لا يؤدى إلى فائدة ، ولا يوصل إلى غاية ، وإذن

---

[1] تفسير الفخر الرازى جـ ٣ ص ٩٥.

[2] سورة النمل آية ١٠- ١٣ وسورة القصص آية ٣١-٣٢.

فالسكوت عن أمثال هذه المباحث واجب كما يقول الإمام الرازى رحمه الله ، لأنه ليس فيها نص متواتر قاطع ، ولا يتعلق بها عمل ، حتى يكتفى فيها بالظن المستفاد من أخبار الآحاد فالأولى تركها [١]

ومن المبالغات والتزيدات المدرجة حول هذه العصا ما ذكره أبو السعود فى المآرب عند تفسيره لقوله تعالى **﴿ وما تلك بيمينك يا موسى قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى﴾ [سورة طه آية ١٧-١٨.]** حيث قال (روى أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته من القوس والكنانة والمحلاب ونحوها ، وإذا كان فى البرية ركزها ، وعوض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء ، واستظل به ، وإذا قصر الرشاء وصل بها ، وإذا تعرضت لغنمه السباع قاتل بها.

وقيل من جملة المآرب أنها كانت ذات شعبتين ومحجن ، فإذا طال الغصن حناه بالمحجن ، وإذا أراد كسره لواه بالشعبتين [٢]

ونجيب على ذلك بما أجاب به الحافظ الناقد ابن كثير – عليه رحمة الله – إذ يقول وقد تكلف بعضهم لذكر شئ من المآرب التى أبهمت ، فقيل كانت تضئ له بالليل ، وتحرس له الغنم إذا نام ، ويغرسها فتصير شجرة تظله وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة ، والظاهر أنها لم تكن كذلك ، ولو

---

[١] تفسير الفخر الرازى جـ ٣ ص ٩٥.

[٢] تفسير أبى السعود جـ ٦ ص ١٠.

كانت كذلك لما استنكر موسى صيرورتها ثعبانا ، فما كان يفر منها هاربا ولكن كل ذلك من الأخبار الإسرائيلية ، وكذا قرن بعضهم أنها كانت لآدم عليه السلام ، وقول الآخر إنها هي الدابة التى تخرج قبل يوم القيامة ، وروى عن ابن عباس أنه قال : كان اسمها ما شاء والله أعلم بالصواب [١]

ما قيل فى إسراء موسى عليه السلام ببنى إسرائيل

قال تعالى ﴿ **وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى إنكم متبعون فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين ، إن هؤلاء لشرذمة قليلون ، وإنهم لنا لغائظون ، وإنا لجميع حاذرون**﴾ [سورة الشعراء **الآيات** ٥٢-٥٦.]

وعندما فسر أبو السعود هذه الآيات قال ما نصه (استقلهم وهم ستمائة ألف وسبعون ألفا بالنسبة إلى جنوده ، إذ روى أنه أرسل فى إثرهم ألف ألف وخمسمائة ملك ، مسور مع كل ملك ألف ، وخرج فرعون فى جمع عظيم ، وكانت مقدمته سبعمائة ألف رجل على حصان وعلى رأسه بيضة ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما خرج فرعون فى ألف ألف حصان سوى الإناث) [٢]

أقول : ما ذكره أبو السعود من روايات مختلفة فى تعداد بنى إسرائيل، وجيش فرعون تخرص لا فائدة منه، بل هو من الأخبار الإسرائيلية التى تناقلها الرواة ، ودونها أصحاب التفاسير فى كتبهم.

---

١ تفسير ابن كثير جـ ٥ ص ٢٧٣.
٢ تفسير أبى السعود جـ ٦ ص ٢٤٤.

وهذه الأخبار الإسرائيلية نقلها أبو السعود ممن سبقه كابن جرير الطبرى وأبى إسحاق الثعلبى ، فها هو ابن جرير (يروى عن السدى أن موسى خرج فى ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل ، لا يعدون ابن العشرين لصغره ، ولا ابن الستين لكبره ، وإنما عدوا ما بين ذلك سوى الذرية ، وتبعهم فرعون وعلى مقدمته هامان فى ألف ألف وسبعمائة ألف حصان)[١]

ويذكر الثعلبى فى قصصه نحو ما ذكر فى عدد من كانوا مع موسى ، ونص على أن جند فرعون كانوا ألف ألف وسبعمائة ألف ، كل رجل على حصان ، وعلى رأسه بيضة وبيده حربة ، وقال ابن جريج : أرسل فرعون فى أثر موسى وقومه ألف ألف وخمسمائة ألف ملك صور ، مع كل ملك ألف رجل ، ثم خرج فرعون خلفهم فى الدهم، وكان فى عسكر فرعون مائة ألف حصان أدهم سوى سائر الألوان وذلك حين طلعت الشمس وأشرقت ، كما قال تعالى : " فأتبعوهم مشرقين " [٢]

ومما سبق يتضح أن ما ذكره الإمام أبو السعود غير معزو لأحد ، إنما هو من رواية السدى كما ظهر ذلك فى رواية ابن جرير الطبرى آنفة الذكر ، والسدى معروف بالأخذ عن المصادر الإسرائيلية وأغلب الظن يتجه بروايته مباشرة إلى المصدر الإسرائيلى. ولذلك فقد اعتبر الحافظ ابن كثير هذه الروايات من مجازفات بنى إسرائيل التى لا طائل تحتها ، ولا فائدة من

---

١ تاريخ الطبرى جـ ١ ص ٤١٤.

٢ قصص الأنبياء للثعلبى ص ١٧٣- ١٧٤ والآية من سورة الشعراء رقم ٦٠.

ذكرها فقال ما نصه : ذكر غير واحد من المفسرين أن فرعون خرج فى جحفل عظيم ، وجمع كبيرة ، هو عبارة عن مملكة الديار المصرية فى زمانه ، أولى الحل والعقد والدول من الأمراء والوزراء والكبراء الرؤساء والجنود ، فأما ما ذكره غير واحد من الإسرائيليات من أنه خرج فى ألف ألف وستمائة ألف فارس ، منها مائة ألف على خيل دهم، وقال كعب الأخبار : فيهم ثمانمائة ألف حصان أدهم ، ففى ذلك نظر ، والظاهر أنه من مجازفات بنى إسرائيل ، والله سبحانه وتعالى أعلم والذى أخبر به القرآن هو النافع ولم يعين عدتهم إذ لا فائدة تحته ، إلا أنهم خرجوا بأجمعهم[١]

والحق ما قاله ابن كثير ، إذ أن مصدر هذه الروايات إنما هو ما عند أهل الكتاب ، ومن يرجع إلى نصوص التوراة يجد صدق ما نقول ، فقد جاء فيها أن بنى إسرائيل ارتحلوا من رمسيس إلى يسكوت نحو ستمائة ألف ماش من الرجال عدا الولاد وصعد معهم لفيف كثير أيضا مع غنم وبقر ومواشى وافرة جدا... (٢)

وهكذا يبدو واضحا أن حقيقة ما ذكره أبو السعود وغيره من المفسرين إنما هو منقول من أهل الكتاب وعن التوراة .

قال الإمام الألوسى تعقيبا على ما ذكره المفسرون من مبالغات ومجازفات بنى إسرائيل : (وأنا أقول :إنهم – يعنى قوم موسى – كانوا أقل

---

١ تفسير ابن كثير جـ ٦ ص ١٥٣.

من عساكر فرعون ، ولا أجزم بعدد فى كلا الجمعين ، والأخبار فى ذلك لا تكاد تصح ، وفيها مبالغات خارجة عن العادة [١]

ويقول فى موضع آخر : هذا وقد حكموا فى كيفية خروج فرعون بجنوده ، وفى مقدار الطائفتين حكايات معلولة جدا، ولم يدل القرآن ولا الحديث الصحيح عليها ، والله تعالى أعلم بشأنها) [٢]

وما دام القرآن قد أبهم ذلك كله ولم يدل عليه ، والسنة الصحيحة كذلك ، ولم تفصح عنه فلماذا لا نقف على ما أتى به النص الكريم ؟ وماذا علينا لو وقفنا عندما قصه علينا القرآن دون مبالغات وتزيدات لا فائدة من ذكرها ، ودون أن نفسد جمال التفسير بمثل هذه الأباطيل ؟ ثم من أين جاء أصحاب هذه الروايات بتلك الأعداد الهائلة الخيالية الخارجة عن العادة؟

ومن أين لهم بهذه الإحصائيات حتى نثق بها؟

إن هذا كله إلا حشو حشا به المفسرون تفاسيرهم ، فيجب أن ننزه التفاسير عنها وعن أمثالها. وقد أنصف الشيخ المراغى – رحمه الله – عندما قال فى تفسيره عن هذه المبالغات (والذى نجزم به أن بنى إسرائيل كانوا أقل من جند فرعون ، لكنا لا نجزم بعدد معين ، وما فى كتب التاريخ والتوراة

---

[١] تفسير الألوسى جـ ١٩ ص ٨٢.

[٢] تفسير الألوسى جـ ١ ص ٢٥٦.

مبالغات يصعب تصديقها ، ولا ينبغى التعويل عليها فخير لنا ألا نشغل أنفسنا باستقصاء تفاصيلها [1]

ما قيل بشأن العجل والسامرى

قال تعالى : ﴿ **قال فإنا قد فتنا قومك دن بعدك وأضلهم السامرى ، فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا" إلى قوله تعالى " فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى**﴾ [سورة طه الآيات من ٨٥ -٨٨]

وقال تعالى : ﴿ **قال فما خطبك ياسامرى ، قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى**﴾ [سورة طه الآيات ٩٥ ص ٩٦]

عند تفسير هذه الآيات قال أبو السعود : فإنا قد فتنا قومك من بعدك أى ابتليناهم بعبادة العجل من بعد ذهابك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هارون عليه الصلاة والسلام ، وكانوا ستمائة – ألف وما نجا منهم من عبادة العجل إلا اثنا عشر ألفا..فإنه روى أنهم أقاموا على ما وصى به موسى عليه السلام عشرين ليلة بعد ذهابه فحسبوها مع أيامها أربعين وقالوا قد أكملنا العدة ، وليس من موسى عليه السلام عين ولا أثر ، وأضلهم السامرى حيث كان هو

---

[1] تفسير المراغى جـ ١٩ ص ٦٧.

المدبر للفتنة ، فقال لهم إنما أخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلى القوم وهو حرام عليكم ، فكان من أمر العجل ما كان.

وعن اسم السامرى ، وإلى أى قبيلة ينتسب قال أبو السعود : والسامرى منسوب إلى قبيلة من بنى إسرائيل يقال لها السامرة ، وقيل كان منجا من كرمان ، وقيل من أهل باجرما ، واسمه موسى بن ظفر ، وكان منافقا قد أظهر الإسلام ، وكان من قوم يعبدون البقر وعن حليّ القوم التى صنع السامرى منها العجل قال أبو السعود : وقيل كانوا استعاروها لعيد كان لهم ، ثم لم يردوها إليهم عند الخروج مخافة أن يقفوا على أمرهم ، وقيل هى ما ألقاه البحر على الساحل بعد إغراقهم فأخذوها.. وروى أن السامرى قال لهم إنما تأخر موسى عنكم لما معكم من الأوزار ، فالرأى أن نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ، ونقذف فيها كل ما معنا ففعلوا فأخرج السامرى لهم عجلا من تلك الحلى المذابة جسدا أى جثة ذا دم ، أو جسد من ذهب لا روح فيه ، له " خوار" أى صوت عجل ، فقالوا أى السامرى ومن افتتن به ، أول ما رآه " هذا إلهكم وإله موسى فنسي" أى غفل عنه وذهب بطلبه فى الطور [1]

وعند تفسير أبى السعود للآيتين أعاد الكلام عن السامرى (وأنه قبض قبضة من أثر فرس جبريل ووضعها على العجل الذى صاغه من الحلى ، فدبت فيه الحياة فقال : وقد كان رأى أن جبريل عليه السلام جاء راكبا فرسا ، وكان كلما رفع الفرس يديه أو رجليه على الطريق اليبس يخرج من تحته

---

[1] تفسير أبى السعود جـ ٦ ص ٣٤- ٣٦.

النبات في الحال ، فعرف أن له شأنا فأخذ من موطئه حفنة وذلك قوله تعالى :" فقبضت قبضة من أثر الرسول" وقرئ من أثر فرس الرسول أى من تربة موطئ فرس الملك الذى أرسل إليك ليذهب بك إلى الطور" [١]

بيان الدخيل

ويتناول نقاطا عدة نبينها على النحو التالى

عدد من عبدوا العجل

ذكر الإمام أبو السعود أن الذين تهافتوا على عبادة العجل من بنى إسرائيل عندما خرج موسى إلى ميقات ربه كان عددهم ستمائة ألف ، وما نجا منهم من عبادة العجل إلا اثنا عشر ألف ، وما ذكره أبو السعود دون أن ينسبه لقائل إنما هو من قول الحسن البصرى على ما نص عليه الثعلبى فى قصصه [٢]

وهناك رواية أخرى عن الحسن نفسه أوردها الألوسى فى تفسيره تقول: أنهم كلهم عبدوا العجل إلا هارون عليه السلام [٣]

ويطالعنا القرطبى برواية ثالثة يقول فيها : (لم يتبع هارون ولم يطعه فى ترك عبادة العجل إلا اثنا عشر ألف فيما روى فى الخبر وتهافت فى

١ تفسير أبى السعود جـ ٦ ص ٣٩.

٢ قصص الأنبياء ص ١٨٥.

٣ تفسير الألوسى جـ ٩ ص ٦٤.

عبادته سائرهم ، وهم أكثر من ألف ألف) [١] يعنى أكثر من مليونين عبدوا العجل !!! يا سبحان الله !! روايات تنطق بالكذب ، هذه الروايات وأمثالها لا نشك أنها من إسرائيليات بنى إسرائيل المكذوبة حملها عنهم من حملها مثل الحسن البصرى – بحسن نية– ومن عجيب أمر هؤلاء المفسرين أنهم نقلوها إلينا دون تمحيص أو تحقيق ، وكان من الخير لهم ولنا أن يمسكوا عنها ، إذ البحث فيها لا يجدى مما يعد صارفا عن هدايا القرآن ، وشاغلا عن التدبير في حكمه وأحكامه – وهذا ولا ريب – أسلم وأحكم .

وهاهو أبو حيان يذكر فى تفسيره ما يؤكد هذا الكلام فيقول : وقد نقل المفسرون عن أبى عباس والسدى وغيرهما قصصا كثيرا مختلفا فى سبب اتخاذ العجل ، وكيفية اتخاذه ، وانجر مع ذلك أخبار كثيرة ، الله أعلم بصحتها ، إذ لم يشهد بصحتها كتاب ولا حديث صحيح ، فتركنا نقل ذلك على عادتنا فى هذا الكتاب[٢]

مَن هو السامرى ؟

وحتى فى اسم السامرى وإلى أى قبيلة ينتسب ، اختلف فيه المفسرون ، وتباينت الروايات فى ذلك تباينا واضحا.

---

[١] تفسير القرطبى جـ ١ ص ٣٣٧.
[٢] البحر المحيط جـ ١ ص ٢٠٦.

فأبو السعود يقول : إنه منسوب إلى قبيلة من بنى إسرئيل يقال لها السامرة ، بينما يروى لنا الثعلبى أنه من أهل كرمان وقال غيرهما : كان رجلا صائغا من أهل باجرما ، واسمه منجا وقال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر [١]

ويقول صاحب الميزان : وكون السامرى من بنى اسرائيل غير معلوم بل أنكره ابن عباس نفسه فى خبر سعيد بن جبير المفصل فى القصة [٢] ولا أريد الوقوف عند هذه النقطة فالسامرى كثرت فى شأنه أقوال العلماء ، حتى أن الألوسى [٣] أوصلها إلى ستة أقوال ، ولعل أقرب ما يقال فى نسبته أنه ينتسب إلى قبيلة من بنى إسرائيل أو قرية يقال لها سامرا أو السامرة وهو ما ذهب إليه قتادة [٤] ولا يعنينا بعد ذلك تعيين اسمه وماذا يفيدنا بأى الأسماء كان يسمى السامرى فهل هو موسى ، أو منجا ، أو غير ذلك المهم أنه رجل من السامرة كان يظهر الإيمان ويبطن الكفر.

حياة العجل أما ما ذكره أبو السعود من العجل الذى صنعه السامرى من حلية القوم ،صار لحماً و دماً بعد أن ألقى عليه قبضة من أكثر فرس جبريل عليه السلام من أجل ذلك صار له خوار ، فلا يصح ولا يقبل .

---

١ قصص النبياء ص ١٨٤.
٢ الميزان جـ ١٦ ص ٢٠٤.
٣ تفسير الألوسى جـ ١٦ ص ٢٤٤.
٤ تفسير البغوى على هامش الخازن جـ ١ ص ٦٩٠ وانظر تفسير ابن كثير جـ ٥ ص ٣٠٦.

وذلك لوجهين أساسيين

أولهما

كانت معجزة موسى عليه السلام فى عصاه التى هى من قبيل الجماد ، وكان يلقيها على الأرض فتصير حية تسعى ، فلو أن السامرى شاركه فى شيء من هذا القبيل ما استطاع إحياء عجل من جماد لكان مناهض له فى إحدى معجزاته ولصار بنو إسرائيل معذورين فى اتباعه مع أنه لم يقل أحد بالتماس العذر لهم [1]

وثانيهما

أن تفسير الآية بهذا المعنى – أعنى كونه لحما ودما – يحول دون صحته ما جاء فى قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام مخاطبا السامرى **﴿ وانظر إلى إلهاك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا ﴾**[سورة طه الآية ٩٧]

ومعنى التحريق هو المبالغة فى التفتيت إلى ذرات بنحو مبرد ، قال النسفى : (تفريقه بالبرد طريق تحريقه بالنار فإنه لا يفرق الذهب إلا بهذا الطريق) [2]

---

[1] الدخيل فى تفسير القرطبى د/ أحمد الشحات ص ٣٢٥.

[2] انظر تفسير الألوسى جـ ١٦ ص ٢٥٧.

وهذا إنما يأتي على وجهه البليغ إذا كان العجل على حالته المعدنية لا لحما ولا دما ، وقد وردت الآثار تؤكد بأن موسى برده بالمبارد ، وألقاه في البحر ، ولا يبرد اللحم ، بل كان يقتل ويقطع ، وصدق الأنباري إذيقول : ذكر الجسد دلالة على عدم الروح فيه[1]

القول الصحيح

وعليه فالقول بأن عجل السامري كان جمادا لا حياة فيه ، وأنه كان بحيث إذا دخلت فيه الريح خار كما يخور العجل من الحيوان أقرب إلى العقل ، وإليه ذهب جمع كثير من المفسرين منهم مجاهد ونقله الفخر الرازي عن أبي مسلم الأصفهاني وقال إنه أقرب إلى التحقيق ، والإمام الشوكاني ، كما اختاره صاحب تفسير المنار ، وندد بالرأي المخالف واعتبره من خرافات بني إسرائيل حيث قال : والروايات في حياته -يعني حياة العجل - لا يصح منها شيء ، وفي تفسير القصة من سورة طه روايات كثيرة من خرافات الاسرائيليات ، فيها ضروب من الكذب والضلالات [2]

وفي هذا الصدد يأتي الحافظ ابن كثير بحديث الفتون الذي يروي هذه الأخبار ، ويعلق عليها بقوله (وهو موقوف من كلام ابن عباس رضي الله عنه ، وليس فيه مرفوع إلا قليل منه ، وكأنه تلقاه ابن عباس مما أبيح نقله

---

[1] انظر البحر المحيط لأبي حيان جـ ٤ ص ٣٥٢ بتصرف.

[2] تفسير المنار جـ ٩ ص ١٩٤.

من الاسرائيليات عن كعب الأحبار أو غيره – والله أعلم– وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزى الذى يقول ذلك أيضا [١]

ولهذا فنحن لا نسلم بأن العجل الذى صاغه السامرى من الحى استحال جسدا لحما ودما ، وإن قاله البعض من المفسرين إذ روى عنهم أنهم ذكروا أن السامرى قد قبض قبضة من أثر حافر الفرس التى كان يركبها جبريل ، وكان الفرس لا يضع حافره على شئ إلا صار حيا، فأخذ السامرى من هذا التراب ووضعه على العجل ، فدبت فيه الحياة ، فمتى كان جبريل يركب فرسا فى نزوله إلى الأرض وتجواله فيها ؟

وكيف يمكن أن تدب الحياة فى التراب الذى يمر عليه حافر الفرس التى يركبها ؟ والواقع أن هذا الكلام أوهى من أن يوضع فى نطاق البحث وما أعدل ما قاله فضيلة الشيخ عبد الوهاب النجار فى هذا المقام (والذى أراه أن حكاية السامرى وجبريل ليست صحيحة فلا جبريل جاء إلى السامرى ، ولا السامرى أخذ ترابا من أثر حافر فرسه [٢] وإذا كان بعض المفسرين قال : إن الذهب صار عجلا جسدا ذا لحم ودم له خوار استنادا إلى بعض روايات واهية كرواية السدى التى تقول : إن العجل كان يخور ويمشى [٣] فإن هناك روايات أخرى تفسر هذا الخوار وتبين أن مصدره الريح الداخل فى جوف

---

١ تفسير ابن كثير جـ ٥ ص ٢٨٦ والبداية والنهاية جـ ١ ص ٣٠٧.

٢ قصص الأنبياء للشيخ النجار ص ٢٦٢.

٣ تفسير الألوسى جـ ٩ ص ٦٤.

هذا العجل ، يقول الطبرى ، فى روايته : (فلما ألقى قوم موسى الحلى فى النار ، وألقى السامرى معهم القبضة ، صور الله عز وجل ذلك عجلا ذهبا ، فدخلته الريح فكان له خوار[١] .

ويقول الإمام المراغى مبينا حقيقة هذا الخوار : (أى فأخرج لهم من تلك الأثقال التى قذفوها جسد عجل لا ريح فيه ، وله خوار كخواره إذ هو قد صنعه بدقة ، وجعل فيه أنابيب يظهر فيها الصوت بمرور الريح بعد أن جعله فى اتجاهه)[٢]

وفيه يقول ابن عباس رض الله عنهما : لا والله ما كان له صوت قط ، إنما كانت الريح تدخل فى دبره وتخرج من فيه فكان ذلك الصوت من ذلك [٣]

وبعد :

فقد بدا واضحا أن السامرى صاغه بدقة بحيث إذا استدبر الريح خرجت الريح من فمه ولها صوت البقرة ، وهو الخوار ، ولا عجب فى ذلك أصلا . وإنما العجب ممن يرفعون هذا الكافر إلىهذه المكانة التى تجعله – دون غيره– يختص برؤية جبريل ، ومعرفة هذه الخاصية للأحياء .

---

١ جامع البيان جـ ٢ ص ٦٧.

٢ الشيخ المراغى جـ ١٦ ص ١٤٠ – ١٤١.

٣ تفسير ابن كثير جـ ٥ ص ٢٨٥.

والحاصل أن ما فعله السامرى إنما صدر عنه بمحض اتباع هوى النفس الأمارة بالسوء لا لشئ آخر من البرهان العقلى أو النقلى أو من الإلهام الإلهى [١] وإذا كان الأمر كذلك .

فمن المراد بالرسول فى قوله تعالى " فقبضت قبضة من أثر الرسول" ؟ [٢]

وللجواب على ذلك يقول أبو مسلم الأصفهانى : ليس فى القرآن تصريح بهذا الذى ذكره المفسرون ، فههنا وجه آخر (وهو أن يكون المراد بالرسول موسى عليه السلام ، وبأثره سنته ورسمه الذى أمر به ، فقد يقول الرجل فلان يقفوا أثر فلان ، ويقبض أثره إذا كان يمتثل رسمه ، والتقدير أن موسى عليه السلام لما أقبل على السامرى باللوم ، والمسألة عن الأمر الذى دعاه إلى إضلال القوم فى باب العجل ، فقال بصرت بما لم يبصروا به ، أى عرفت أن الذى أنتم عليه ليس بحق ، وقد قبضت قبضة من أثرك أيها الرسول ، أى شيئا من سنتك ودينك فقذفته أى طرحته ، فعند ذلك أعلمه موسى عليه السلام بما له من العذاب فى الدنيا والآخرة ، وإنما أورد بلفظ الإخبار عن غائب كما يقول الرجل لرئيسه وهو مواجه له : ما يقول الأمير فى كذا ؟ وبماذا يأمر الأمير؟

وأما دعاؤه موسى عليه السلام رسولا مع جحده وكفره فعلى مثل مذهب من حكى الله عنه قوله ﴿ **يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك**

---

[١] تفسير ابن كثير جـ ٥ ص ٢٨٥.

[٢] تفسير الألوسى جـ ١٦ ص ٢٥٤.

لمجنون﴾[سورة الحجر آية ٦] وإن لم يقولوا بالإنزال [١] ولعل ما قاله أبو مسلم هو المعنى الجدير بالتقدير عند أهل التحقيق . ولذلك أيده الإمام الرازى فقال: أعلم أن هذا القول الذى ذكره أبو مسلم ليس فيه إلا مخالفة المفسرين ولكنه أقرب إلى التحقيق لوجوه.

أحدها

أن جبريل عليه السلام ليس بمشهور باسم الرسول ولم يجر له فيما تقدم ذكره حتى تجعل لام التعريف إشارة إليه فإطلاق لفظ الرسول لإرادة جبريل عليه السلام كأنه تكليف بعلم الغيب.

ثانيهما

أنه لابد فيه من الإضمار ، وهو قبضة من أثر حافر فرس الرسول والإضمار خلاف الأصل.

ثالثهما

أنه لابد من التعسف فى بيان أن السامرى كيف اختص من بين الناس برؤية جبريل عليه السلام ومعرفته ، ثم كيف عرف أن لتراب حافر فرسه هذا الأثر؟ والذى ذكره من أن جبريل هو الذى رباه فبعيد ، لأن

[١] تفسير الخفر الرازى جـ ٢٢ ص ١١١.

السامرى إن عرف جبريل حال كمال عقله عرف قطعا أن موسى عليه السلام نبى صادق ، فكيف يحاول الإضلال؟ وإن كان ما عرفه حال البلوغ فأى منفعة لكون جبريل عليه السلام مربيا له فى الطفولة فى حصول تلك المعرفة؟

ورابعها

لو جاز اطلاع بعض الكفرة على تراب هذا شأنه لكان لقائل أن يقول : فلعل موسى أطلع على شئ آخر يشبه ذلك فلأجله أتى بالمعجزات ، ويرجع حاصله إلى سؤال من يطعن فى المعجزات ويقول : لم لا يجوز أن يقال أنهم لا ختصاصهم بمعرفة بعض الأدوية التى لها خاصية أن تفيد حصول تلك المعجزة أتوا بتلك المعجزة،وحينئذ يفسد باب المعجزات بالكلية[1]

ما قيل فى لقاء الخضر عليهما السلام

قال تعالى ﴿ **وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا ، فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله فى البحر سربا**﴾ [سورة الكهف آية ٦٠-٦١]

وقال تعالى : ﴿ **فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا**﴾ [سورة الكهف آية ٧٤]

---

[1] تفسير الفخر الرازى جـ ٢٢ ص ١١١.

وقال تعالى :﴿ **فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا ، قال هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا ، أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ، وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا ، فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما ، وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا**﴾ [سورة الكهف الآيات من ٧٧-٨٢] عندما عرض أبو السعود لتفسير هذه الآيات تحدث عن مجمع البحرين الذى التقى فيه موسى بالخضر عليهما السلام فقال : هو ملتقى بحر فارس والروم مما يلى المشرق ، وقيل طنجة ، وقيل هما الكسر والرس بأرمينية ، وقيل إفريقية.

ثم تحدث بعد ذلك عن الحوت الذى كان علامة على مكان هذا اللقاء فقال : روى أنهما لما بلغا مجمع البحرين وفيه الصخرة وعين الحياة التى لا يصيب مأوها ميتا إلا حيى ، وضعا رؤوسهما على الصخرة فناما ، فلما أصاب الحوت برد الماء وروحه عاش ، وقد كانا أكلا منه ، وكان ذلك بعد

ما استيقظ يوشع عليه السلام ، وقيل توضأ عليه السلام من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش فوقع فى الماء [١]

وبعد ذلك تحدث أبو السعود عن الغلام الذى قتله الخضر فقال : كان الغلام يلعب مع الغلمان فقتل عنقه ، وقيل ضرب برأسه الحائط ، وقيل أضجعه فذبحه بالسكين .

وعن القرية التى أقام الخضر فيها جدارا قال أبو السعود : هى أنطاكية ، وقيل : أيلة ، وقيل : هى أبعد أرض الله من السماء ، وقيل : هى برقة ، وقيل بلدة بأندلس وعن الغلامين الذين أقام الخضر الجدار من أجلهما ، وعن نوع الكنز الذى تركه أبواهما قال أبو السعود : قيل اسماهما أصرم وصريم ، واسم المقتول جيسور " وكان تحته كنزلهما " من فضة وذهب كما روى مرفوعا.

وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن لم يؤمن بالقدر كيف يحزن ، وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب ، وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل ، وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وقيل : صحف فيها علم [٢]

---

[١] تفسير أبى السعود جـ ٥ ص ٢٣٢.
[٢] تفسير أبى السعود جـ ٥ ص ٢٣٨.

ثم عاد أبو السعود إلى الحديث عن الخضر مرة أخرى فقال : اختلفوا فى حياة الخضر عليه الصلاة والسلام فقيل : إنه حى ، وسببه أنه كان على مقدمة ذى القرنين ، فلما دخل الظلمات أصاب الخضر عين الحياة ، فنزل واغتسل منها وشرب من مائها ، وأخطأ ذو القرنين الطريق فعاد ، قالوا والياس أيضا فى الحياة يلتقيان كل سنة بالموسم.

وقيل إن الخضر ميت لما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى العشاء ذات ليلة ، ثم قال أرأيتكم ليلتكم هذه ، فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد ، ولو كان الخضر حينئذ حيا لما عاش بعد مائة عام.

روى أن موسى عليه السلام لما أراد أن يفارقه قال أوصنى

قال : لا تطلب العلم لتحدث به ، واطلبه لتعمل به [١]

بيان الدخيل

ويتناول عدة نقاط نبينها على النحو التالى :

١- أورد الإمام أبو السعود أقوالا فى مجمع البحرين ، فذكر روايات يقول : إنه ملتقى بحر فارس والروم مما يلى المشرق، وآخر يقول: إنه عند طنجة ، وثالث يقول : إنه الكر والرس بأرمينية إلى غير ذلك من الأقوال التى لم يقم دليل واحد على صحة أى منها .

---

١ تفسير أبى السعود جـ ٥ ص ٢٣٩.

والقرآن الكريم لم يحدد فى أى الجهات يكون مجمع هذين البحرين ، وكذلك السنة الصحيحة لم تكشف ، وما دام القرآن لم يعين ، والسنة لم تبين فلا يمكن معرفته أو التوصل إليه على سبيل القطع .

وقد أنصف الإمام الرازى عندما قال تعقيبا على ما ذكر ، (فليس فى لفظ القرآن ما يدل على تعيين هذين البحرين ، فإن صح بالخبر الصحيح شئ فذاك ، وإلا فالأولى السكوت عنه [١]

وإن كان لابد للنا من ترجيح بين الأقوال التى ذكرها فيكون مجمع البحرين ، هو ملتقى خليج العقبة بخليج السويس عند رأس شبه جزيرة سيناء ، لأنه المكان الذى فيه بنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر على يد موسى عليه السلام ، وهذا – فيما أرى – هو أقرب ما يكون إلى العقل.

وقد مال إلى هذا الرأى الأستاذ عبد الكريم الخطيب ورجحه معللا سبب هذا الترجيح بقوله (ويكون هذا الرأى عندما أن تحرك موسى بعد خروجه ببنى اسرائيل من مصر لم يجاوز شبه جزيرة سيناء ، حيث ضرب فيها التيه على بنى إسرائيل أربعين سنة ومن جهة أخرى فإن رأس شبه الجزيرة الجنوبى صخرى تكثر فيه الصخور والأكام ، وتتشابه فيه معالم تلك الصخور الأمر الذى اختلط به على موسى وجه الصخرة التى كانت موعدا له مع العبد الصالح الذى جد فى طلبه[٢] .

---

[١] تفسير الفخر الرازى جـ ٢١ ص ١٥٦.

[٢] التفسير القرآنى جـ ١٥ ص ٦٤٦.

٢- أما ماذكره أبو السعود من أن السبب فى حياة الحوت بعد موته ما أصابه من بلل الماء الذى وقع عليه من أثر وضوء موسى عليه السلام من عين يقال عنها (عين الحاية) فجوابه ما قاله الحافظ ابن حجر : أن تلك الزيادة مدرجة على حديث عمرو بن دينار المروى عن ابن عباس يرفعه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وغلب كون ذلك مأخوذا عن قتادة كما قال ابن حجر عن ابن التين: (ولعل هذه العين إن ثبت النقل فيها مستند من زعم أن الخضر شرب من عين الحياة فخلد ، وذلك مذكور عن وهب بن منبه وغيره ممن كان من الإسرائيليات ، وقد صنف أبو جعفر بن المنادى فى ذلك كتابا ، وقرر أنه لا يوثق بالنقل فيما يوجد من الإسرائليات [1]

ومن ذلك نرى أن هذا الذى قيل من وجود عين يقال لها (عين الحياة) والتى كانت السبب فى إحياء الحوت أمر غير مقبول وغير مستساغ ، ولا يعدو أن يكون من إسرائيليات بنى إسرائيل التى تعلمها عنهم وهب بن منبه على أنه ينبغى أن يكون معلوما لدينا أن حياة الحوت إنما تكون بقدرة الله عز وجل ، وقدرة الله ليست بحاجة إلى واسطة.

٣- وعن الغلام الذى قتله الخضر ، فهل ضرب رأسه الجدار ، أو ذبحه بالسكين، أو بطريق آخر ، فذلك أمر لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى فهو وحده

[1] فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ ٨ ص ٢٦٨.

الذى يعلم بما كان من ذلك قال صاحب التفسير الكبير بعد عرض هذه الأقسام: (وليس فى لفظ القرآن ما يدل على شئ من هذه الأقسام [١]

ومن هنا يجب أن نتوقف عند النص القرآنى الذى أبهم هذا الأمر ولم يبينه ، ونكل علمه إلى العليم الخبير .

٤- وأما ما ذكره أبو السعود من أقوال فى تعيين القرية التى أقام العبد الصالح فيها الجدار ، وهل هى أنطاكية أو أيلة ، أو برقة أو غير ذلك ، فكل هذا غير مسلم به ما لم يدل عليه دليل يقطع بصحته ، قال الحافظ ابن حجر فى التعقيب على ما ذكر : وهذا الاختلاف قريب من الاختلاف فى المراد بمجمع البحرين ، وشدة المباينة فى ذلك تقتضى أن لا يوثق بشئ من ذلك [٢]

٥- وقريب منه ما ذكره أبو السعود من تعيين اسم للغلامين اللذين أقام الخضر الجدار من أجلهما ، فقد ذكر أبو السعود أن أحدهما اسمه أصرم والآخر صريم ، واسم المقتول جيسور ، إذ علم ذلك عند الله تبارك وتعالى ولا داعى للتخرص والتخمين ومن القواعد المسلم بها لدى علماء الأصول أن كل قول لا دليل عليه فهو قول بغير علم.

---

[١] تفسير الفخر الرازى جـ ٢١ ص ١٥٦.

[٢] فتح البارى جـ ٨ ص ٢٧٣.

٦- وعند تفسير قوله تعالى : "وكان تحته كنزلهما" أورد أبو السعود حديثا مرفوعا يشرح فيه النص القرآنى فقال (من فضة وذهب) كما روى مرفوعا.

وأقول : هذا الحديث ضعيف . حيث أخرجه الترمذى من طريق الوليد بن مسلم عن يزيد بن يوسف الصنعانى عن مكحول عن أم الدرداء عن أبى الدرداء – مرفوعا– وقال هذا حديث غريب [١] قلت : وأغرب منه أن فى سنده يزيد الصنعانى الشامى ، قال أبو حاتم : لم يكن بالقوى ، وقال النسائى : متروك ، وقال صالح جزرة تركوا حديثه.

وقال ابن عدى:مع ضعفه يكتب حديث، وقال الحافظ:ضعيف[٢] وورد عن أبى السعود فى تفسيره لهذا الكنز قوله : وقيل كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن ؟ الحديث الخ

قلت : بهذا السياق أخرجه ابن جرير فى التفسير موقوفا على الحسن[٣] وبنحوه مختصرا أخرجه الحافظ السيوطى فى الاعتقاد وضعف سنده وكذا رواه الدارقطنى فى غرائب مالك من طريق محمد بن صالح بن فيروز ، عن مالك عن نافع عن ابن عمر قال: سئل ابن عباس عن الكنز؟

---

[١] سنن الترمذى كتاب التفسير جـ ٥ ص ١١٣.

[٢] ميزان الاعتدال للذهبى جـ ٤ ص ٤٤٢.

[٣] جامع البيان جـ ١٦ ص ٥.

فذكره وقال : هذا باطل عن مالك [1] وابن فيروز العسقلانى هذا روى عن مالك موضوعات[٥]

والحديث رواه أيضا البيهقى فى الشعب من رواية جرير عن الضحاك عن النزال بن سبرة عنه ، رواه ابن مردويه من وجه آخر عن على مرفوعا ورواه ابن شاهين فى الجنائز ، والواحدى من رواية بن مروان السدى الصغير عن أبان عن أنس مرفوعا أيضا، وإبان والسدى متروكان[2]

ومثل هذا الإسناد لا يحتج به ، ومن ذلك نرى عدم الثقة فى هذا الحديث كما ورد أن أبا السعود فى الكنز بقوله صحف فيها علم.

وأقول : أول ما ينصرف إليه الذهن عند سماع هذا اللفظ ينصرف إلى المال المكنوز ، وليس إلى صحف أو غيرها ، وهذا هو المعروف عند العرب ، وهم أول المخاطبين بالقرآن الكريم وهذا ما رجحه الإمام الطبرى رحمه الله حيث قال : إن التأويل مصروف إلى الأغلب من استعمال المخاطبين بالتنزيل مالم يأت دليل يجب من أجله صرفه إلى غير ذلك[3]

وهذا ما نراه ونذهب إليه والله أعلم.

---

[1] الكافى ص ١٠٤.

[2] الكافى ص ١٠٤.

[3] جامع البيان جـ ١٦ ص ٦.

٧- ثم تحدث الإمام أبو السعود بعد ذلك عن الخضر مأورد بشأنه أخبارا عديدة فى حاجة إلى تمحيص وتحقيق وهى كما يلى:

أولاً

ذكر أن الخضر ما زال حيا إلى الآن ، وخالف بذلك رأى الجمهور وعلل سبب حياته أنه شرب من عين الحياة وجوابنا على ذلك بما سبق بيانه أن عين الحياة هذه امما تلقاه المسلمون عن أهل الكتاب، وليس فى شريعة الإسلام ما يؤيده ، يضاف إلى ذلك أن كل ما قيل فى حياة الخضر غير صحيح ، وكل ما يروى فى ذلك من أخبار لم يثبت فيه حديث صحيح مرفوع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وفى هذا يقول الحافظ ابن كثير فى تفسيره (قالوا كان يكن أبا العباس ويلقب بالخضر ، وكان من أبناء الملوك ذكره النووى فى تهذيب الأسماء ، وحكى هو وغيره فى كونه باقيا إلى الآن ثم إلى يوم القيامة قولان، ومال هو وابن الصلاح إلى بقائه وذكروا فى ذلك حكايات وآثار عن السلف وغيرهم وجاء ذكره فى بعض الأحاديث والا يصح شئ من ذلك وأشهرها أحاديث التعزية، وإسناده ضعيف ، ورجح آخرون من المحدثين وغيرهم خلاف ذلك ،واحتجوا بقوله تعالى﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد**﴾[سورة الأنبياء آية ٣٤] ويقول النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر: " اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الأرض"[١]

---

١ مسلم بشرح النووى كتاب الجهاد ، باب الإمداد بالملائكة فى غزوة بدر جـ ١٢ ص ٨٤.

وبأنه لم ينقل أنه جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خضر عنده ولا قاتل معه ، ولو كان حيا لكان من أتباع النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ولأنه كان مبعوثا إلى جميع الثقلين الجن والإنس ، وقد قال : لو كان موسى وعيسى حيين ما وسعهما إلا اتباعى[1]

وأخبر قبل موته بقليل أنه لا يبقى ممن هو على وجه الأرض إلى مائة سنة من ليلته تلك عين تطرف إلى غير ذلك من الدلائل [2]

ويقول ابن كثير فى البداية والنهاية وقد قال تعالى ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمن به ولتنصرنه**﴾ سروة آل عمران آية ٨١.]

فأخذ الله ميثاق كل نبى على أن يؤمن بمن يجئ بعده من الأنبياء وينصره ، فلو كان الخضر حيا فى زمانه لما وسعه إلا ابتاعه والاجتماع به والقيام بنصره ..إلى أن قال ولم ينقل فى حديث حسن بل ولا ضعيف يعتمد أنه جاء يوما واحدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا اجتمع به ، وما ذكر من حديث التعزية فيه وإن كان الحاكم رواه بسند ضعيف[3]

---

١ مسند الإمام أحمد بن حنبل جـ ٣ ص ٢٨٧.

٢ انظر تفسير ابن كثير جـ ٥ ص ١٨٤ وفتح البارى بشرح صحيح البخارى كتاب الأحاديث جـ ٦ ص ٥٠٠-٥٠١.

٣ البداية والنهاية جـ ١ ص ٢٩٩.

ويقول فى موضع آخر (وقد تصدى الشيخ أبو الفرج ابن الجوزى رحمه الله فى كتابه (عجالة المنتظر فى شرح حالة الخضر) للأحاديث الواردة فى ذلك من المرفوعات فبين أنها موضوعات ، ومن الآثار عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم ، فبين ضعف أسانيده ببيان أحوالها ، وجهالة رجالها ، وقد أجاد فى ذلك وأحسن الانتقاد [١]

ثانيا

ذكر أبو السعود أن الخضر وإلياس - عليهما السلام - فى الحياة يلتقيان كل عام بالموسم.

أقول : هذا الحديث أورده ابن الجوزى فى الموضوعات ، وقال عنه : وأما حديث التقاء الخضر ففيه الحسن بن رزين.

وقال الدارقطنى : ولم يحدث به عن ابن جريج غيره ، وقال العقيلى : ولم يتابع عليه مسندا ولا موقوفا وهو مجهول فى النقل ،وحديثه غير محفوظ ، وقال ابن المنادى : هذا حديث واه بالحسن ابن رزين ، والخضر وإلياس مضيا لسبيلهما [٢]

وكذلك أورده ابن عراق من نفس الطريق ، وعقب عليه بقوله : هو بهذا الإسناد منكر ، وبأن الحافظ ابن حجر قال فى الإصابة : جاء من غير

---

١ البداية والنهاية حـ ١ ص ٣٣٩.

٢ الموضوعات لابن الجوزى جـ ١ ص ١٩٧.

طريق الحسن ، لكن من وجه واه جدا ، أخرجه ابن الجوزى فى الواهيات من طريق أحمد بن عمار ، ومهدى بن هلال وهمـا متروكـان (قلت) بـل مهدى يضع والله أعلم [١]

وقد تتبعت طرق هذا الحديث فتبين أنه منكر ولا يثبت منه شئ له[٢]

ثالثا

أما ما ذكره أبو السعود عن موت الخضر واستشهاده على ذلك بحديث " أرايتكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة سنة منهـا لا يبقـى بمـن هـو علـى ظهر الأرض أحد" [٣] فنحن نوافقـه الـرأى علـى ذلـك ، لأنـه رأى الجمهور وممن يقول بهذا الرأى جمع كبير من العلماء منهم البخارى وإبرهيـم الحربـى ، وأبو جعفر بن المنادى ، وأبو يعلى بن الفراء ، وأبو طاهر العبادى ، وأبـو بكر بن العربى ، وطائفة وعمدتهم فى ذلك الحديث الآنف ذكره. [٤]

---

١ تنزيه الشريعة جـ ١ ص ٣٣٤- ٣٣٥.

٢ انظر المقاصد الحسنة للسخاوى ص ٢١ وكشف الخفا للعجلونى جـ ١ ص ٤٩ والبداية والنهاية لابن كثير جـ ١ ص ٣٣٣.

٣ أخرجه البخارى عن عبد الله بن عمر كتاب العلم باب السمر فى العلم جـ ١ ص ٢٥٥ من فتح البارى.

٤ المصدر السابق كتاب أحاديث الأنبياء جـ ٦ ص ٥٠٠.

قال صاحب فتح البيان والحق ما ذكرناه عن البخارى وأضرابه فى ذلك ولا حجة فى قول أحد كائنا من كان إلا الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم ولم يرد فى ذلك نص مقطوع ، ولا حديث مرفوع إليه صلى الله عليه وسلم حتى يعتمد عليه ويصار إليه ، وظاهر الكتاب والسنة ففى الخلد ، وطول التعمير لأحد من البشر ، وهما قاضيان على غيرهما ، ولا يقضى غيرهما عليهما [1] والله أعلم وقد بسطنا الكلام فى هذا الموضوع عند الرد على دعوى حياة الخضر ، فتأمل

ما قيل فى السبب الذى من أجله أمر الله موسى عليه السلام بخلع نعليه

قال تعالى **﴿ إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى﴾** [سورة طه آية ١٢]

عند تفسير هذه الآيه قال أبو السعود : (أمر عليه الصلاة والسلام بذلك ، لأن الخشية أدخل فى الواضع وحسن الأدب ، ولذلك كان السلف الصالح يطوفون وباكية حافين، وقيل ليباشر الوادى بقدميه تبركا به ، وقيل لما أن نعليه كانا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه : فرغ قلبك من الأهل والمال ، روى أنه عليه السلام خلعها وألقاهما وراء الوادى.

[1] تفسير القاسمى جـ ١١ ص ٤-٩٣.

أقول : نحن نوافق إمامنا أبا السعود فيما ذهب إليه في معنى الآية من أن الله تبارك وتعالى أمر موسى عليه السلام بخلع نعليه وهو بالوادي المقدس طوى إذا أن الخشية أدخل في التواضع وحسن الأدب ومن ثم طاف السلف الصالح بالكعبة حافين قاله الأصم ، كما ورد في الألوسي وهو قول صحيح لا اعتراض عليه ، ولكن " نوافقه على إقراره لما جاء في تلك الرواية الدخيلة على التفسير من أن الله تعالى أمر موسى عليه السلام بخلع نعليه لما أنهما كانا من جلد حمار غير مدبوغ ، لأنه قول غير صحيح ، بل باطل.

ويتضح لنا ذلك عندما نقف على الخبر الوارد في هذا الصدد وبيانه كما أورده الترمذي في سننه حيث قال : حدثنا علي بن حجر حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج ، عن عبد الله بن الحارث عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " كان على موسى يوم كلمه ربه كساء صوف ، وجبة صوف ، وكمة " صوف ، وسراويل صوف.

قال أبو عيسى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حميد الأعرج ، وحميد هو ابن علي الكوفي قال : سمعت محمدا يقول : حميد بن علي الأعرج منكر الحديث ، وحميد بن قيس الأعرج المكي صاحب مجاهد ثقة ، والكمة : القلنسوة الصغيرة [1]

---

[1] سنن الترمذي كتاب اللباس باب ما جاء في لبس الصوف جـ ٤ ص ٢٢٤.

وقد أورده الإمام ابن جرير في تفسيره من هذه الطريق ثم عقب عليه بقوله : ولكن في إسناده نظر يجب التثبت فيه[١]

قلت : وذلك لأنه ضعيف جدا من أجل تفرد حميد هذا الواهي به

قال الحافظ الذهبي في ترجمته في الميزان : متروك : روى عنه خلف بن حليفة ، قال أحمد ضعيف ، وقال أبو زرعة : واه ، وقال الدارقطني: متروك ، وقال ابن حبان : يروي عن ابن الحارث عن مسعود نسخة كأنها كلها موضوعة ، وقال النسائي : ليس بالقوي ، ثم ساق له الذهبي من مناكيره أحاديث هذا أحدها [٢]

ومن ذلك نتبين أن الخبر منكر ، ولا يجوز الاحتجاج بمثله في الدين ، وعليه فالاستدلال به على ما ذكر غير صحيح.

كذلك لا نوافق أبا السعود على ما قاله من أن معنى قوله تعالى : " فاخلع نعليك " فرّغ قلبك من الأهل والمال ، لأنه مخالف لظاهر النص القرآني ، والواجب حمل القرآن على ظاهره ما لم يأت نص صحيح ، أو إجماع متيقن ، أو ضرورة حسن على خلاف ظاهره فيوقف عند ذلك .

ومما تقدم نستطيع القول بأن ما أورده أبو السعود في معنى الآية من تفسيره إنما هو من باب الدخيل ولا عبرة به .

---

١ جامع البيان جـ ١٦ ص ١٠٩ -١١٠.

٢ ميزان الاعتدال جـ ١ ص ٦١٤-٦١٥.

القول الصحيح

ويكفينا فى هذا أن نعتقد أن الله جلت حكمته أمر موسى عليه السلام بخلع نعليه ليباشر بقدميه بركة الوادى ، إذ كان واديا مقدسا وهذا القول هو أولى الأقوال بالصواب كما قال الإمام الطبرى ، لأنه لادلالة فى ظاهر التنزيل على أنه أمر بخلعها من أجل أنهما من جلد حمار ، ولا لنجاستها ، ولا خبر بذلك عمن يلزم بقوله الحجة ، وأن فى قوله " إنك بالوادى المقدس" بعقبيه دليلا واضحا على أنه إنما أمره بخلعهما لما ذكرنا [١]

وهذا الذى قاله الإمام الطبرى فى الآية هو التفسير الصحيح الذى تحمل عليه وهو الرأى الذى نراه ونذهب إليه والله تعالى أعلم .

ما جاء فى وصف زينة قارون وما قيل فى سبب الخسف به

قال تعالى : ﴿ **فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم** ﴾ [سورة قصص آية ٧٩]

وقال تعالى : ﴿ **فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله** ﴾ [سورة القصص آية ٨١]

---

١ جامع البيان جـ ١٦ ص ١٠٦.

عند تفسير الآية الأولى قال أبو السعود : (قيل خرج على بغلة شهباء عليه الأرجوان ، وعليها سرج من ذهب ، ومعه أربعة آلاف على زيه.

وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر، وعن يمينه ثلاثمائة غلام ، وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهن الحلى والديباج ، وقيل فى تسعين ألفا عليهم المعصفرات ، وهو أول يوم رئى فيه المعصفر.

وعند تفسيره للآية الثانية قال ما نصه : (روى أنه كان يؤذى موسى عليه السلام كل وقت وهو يداربه لقرابته حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد إلى أن يفضح موسى عليه السلام بين بنى إسرائيل فجعل لبغى من بغايا بنى إسرائيل ألف دينار ، قيل طشتا من ذهب مملوءة ذهبا ، فلما كان يوم عيد قام موسى عليه السلام خطيبا ، فقال : من سرق قطعناه ، ومن زنى غير محصن جلدناه ، ومن زنى محصنا رجمناه ، فقال قارون ولو كنت ، قال ولو كنت قال : إن بنى إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة ، فأحضرت فناشدها عليه السلام أن تصدق ، فقالت : جعل لى قارون جعلا على أن أرميك بنفسى ، فخر موسى ساجدا لربه يبكى ، ويقول : يارب إن كنت رسولك فاغضب لى ، فأوحى إليه أن مر الأرض بما شئت فإنها مطيعة لك ، فقال " يا بنى إسرائيل إن الله بعثنى إلى قارون كما بعثنى إلى فرعون ، فمن كان معه فليلزم مكانه ، ومن كان معى فليعزل عنه ، فعزلوا جميعا ، غير رجلين ثم قال يا أرض خذيهم ، فأخذتهم إلى الركب ، ثم قال : خذيهم فأخذتهم إلى الأوساط ، ثم قال خذيهم ، فأخذتهم إلى الأعناق وهم

يناشدونه عليه الصلاة والسلام بالله تعالى وبالرحم ، وهو لا يلتفت إليهم لشدة عيظه ، ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فأصبحت بنو إسرائيل يتناجون بينهم ، إنما دعا عليه موسى عليه الصلاة والسلام ليستبد بداره وكنوزه ، فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وأمواله[1]

بيان الدخيل

أقول ما ذكره أبو السعود في وصف زينة قارون من أنه خرج على قومه في زينته على بغلة شهباء ، عليها سرج من ذهب ، ومعه أربعة آلاف فارس على خيولهم الديباج الأحمر ، وعن اليمين ثلاثمائة من الغلمان ، وعن اليسار ثلاثمائة من الجوار البيض ألخ دون أن يعزوه لمصدر أو قائل ، إنما هو من قول مقاتل على ما أخرجه الثعلبي في قصصه [2] والإمام الرازي في تفسيره [3] والسدي وابن جريج من رواية ابن أبي حاتم على ما أخرجه السيوطي في الدرر المنثور [4] والسدي ومقاتل متهمان بالكذب ، وقد بينا ذلك في أكثر من موضع ، وابن جريج معروف بالأخذ عن أهل الكتاب.

---

1 تفسير أبي السعود جـ ٧ ص ٢٦.
2 قصص الأنبياء للثعلبي ص ١٩٠.
3 تفسير الفخر الرازي جـ ٢٥ ص ١٨.
4 الدر المنثور جـ ٥ ص ١٣٨.

وفى ذلك دلالة واضحة على أن ما ساقه أبو السعود وغيره من المفسرين فى كيفية أخذهم من الإسرائيليات التى يذكرها الرواة عن أهل الكتاب.

قال الشيخ المراغى فى هذا المقام : وقد روى عن مفسرى السلف فى زينة قارون ما يجعلنا نقف أمامه موقف الحذر، ويجعلنا نعتقد أن الإسرائيليات سداه ولحمته.

والغريب فى هذا الأمر أن الحافظ السيوطى – رحمه الله – يرفع مثل هذه الأباطيل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فيقول : (أخرج ابن مردويه عن أوس بن أوس الثقفى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : " فخرج على قومه فى زينته" فى أربعة آلاف بغل [١] قلت أوس بن أوس مجهول الحال ، لا يعرف كما قرر الذهبى ذلك فى الميزان[٢] ولذلك تعجب الإمام الشوكانى رضى الله عنه من هذا الحديث، فقال تعقيبا عليه بعد أن ساقه فى كتابه (فتح القدير) ولا أدرى كيف إسناد هذا الحديث الذى رفعه ابن مردويه ، فمن ظفر بكتاب فينظر فيه ثم قال تعقيبا على ما ذكره المفسرون فى وصف زينة قارون : (وقد روى عن جماعة من التابعين أقوال فى بيان

---

[١] الدر المنثور جـ ٥ ص ١٣٨.

[٢] ميزان الاعتدال جـ ١ ص ٢٧٧.

ما خرج به على قومه من الزينة ولا يصح منها شئ مرفوعا ، بل هى من أخبار أهل الكتاب) [١]

على أن مثل هذه المرويات لا معنى لها ، ولا فائدة من ذكرها فضلا عن أنها متعارضة ، فرواية أبى السعود التى تذكر أنه خرج فى أربعة آلاف ، وقيل تسعين ألفا ، تختلف مع العدد الذى ذكره زيد بن أسلم من رواية ابن أبى حاتم حيث قال : خرج فى سبعين ألفا عليهم المعصفرات [٢] بينما يذكر الإمام الرازى رواية ثالثة تختلف عن الروايتين السابقتين فيقول : وقال آخرون : بل خرج فى ثلاثمائة[٣]

وهكذا نجد تضاربا واضحا بين الروايات لا نرى لذكرها فى كتب التفسير من سبب ، ولذلك عقب عليها فخر الدين الرازى ، بعد إيراده لها فى تفسيره فقال : والأولى ترك هذه التقديرات لأنها متعارضة [٤]

وحسبنا فى ذلك ما تدل عليه كلمة "زينة " بالنسبة لما عهد فى مظاهر أرباب الجاه والمال ، ومن ثم قال صاحب التفسير الكبير فى بيان هذه الكلمة

---

١ فتح القدير جـ ٤ ص ١٩٠.
٢ انظر الدر المنثور جـ ٥ ص ١٣٨ وتفسير القرطبى جـ ٦ ص ٥٠٣٣.
٣ تفسير الفخر الرازى المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب جـ ٢٥ ص ١٨.
٤ تفسير الفخر الرازى جـ ٢٥ ص ١٨.

(أما قوله تعالى " فخرج على قومه فى زينته " فيدل على أن خرج بأظهر زينة وأكملها وليس فى القرآن إلا هذا القدر)[1]

قلت : وهذا ما ينبغي أن نعتقده ونقف عنده ، لأن الزيادة على ذلك لا سبيل إليها إلا عن طريق ثقافة أهل الكتاب ، وما أدراك ما هي في التزيدات.

أما ما أورده أبو السعود بخصوص أن قارون يؤذى موسى عليه السلام كل وقت وهو يداربه لقرابته حتى أنه جعل لبغى من بغايا بنى إسرائيل جعلا على أن تقذفه بنفسها ، فغير مسلم بصحته، لأن مسألة إيذاء موسى وتبرئة الله إياه ، ورد فيها للمفسرين قول آخر غير هذا القول ، حتى إن أبا السعود نفسه أورد هذه الأقوال عند تفسير قوله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها**﴾ [سورة الأحزاب آية ٦٩]

فقال : (فأظهر براءته صلى الله عليه وسلم مما قالوا فى حقه أى من مضمونه ومؤداه الذى هو الأمر المعيب وذلك أن قارون أغرى مومسة على قذفه عليه السلام بنفسها بأن دفع إليها ما لا عظيما فأظهر الله تعالى نزاهته عليه السلام عن ذلك بأن أقرت المومسة بالصانعة الجارية بينها وبين قارون ، وفعل بقارون ما فعل ، كما فصل فى سورة القصص)

---

[1] نفس المصدر .

وقيل اتهمه ناس بقتل هارون عند خروجه معه إلى الطور ، فكانت هناك فحملته الملائكة ومروا به حتى رأوه مقتولا ، وقيل أحياه الله تعالى فأخبرهم ببراءته ، وقيل قذفوه بعيب في بدنه من برص أو أُدرة [١] لفرط تستره حياء فأطلعهم الله تعالى على براءته بأن فسر الحجر بثوبه حين وضعه عليه عند اغتساله والقصة مشهورة [٢]

فتلخص لنا في مسألة إيذاء موسى عليه السلام من قول أبي السعود ثلاثة أقوال :

١- اتهام بني إسرائيل موسى بعيب في بدنه من برص أو أدرة وعُدو الحجر بثوبه وعدو موسى في أثره عريانا حتى رأوه بريئا .

٢- اتهام بني اسرائيل موسى بقتل هارون عند خروجه معه إلى الطور إلى أن برأه الله من ذلك

٣- اتهام قارون إياه بالزنا حيث استأجر لذلك مومسا فأقرت بأن قارون هو الذي أغراها على اتهامه ، فأظهر الله نزاهته من ذلك.

هذه أقوال ثلاثة في مسألة إيذاء موسى وتبرئة الله تعالى إياه.

---

[١] إن أدرّه بضم فسكون وهي انتفاخ الخصيتين وكبرهما جدا والمحققون من العلماء على أن مثل هذا العيب مما يجب تنزيه الأنبياء عنه.

[٢] تفسير أبي السعود جـ ٧ ص ١١٧.

القول الأول ورد في حيث صحيح رواه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يرى من جلده شئ استحياء منه فأتاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا : ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده إما برص وإما أُدرة ، وإما آفة ، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى ، فخلا يوما وحده ، فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل ، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها ، وإذا الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول : ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله وأبرأه مما يقولون ، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه ، فوالله إن بالحجر و من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا ، فذلك قوله " **يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا** " الآية [١]

قال الحافظ ابن كثير عن هذا الحديث بعد ما ذكره في تفسيره : وهذا سياق حسن مطول قال وهذا الحديث من أفراد البخاري دون مسلم [٢]

القول الثاني قال عنه الحافظ ابن الحجر في الفتح : روى أحمد بن منيع في مسنده والطبري ، وابن أبي حاتم بإسناد قوي عن ابن عباس عن علي قال : صعد موسى وهارون الجبل ، فمات هارون ، فقال بنو إسرائيل

---

١ انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري كتاب احاد الأنبياء جـ ٦ ص ٥٠٢.

٢ تفسير ابن كثير جـ ٦ ص ٤٧٤.

لموسى أنت قتلته ، كان ألين لنا منك وأشد حبا فآذوه بذلك فـأمر اللـه ملائكتـه فحملته فمرت به على مجالس بني إسرائيل فعلموا بموته[١]

قال الإمام الطبرى تعقيبا عليه بعد إيراده له في تفسيره وجائز أن يكون هذا هو المراد بالأذى وجائز أن يكون هو المراد فلا قول أولى من قول الله عز وجل[٢]

قال ابن كثير : قلـت يحتمـل أن يكـون الكل مرادا ، وأن يكـون معـه غيره ، والله أعلم.[٣]

وقال ابن حجر : وما في الصحيح أصح من هذا لكن لا مـانع أن يكن للشئ سببا فأكثر[٤]

أما القول الثالث فمستبعد لأنه لم يرد به خبر صحيح عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ، أو عن بعض أصحابـه رضـوان اللـه عليهـم أجمعيـن ولذلك لا ينبغي القول بمثل هذه الأمور بدون دليل يثبتها ومما يؤكد ما قلنا أن الإمام الألوسي – رحمه الله – قال بعد أن أورد الأقوال الثلاثـة (ويبعـد هـذا القول (أي قذف قارون موسى بالزنا) تبعيدا) [٥]

---

١ فتح البارى كتاب التفسير جـ ٨ ص ٣٩٥.

٢ جامع البيان جـ ٢٢ ص ٥٢.

٣ تفسير ابن كثير جـ ٦ ص ٤٧٥.

٤ فتح البارى جـ ٨ ص ٣٩٥.

٥ تفسير الألوسي جـ ٢٢ ص ٩٥.

القول الصحيح

والذى أميل إليه فى مسألة إيذاء بنى إسرائيل لموسى عليه السلام ، هو ما ذكره الإمام فخر الدين الرازى فى تفسيره وذلك حيث يقول : وحديث إيذاء موسى مختلف فيه أى لكثرة الروايات فيه وبالجملة فالإيذاء المذكور فى القرآن كان كقولهم

﴿ **فاذهب أنت وربك فقاتلا**﴾ [سورة المائدة آية ٢٤]

وقولهم ﴿ **لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة** ﴾ [سورة البقرة آية ٥٥]

وقولهم ﴿ **لن نصبر على طعام واحد** ﴾ [سورة البقرة آية ٦١]

إلى غير ذلك فقال للمؤمنين : لا تكونوا أمثالهم [1] والله أعلم.

وأما ما أورده أبو السعود عن كيفية الخسف بقارون من أن موسى عليه السلام قال يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الركب ، ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى الأوساط ثم إلى الأعناق ، وهم يناشدونه عليه السلام بالله وبالرحم ، ولا يلتفت إليه لشدة غيظه ..إلى أن انطبقت عليهم ، فذلك كله من الإسرائيليات الوضعية كما قرر الحافظ ابن كثير ذلك ، حيث قال : (وقد ذكر كثير من

---

[1] تفسير الفخر الرازى جـ ٢٥ ص ٢٣٤.

المفسرين ها هنا – يعني ما جاء في كيفية خسف الأرض بقارون – إسرائيليات كثيرة ، أضربنا عنها صفحا ، وتركناها قصدا [١]

قلت ومن القصص الإسرائيلي الذى أورده المفسرون فى هذا المقام أن موسى عليه السلام حين أمر الأرض بأن تأخذ قارون ، فأخذته حتى غيبت قدميه ، فما زال يقول : خذيه حتى غيبته ، فأوحى الله إليه يا موسى ما أفظك وعزتى وجلالى لو استغاث بى لأغثته ، قال ابن عباس: فخسفت به الأرض إلى الأرض السفلى.

وقال سمرة بن جندب : إنه يخسف به كل يوم قامة ، فتبلغ به الأرض السفلى يوم القيامة ، وقال مقاتل : فلما هلك قارون قال بنو إسرائيل : إنما أهلكه موسى ليأخذ ماله وداره فخسف الله بداره وماله بعده بثلاثة أيام.

وأبلغ ما قيل عندى فى الرد على هذا الكلام قول الإمام فخر الدين الرازى – رحمه الله – حيث حكم على هذه المرويات بالبعد بعد مناقشته إياها ، ودحضها بالحجة الدامغة ، استمع إليه يقول : (وأما قولهم إنه تعالى قال : لو استغاث بى لأغثته فإن صح حمل على استغاثته مقرونة بالتوبة ، فأما وهو ثابت على ما هو عليه ، مع أنه تعالى هو الذى حكم بذلك الخسف لأن موسى عليه السلام ما فعله إلا عن أمره فبعيد[٢]

---

[١] تفسير ابن كثير جـ ٦ ص ٦٧ والبداية والنهاية جـ ١ ص ٣١١.

[٢] انظر زاد المسير فى علم التفسير جـ ٦ ص ٢٤٥ والدر المنثور ص ١٣٩والألوسى جـ ٢٠ ص ١٢٣.

وقولهم إنه يتجلجل فى الأرض أبدا فبعيد ، لأنـه لابد لـه مـن نهايـة ، وكذلك القول فيما ذكر من القامات ، والذى عندى فى أمثال هذه الحكايات أنها قليلة الفائدة ، وأنها فى أكثر الأمور متعارضة مضطربة ، فالأولى طرحها ، والاكتفاء بما دل عليه نص القرآن ، وتفويض سائر التفاصيل إلى عالم الغيب[1]

وهذا الذى قاله الإمام هو الصواب الذى لا يشوبه خطأ وهو المنهج الصحيح الذى يجب أن ننهجه فى تفسير كتاب الله ، هذا المنهج الذى يحفظ علينا وعلى الناس عقيدتنا بقدسية القرآن ، وقصصه الحق الذى لاريب فيه ، والله الهادى إلى سواء السبيل.

[1] انظر تفسير الفخر الرازى جـ ٢٥ ص ١٩

المراجع المساعدة

١- تفسير أبى السعود.

٢- العرائس للثعلبى.

٣- تفسير القاسمى.

٤- تفسير القرطبى.

٥- قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار.

٦- الشفاء للقاضى عياض.

٧- تفسير الزمخشرى.

٨- تفسير البيضاوى.

٩- البداية والنهاية .

١٠- تفسير ابن كثير.

أسئلة التقويم الذاتي

س١ : ما هو القول الصحيح فى أمر يونس عليه السلام.وما هو الأمور التى نسبها إليه؟

س٢ : كيف ترد على الروايات الباطلة التى قيلت فى أيوب عليه السلام؟

س٣ : من هو صهر موسى عليه السلام؟

س٤ : ما هو القول الصحيح فيما قيل بشأن العجل والسامرى ؟ ومن هو السامرى؟

س٥ : ما هو القول الصحيح فى لقاء الخضر بموسى عليه السلام؟

س٦ : ما السبب الذى من أجله أمر الله موسى بخلع نعليه؟

س٧ : بّين ما قيل فى إيذاء موسى عليه السلام مع بيان القول الصحيح؟

&&&&&&&&&&&&&&&&

الفهرست

الخـــــــاتمة

تم بحمد الله تعالى الانتهاء من الدخيل فى التفسير فى يوم الأثنيـن ٢١ جمادى الأولىسنة ١٤٢١ هـ الموافق ٢١ أغسطس سنة ٢٠٠٠ م.

بقلم الأستاذ الدكتور / على حسن السيد رضوان الأستاذ بقسم التفسير وعلـوم القرآن بكلية أصول الدين والدعوة بطنطا ـ جامعة الأزهر.

رقم الايداع
٢٠٠٠/١٤١٦٨